دراسات فى التاريخ الأمريكى الحديث والمعاصر

للدكتور

فاروق عثمان أباظه

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

عميد المعهد العالى للدراسات الأدبية

كينج مريوط – الإسكندرية

٢٠٠٣

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير الأزاريطة ت: ٤٨٧٠١٦٣

٣٨٧ ش قنال السويس الشاطبى ت: ٥٩٧٣١٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

محتوى الدراسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة

يتميز تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية بميزة قد لا تتــوفر في تاريخ كثير من دول العالم ، وهي أن هذا التــاريخ لا يكتنفــه الغموض بالقدر الذي قد يجده المؤرخون في تاريخ كثير من الدول الأخرى . وهذا يرجع إلى أن القارة الأمريكية نفسها لم تكتشف إلا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بعد أن قطع العالم القــديم شوطا بعيدا في ميدان الحضارة الإنسانية .ولهذا تمكن المؤرخــون من تسجيل معظم وقائع التاريخ الأمريكي بكل مافيها من تفصيلات تسجيلا موثقا واضح المعالم .

ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية لم يمض على استقلالها سوى قرابة قرنين وربع القرن من الزمان ، وهي فترة وجيزة في حساب الزمن ، غير أنها أصبحت أكبر قوة إنتاجيــة علــى وجــه الأرض وتحتل الآن مكانة مرموقة في المجتمع الانساني في عالمنا المعاصر ، خاصة بعد أن غيرت من سياســتها الخارجيــة ، مــن موقف الحياد إزاء القضايا الأوربية والعالمية إلى التدخل الحاسم في شئون العالم القديم بوجه عام . وقد حدث هذا التدخل في مراحلــه

الأولي بشكل تدريجي على نحو ما سوف نوضحه في دراستنا للتنافس البريطاني الأمريكي في جنوب البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر في ثنايا هذا الكتاب .

وسوف تتعاقب مراحل التدخل الأمريكي في شئون العالم القديم أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ -١٩١٨) وفي فترة الأزمة الاقتصادية العالمية بين الحربين العالميتين وأثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) كما أنها ستشكل إحدى القوتين العملاقتين في العالم في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي واللتان تمثلتا في الاتحاد السوفييتي السابق والولايات المتحدة ، بين مراحل الحرب الباردة من جهة ، وما أعقبها من وفاق دولي من جهة أخرى ، حتى إنهار الاتحاد السوفييتي في بداية التسعينات ، فانفردت الولايات المتحدة بزعامة العالم المعاصر بما لها من قوة اقتصادية واستراتيجية وسياسية ، في عصر يعرف بعصر العولمة.

ورغم تنامي العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والعالم العربي في القرنين التاسع عشر والعشرين ، وتبادل المصالح بينهما وخاصة بعد ظهور النفط في البلاد العربية في العقد الرابع من القرن العشرين ، إلا أن هذه العلاقات تتعرض بين الحين والآخر لمنحنيات صعبة كأزمة رفض تمويل مشروع السد العالي

فى منتصف الخمسينات من نفس القرن ، والصراع العربى الإسرائيلي الذى يطالب فيه العرب الولايات المتحدة الأمريكية باتخاذ موقف موضوعى عادل تجاه الحق العربى والحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى المناضل بما يتفق مع قرارات الأمم المتحدة وقواعد القانون الدولى وحقوق الإنسان .

إننا نرى أن الولايات المتحدة الأمريكية التى نالت استقلالها عقب قيام ثورتها فى سنة ١٧٧٦ ، وتخلصت من الاستعمار والتحكم البريطانى آنذاك بكفاح شعبها واتحاده ، وحرصه على بناء دولته سياسيا واقتصاديا واجتماعيا على مدى قرنين وربع القرن السابقيين حتى صارت أقوى دولة فى عالمنا المعاصر ، لحرى بها أن تناصر حقوق الشعوب المناضلة كالشعب الفلسطينى ، وأن تدعم القرارات العادلة للأمم المتحدة ، بما يتفق ولا يتناقض مع قواعد القانون الدولى وحقوق الانسان ، حتى تكون جديرة بمكانتها كقطب متميز فى عالمنا المعاصر .

أ.د/ فاروق عثمان أباظه

الفصل الأول

تطور التاريخ الأمريكى

منذ حركة الكشوف الجغرافية فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى

أولا – حركة الكشوف الجغرافية فى القارة الأمريكية :

إذا تتبعنا المراحل الأولى لحركة الكشوف الجغرافيــة فــى القــارة الأمريكيــة فإننــا ســنجد أن " كريســتوفر كــولمبس Christopher Columbus" قد استطاع أن يصل إلى القــارة الأمريكية فى العقد الأخير من القرن الخامس عشر الميلادى بعد أن كلفته ملكة أسبانيا " ازابلا " وأمدته بالرجال والعتاد نظير تعهده لها بادخال وثنيى " جزر الهند الشرقية " كما كان يعتقد آنــذاك – فــى الديانة المسيحية الكاثوليكية . وكان كريستوفر كولمبس قد أبحر من أسبانيا فى أغسطس ١٤٩٢ يقود ثلاثة مراكب يبحر عليها تســعون بحارا ، واتجه ناحية الغرب عبر المحيط الأطلسى الى أن استطاع أن يصل فى ١٢ أكتوبر عام ١٤٩٢ م الى إحــدى جــزر الهنــد الغربية التى أطلق عليها اسم " سان سلفادور " . كما وصل فى تلك الرحلة أيضا إلى جزيرة " كوبا " ثم بدأ فى العودة إلى أسبانيا فــى يناير عام ١٤٩٣ فوصل إليها فى شهر مارس فى نفس السنة حيث قوبل حينذاك بحفاوة بالغة . وقد قام "كريستوفر كولمبس " برحلــة

ثانية فى سبتمبر من عام ١٤٩٣ وكانت تتكون من سبع عشر سفينة عليها عدد كبير من البحارة والخيول والحيوانات والنباتات المختلفة وبعض الصناع ورجال الدين ووصلت هذه الحملة الى جزيرة من مجموعة جزر الهند الغربية أيضا أسماها جزيرة " جـواد ألـوب Guadalope . ثم قام كريستوفر أيضا برحلة ثالثـة فـى عـام ١٤٩٨ وصل فيها إلى جزيرة " ترينيداد " Trinidad " وفـى هذه المرة رأى كولمبس القارة الأمريكية ، ولكنه حسـبها إحـدى الجزر الكبيرة . أما رحلته الأخيرة فكانت فى عـام ١٥٠٢ حيـث وصل إلى أمريكا الوسطى بالقرب من منطقة بناما الحاليـة علـى وجه التحديد .

وعندما أرسل البرتغاليون الرحالـة الايطـالى " أمريجـو Amergo " الى القارة الجديدة قدم هذا الرجل الايطـالى تقريـرا مسهبا بعد عودته من تلك الرحلة ذكر فيه أن الجزيرة التى أشـار اليها " كولمبس " من قبل ليست إلا قارة عظيمـة وقـد أحـدثت تصريحاته هذه دويا فى الأوساط الأوربية ولفتت الأنظار الى تلـك القارة الواسعة مما سيكون له أثر كبير فى حركة الهجرة إلى العالم الجديد .

ثانيا – منطلقات هجرة الأوربيين إلى القارة الأمريكية :

مما لاشك فيه أن الأحوال السائدة فى أوربا فى نهاية القرن الخامس عشر أى فى مطلع العصر الحديث كانت تدعو بدرجة ملحة الى كشف أراض جديدة خالية من تلك النظم المعقدة المضطربة التى عرفتها أوربا فى العصور الوسطى . ولهذا فيمكن القول بأن كشف القارة الأمريكية كان تطورا طبيعيا للحياة التى سادت أوربا فى ذلك الوقت ، وتلبية لرغبات ومطالب الحياة الأوربية فى تطورها الجديد وهى تجتاز عصر النهضة الأوربية .

وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التى بذلتها كلا من أسبانيا والبرتغال فى ميدان الكشف الجغرافى حيث أصبحتا تمتلكان إمبراطوريتين واسعتين فى القارة الأمريكية فإن انجلترا التى جاءت متأخرة عنها الى العالم الجديد قد نزلت هذا الميدان الجديد تعززها قوة بحرية عظيمة جعلتها تحقق نجاحا كبيرا. ففى عهد الملك هنرى السابع أرسلت إنجلترا إلى العالم الجديد حملة بحرية على رأسها رجل إيطالى يدعى جون كابوت Jhon Cabot فى عام ١٤٩٧ ، فاستطاع هذا الرجل الايطالى أن يصل الى شواطىء لبرادو ، مما جعل انجلترا تدعى ملكيتها لأمريكا الشمالية بناءا على هذا الكشف. وكونت لها أول مستعمرة فى ولاية " فرجينيا " وقد حدث ذلك فى الوقت الذى كان فيه الفرنسيون قد كونوا لهم مستعمرة ثابتة

الأركان فى " بورت رويـــال " علـــى ضـــفتى " أنـــابوليس فـــى "نوفاسكوشيا " بكندا عام ١٦٠٤.

وإذا كانت قوة إنجلترا البحرية قد ســاعدتها فـــى توطيــد مركزها فى القارة الأمريكية ، فقد ساعدها أيضا فى هذا المجـــال ظهور الطبقة الوسطى التى اشتغلت بالتجارة والتي بدأت تشـــترك فى الحكم إلى جانب الطبقة الأرستقراطية مما ساعدها تدريجيا فى السيطرة على مقاليد السياسة وجعلها توجه نشاطها نحـــو التوســـع والاستعمار ولهذا أخذت تلك الطبقة الوسطى تنادى بمبدأ التوســـع والفتح لإيجاد أسواق جديدة للتجارة الإنجليزية .

وهناك اختلاف بين طبيعة ومنطلقات الاستعمار الإنجليـــزي فى القارة الأمريكية وبين الاستعمار الأسباني الذى سبقه فى هـــذا الميدان . فالاستعمار الأسباني قامت به الملكية الأســـبانية وكانـــت تسيطر عليها النزعة التعصبية التى سادت الحكم فى أسبانيا عقـــب خروج العرب منها .فالأسبان كانوا ينظرون إلى تلك المســـتعمرات نظرة السيد للعبد ، أى تلك المستعمرات يجب أن تدار أولا لمصلحة الأسبان بعد إخضاع أهلها والقضاء على مقاومة النفوذ الأســـباني . أما الاستعمار الإنجليزي لأمريكا فكـــان يغـــاير إلـــى حـــد كبيـــر الاستعمار الأسباني فإنجلترا قد واجهت فى الأرض التى اســـتولت

عليها ظروفا خاصة حاولت أن تتصرف بمقتضى تلك الظروف فوجدت إنجلترا فى تلك الأرض الواسعة فرصة ذهبية لنقل أكبر عدد من المهاجرين الإنجليز لتعميرها واقامة نظام للحكم وحضارة جديدة تتفق مع الحضارة الإنجليزية . أى أن إنجلترا حاولت فى تلك المستعمرات أن توجد نظاما للحكم مطابقا للنظام السائد فى إنجلترا فقامت فى الولايات الإنجليزية نظم جديدة وحضارة جديدة هى صورة من الحضارة الإنجليزية . وعلى أكتاف تلك الولايات الإنجليزية قامت الحضارة الأمريكية فى العصر الحديث .

وجدير بالذكر أن موجات هجرة الأوربيين التى وصلت إلى أمريكا عقب الكشوف الجغرافية ، إنما يمكن تفسيرها فى إطار التاريخ العام على أنها احدى موجات التاريخ (١) التى حدثت فى مختلف العصور مثل هجرة قبائل " الهون Huns " فى العصور القديمة تلك القبائل التى قضت على الدولة الرومانية الغربية ، وكهجرة التتار التى قضت الخلافة العباسية فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، وكهجرة العنصر التركى السلجوقى التى اتت من أواسط آسيا الى شبه جزيرة الأناضول ، ثم تلا تلك الموجة موجة أخرى من الأتراك العثمانيين . فكل هذه الهجرات التى

(1) American Histrical Association, A.H.A. pamphlets 241., 1972., The people in America ; prespectives on immegration, by Franklin D. Scott, P.3 .

ظهرت عبر التاريخ كانت ترجع الى حد بعيد إلى أسباب اقتصادية وسياسية ودينية .

وإذا تأملنا هجرة الشعوب الأوربية إلى القارة الأمريكية بصفة عامة وهجرة الشعب الإنجليزي بصفة خاصة نجد أنها ترجع إلى عوامل متعددة أولها ذلك التنافس بين أسبانيا من ناحية وإنجلترا من ناحية أخرى حول التوسع والفتح . وكان طبيعيا أن يحدث هذا التنافس بين قوتين بحريتين عظيمتين ، إذ كانت أسبانيا تمتلك في ذلك الوقت أسطولا بحريا قويا ينافس الأسطول الإنجليزي . وإذا نظرنا إلى حركة الاستعمار والتوسع في القارة الأمريكية نجد أنه حتى منتصف القرن السادس عشر كان الاستعمار يكاد يكون حكرا على دولتي أسبانيا والبرتغال ، مما جعل إنجلترا تتطلع إلى الاستيلاء على جزر الهند الغربية وما بها من متاجر ، وعلى الثروة الطائلة التي تتمتع بها أسبانيا . ولهذا بدأ تحرش الإنجليز بالأسبان في عهد الملك فيليب الثاني ملك أسبانيا الذي امتدت مدة حكمه بين عامي ١٥٥٦-١٥٩٨ ، وكان هذا الملك يدين بالمذهب الكاثوليكي ويسير على سياسة اضطهاد العناصر البروتستانتية . ولهذا أخذت إنجلترا تهاجم السفن التجارية الأسبانية وتستولي على ما بها من متاجر وثروات ولم يجد فيليب الثاني بدا من مواجهة الإنجليز فحدثت بين الأسطوليين الإنجليزي والأسباني ، المعروف

باسم الأرمادا ، معركة فاصلة قرب شواطىء أسبانيا دمر فيها هذا الأسطول تدميرا تاما عام ١٥٨٨ ونتج عن تلك المعركة الفاصلة أن تأكدت السيادة البحرية الإنجليزية على البحار ومنذ ذلك الوقت وخلا الجو لإنجلترا في أن تستولي على ما تشاء من المستعمرات الأسبانية فى القارة الأمريكية .

أما ثانى تلك العوامل التى أدت إلى هجرة الشعب الإنجليزي إلى أمريكا فهى يتمثل فى كتابات الكتاب والرحالة المختلفين حول القارة الجديدة وما تخبئه فى بطونها من كنوز طائلة والأثر الكبير الذى تركته القصص التى كانت تصور حياة المغامرين المهاجرين الأول الذين وطأت أقدامهم أرض القارة الجديدة ، كل تلك الكتابات كانت مؤثرة فى نفوس افراد الشعب الإنجليزى مما جعل الكثير منهم يتوقون إلى الهجرة الى تلك البقاع الجديدة للتمتع بخيراتها .

وتمثل العامل الثالث فى الدافع الدينى ، حيث كانت أوربا مسرحا لحركات دينية عنيفة بانقسامها الى معسكرين تمثل فى معسكر الخارجين على الكنيسة الكاثوليكية ومعسكر المؤيدين لها . وقد حاول كل فريق من هذين الفريقين أن يكون له السبق فى الوصول الى القارة الجديدة وفى إدخال وثني القارة الأمريكية فى

المذهب الذى يعتنقه . ولهذا هاجر كثيرون من الكاثوليك والبروتستانت بغية التبشير وكسب عناصر جديدة لمذهبهم الدينى .

كذلك كان لإنهيار الأسس التى قامت عليها الحياة فى العصور الوسطى من زوال الاقطاع وظهور الطبقة الوسطى ونمو الفردية ونشوء الروح القومية أن انعدمت الوحدة الدينية فى أوربا ، فظهرت الفرق المختلفة وثار البروتستانت على الكنيسة الكاثوليكية فى عام ١٥١٧ ولم تكن تلك الثورة ثورة دينية فحسب بل كانت ثورة اقتصادية فى آن واحد .

فثورة الأمراء والطبقة الوسطى ضد رجال الدين فى أوربا كانت تهدف إلى التخلص من الاعشار والضرائب التى كانت مفروضة عليهم لحساب الكنيسة الكاثوليكية . كذلك كانوا يهدفون من وراء ثورتهم هذه التخلص من سلطة الكنيسة الروحية ، ومن سيطرتها على الشئون العامة ، ومحاولة الاستئثار بتلك الأملاك الواسعة التى تملكها الكنيسة . ولهذا كانت حركة هنرى الثامن ملك انجلترا تعبر اصدق تعبير عن هذا الإتجاه الجديد وكانت حركته بداية لعصر ملىء بالثورات ففى عهد ابنه ادوارد السادس ساد المذهب البروتستانتي فى إنجلترا ، ثم عاد المذهب الكاثوليكى مرة ثانية فى عصر الملكة مارى ، ثم اعترف بالبروتستانتية مرة ثانية

على أنها الدين الرسمى للدولة . وقد اوجدت كل هذه التقلبات والثورات الدينية نوعا من الحيرة والبلبلة الفكرية فى نفوس الإنجليز بصفة خاصة والأوربيين بصفة عامة ، وفى نفس الوقت الذى لم تكن تعرف فيه أوربا التسامح الدينى حدث كل هذا فى نفس الوقت الذى بدأت فيه موجة الهجرة والكشوف الجغرافية فوجدت تلك الحركة قبولا لدى فريق كبير من الشعب الإنجليزي الذى فضل أن ينجوا بعقيدته إلى تلك القارة الجديدة ليمارس عقيدته الدينية فى حرية واطمئنان .

ويمكننا ملاحظة عامل رابع تمثل فى الناحية القومية التى ظهرت بعد أن استطاعت انجلترا أن تقضى على الإقطاع داخل بلادها . كما استطاعت أيضا أن تتخلص من سيطرة البابوية أى من السيطرة على الناحية الدينية بفصل الكنيسة الإنجليزية عن الكنيسة الرومانية وإنشاء المذهب الانجليكانى . وقد دعت تلك الأحداث التى مرت بها انجلترا إلى تكاتف الشعب الإنجليزى وظهور القومية الإنجليزية تلك القومية التى أرادت أن تعبر عن وجودها بالتوسع فى القارة الأمريكية الجديدة .

أما العامل الخامس فيتصل باتساع نطاق التجارة بين الشرق والغرب وبين القارة الأمريكية الجديدة وبين إنجلترا بصفة خاصة

وامتلأت أسواق إنجلترا بالمعادن الثمينة ونتج عــن ذلــك ارتفــاع مستوى المعيشة فى البلاد لتدفق الثــروة الطائلــة علــى الطبقــة الأرستقراطية والطبقة الوسطى دون أن تنال الطبقة الدنيا من تلــك الثروة الطائلة شيئا مذكورا . ولهذا فقد عانت تلــك الطبقــة مــن صعوبات شديدة فى ذلك الوقت وقد ظن بعض المسئولين بأن تلــك الضائقة التى تعانى منها الطبقة الدنيا نشأت عن إزدحــام إنجلتــرا بالسكان مع العلم بأن عدد سكان إنجلترا فى ذلك الوقت لــم يكــن يتجاوز خمسة ملايين نسمة وكان هذا الــزعم الخــاطىء مــدعاة لتشجيع الهجرة إلى خارج إنجلتــرا فوفــدت وفــود كثيــرة مــن المهاجرين على القارة الأمريكية فى ذلك الوقت سعيا وراء الرزق وفى حقيقة الأمر لم يكن سوء حال تلك الطبقة يرجع إلى زيادة عدد السكان بل كان يرجع إلى التفاوت الكبير فى الدخل بين الطبقتــين الأرستقراطية والوسطى من جهة وبين طبقة العامــة مــن جهــة أخرى.

وهناك عامل سادس يتعلق باضــطراب الــنظم السياســية والاقتصادية والاجتماعية فى انجلترا وما ترتب على ذلك من تفكير كثير من الناس فى التخلص من هذه البيئة المضطربة والالتجاء إلى القارة الأمريكية ليستطيعون بذلك تحقيق المثل العليا التى ينشدونها فى هذا الوطن الجديد .

وسابع تلك العوامل ذلك الصراع الدستوري الطويل الـذى نشأ بين الملكية الانجليزية وبين البرلمان الانجليزي سواء فى عهد أسرة تيودور التى حكمت فى الفترة الممتدة من ١٤٨٥- ١٦٠٣ أو فى عهد أسرة استيوارت التى حكمت فيما بـين عـامى ١٦٠٣- ١٧١٤ ، والذى ترتب عليه توهم بعض الانجليز بأنـه صـراع لا نهاية له وأن الشعب الانجليزى لن يظفر بحقوقه الدستورية كاملـة إلا بعد أجيال طويلة ولهذا فكر هذا الفريق فـى مغـادرة انجلتـرا والالتجاء الى المستعمرات الجديدة فى القارة الأمريكيـة ليسـتطيع بذلك أن يضع مبادئه الدستورية الجديدة موضع التنفيذ والممارسة .

وجدير بالذكر أن تلك الهجرات الأوربية الأولى الى القـارة الأمريكية تميزت بميزات خاصة وتلك الميزات هى قوة العزيمـة وشدة الاحتمال التى كان يتمتع بها المهاجرين الأول فقد كان هؤلاء المهاجرين يتركون ديارهم واوطانهم الأصلية ويعبـرون المحـيط الأطلسى على مراكب قديمة غير آمنة للاقامة فى أراض موحشـة وتأسيس مدنية جديدة فى تلك البقاع النائيـة فكـان لابـد لهـؤلاء المهاجرين من مواصلة الكفاح لاقامة حياة جديدة سهلة رغيدة على اساس من العدل والمساواة والحرية .

بل أن هذه الهجرات الأوربية الاولى الى القارة الأمريكية قد تميزت فى نفس الوقت بتغلب الطابع الدينى عليها فنظرا للاضطهاد الدينى الذى ساد أوربا فى نهاية العصور الوسطى ومطلع العصـــر الحديث وعدم اعتراف الممالك الأوربية بفكر التسامح الدينى فلجـــأ الكثيرون الى الهجرة لاقامة حياة دينية سمحة فى القارة الأمريكية .

وعلى أيدى هؤلاء المهاجرين وضعت أسس النظم الأمريكية والحضارة الأمريكية التى نمت بمرور الزمن والتى تطورت مـــع مطالب الحياة ومقتضيات الأحوال فالنظم الأمريكية الجديدة تميزت بالمرونة وتشكلت وفقا لحاجيات البيئة الجديدة ومطالبها .

واستطاع المهاجرون الاوربيون الجـــدد أن ينزلـــوا علـــى الشواطىء الشرقية للقارة الأمريكية وفى أمكنة تكاد تكون خالية من السكان الأصليين، هؤلاء السكان هم الذين أطلق عليهم اسم "الهنود الحمر" والذين يقدر عددهم بما يتجاوز نصف مليون نسمة تقريبـــا. ورغم القوة والنشاط الذين تمتعت بهما تلك العناصر الهندية إلا أن أنها لم تترك اثرا ظاهرا فى الحضارة الأمريكية ، بل نجد أن تلـــك العناصر قد بدأت تتلاشى نتيجة لانزوائها فـــى منـــاطق الغابـــات الكثيفة. كما أن العناصر البيضاء والعناصر الاخرى الزنجية التـــى وفدت على القارة الأمريكية قد بدأت تنتشر بين العناصر الهنديـــة

وتختلط بها إلى حد أصبح معه عدد الهنود الحمر الآن وبعد مرور عدة قرون يقل عن نصف مليون نسمة ، أى أن عدد هؤلاء الهنود الآن لم يزد عما كان عليه أيام كشف القارة الأمريكية .

ثالثا- مراكز استقرار المهاجرين الأوروبيين فـــى القـــارة الأمريكية:

ويلاحظ أن تلك الهجرات الأوربية الى القارة الأمريكية قـــد ركزت فى المناطق الساحلية الشرقية ، وقد أدى هذا التركيز الـــى تعاون تلك العناصر لاتخاذها كقواعد لاقامة نظم جديدة تكفل لهـــا الحرية والتقدم. ولم تستطع تلك العناصر فى أول الأمر أن تتقـــدم نحو الغرب نظرا لوجود جبال الابلاش Applation Mountain التى تمتد من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربـــى فـــى مـــوازاة الساحل الشرقى لأمريكا كما كانت سفوح تلـــك الجبـــال تكســـوها الغابات الكثيفة التى لجأت إليها العناصر الهنديـــة واتخـــذت منهـــا مراكز لمقاومة تقدم البيض نحو الغرب ، على أن الولايات المتحدة بعد استقلالها عن انجلترا فى بداية الربع الأخير من القرن الثـــامن عشر سوف تبدأ فى عبور جبال الابلاش وفى التقدم نحو الغـــرب. وقد استطاع هؤلاء المهاجرون فى ســـنة ١٨٠٠ أن يصـــلوا إلـــى حوض " نهر المسيسبى Mississippi River " وكذلك استطاعت أفواج المهاجرين فى الفترة مابين ١٨٠٠ و ١٨٧٥ من اســـتيطان

الولايات الغربية والوسطى بعد كشف الذهب فى منتصف القــرن التاسع عشر ، وبهذه الطريقة امتدت حركة العمران والانتشار نحو الغرب (١) وتكونت الولايات المتحدة الأمريكية التى تشمل حاليــا خمسين ولاية .

ومنذ بداية وصول تلك الهجــرات الأوربيــة الــى القــارة الامريكية وحتى استقلال الولايات المتحدة فــى عــام ١٧٧٦ فقــد سارت حياة المهاجرين فى تقدم مستمر بفضل ما بذلوه من جهــود مضنية لتعمير تلك القارة الجديدة . ولم يكن اعتماد المهاجرين على الثروات المحلية فى العالم الجديد فحسب بل إنهم اعتمــدوا أيضــا على الثروات التى حصلوا عليها من تجارة الرقيق تلك التجارة غير المشروعة التى كانت سببا فى زيادة عدد الأرقاء فــى الولايــات المتحدة وبالتالى كانت سببا فى قيام الحــرب الأهليــة الأمريكيــة لتحرير هؤلاء الرقيق ونشأة مشكلة الملونين تلــك المشــكلة التــى مازالت الولايات المتحدة الأمريكية تعانى منها معاناه كبيــرة فــى تاريخها المعاصر.

وإذا تتبعنا تتطور الأوضاع فى القارة الأمريكية فى السنوات الأولى من سنيى الاستعمار الأوربى لهذه القارة فى مطلع العصور

---

(1) American Histrical Association, A.H.A. pamphlets 222., 1972., Far western Frontiers , by Harvey L. Carter, P.5.

الحديثة ، فإننا سنجد أن المهاجرين الانجليز تمكنوا من تأسيس مدينة " جايمس تون James town " على الساحل الشرقى لأمريكا الشمالية بشكل بدائى بحيث تكونت فى أول الأمر من قلعة وبعض الأكواخ ومخزن للمحصولات وكنيسة لأداء الشعائر الدينية واشتغل هؤلاء المهاجرين بزراعة الأرض ثم تخصصوا بعد ذلك فى انتاج التبغ الذى لم يكن معروفا للعالم القديم حتى ذلك الوقت . أى أننا إذا استطعنا أن نقول بأن الهنود الحمر تركوا أثرا فى الحياة الأمريكية والأوربية بصفة عامة فإن هذا التبغ هو أحد الثمار التى استطاع الهنود الحمر نقلها إلى العالم فى العصر الحديث . كما إحترف هؤلاء المهاجرين تربية المواشى التى كانت تدر عليهم ثروات طائلة . وبالرغم من نمو تلك المستعمرة فلم يزد عدد سكانها فى سنة ١٦١٩ عن ألفى نسمة وقد تميزت تلك السنة بميزات خاصة لها أهميتها الخطيرة بالنسبة للمجتمع الأمريكى فيما بعد إذ حدثت فى تلك السنة ثلاث حوادث هامة على النحو التالى :-

الحادثة الأول :- تمثلت فى وصول أحد المراكب الانجليزية تقل تسعين فتاة انجليزية لتزويجهن إلى المهاجرين المستعمرين الجدد فى نظير مقدار معين من التبغ وقد وجدت تلك الصفقة قبولا وإقبالا لدى المستعمرين الجدد مما شجع هؤلاء التجار الانجليز على

مواصلة تلك التجارة الرابحة وما ترتب عليها من أثر فى استقرار الحياة فى هذا المجتمع الجديد .

والحادثة الثانية :- تمثلت فى أنه فى اليوم الثلاثين من يوليو من نفس تلك السنة اجتمع فى كنيسة " جايمس تون " أول برلمان تمثيلى يمثل السكان الجدد فى تلك المستعمرة أى أن هؤلاء السكان الجدد قد مارسوا الحياة النيابية الشبيهة الى حد كبير بالحياة التى الفوها فى انجلترا وكان هذا المجلس يتكون فى أول الأمر من حاكم المدينة وستة أعضاء وبعض ممثلين عن الزراع .

أما الحادثة الثالثة : فتتمثل فى شراء المستعمرين لعشرين شخصا من الرقيق من أحد المراكب الهولندية التى رست على شاطىء المدينة .وكان لهذه الحادثة التى ستتكرر كثيرا فيما بعد أثرها فى انتشار تجارة الرقيق بشكل واسع بحيث أثرت تلك الأعداد الهائلة من الرقيق تأثيرا قويا فى المجتمع الأمريكي وفى اقتصاديات القارة الأمريكية كما أدت الى قيام الحرب الأهلية الأمريكية فيما بعد .

وقد استمرت حركة الهجرة الانجليزية بعد ذلك بشكل واضح وتدفق المستعمرون على الشواطىء الشرقية للقارة الأمريكية حتى تمكن هؤلاء المستعمرون من تأسيس مدينة " بوسطن Boston "

فى سنة ١٦٣٠ وكذلك تأسيس مستعمرة " ماريلاند Maryland " فى سنة ١٦٣٤ ، ومدينة " برافيدانس Providence " فى ولاية " أيلاند Island " فى سـنة ١٦٣٩ . وقـد وجـد المسـتعمرون الانجليز أن المستعمرين الهولنديين يشـاركونهم فـى اسـتعمارهم للساحل الشرقى للولايات المتحدة الأمريكية ، فرأوا أن تخلص لهم تلك الولايات ولهذا قاموا بحرب مفاجئة ضد الهولنديين وهجمـوا على مدينة " نيو أمستردام " التى أسسها الهولنديون فى سنة ١٦٢٤ واستطاعوا الاستيلاء عليها فى سنة ١٦٦٤ وتسميتها باسم مدينـة " نيويورك New York" التى تعتبر حاليا من أعظـم المـدن فـى عالمنا المعاصر .

ويمكننا القول بأن الاستعمار الانجليزى للولايات المتحدة قام على دعامتين أساسيتين أولهما شركات الاسـتغلال الاسـتعمارية وثانيهما نظام الإقطاع. ففيما يتعلق بتلك الشـركات الاسـتعمارية يمكننا القول بأنه كان من الطبيعى أن الاستعمار ما كان ليقوم على جهود فردية ، لأن الفرد لا يستطيع أن يقيم دولة . كم أن إنشاء تلك المستعمرات كان يحتاج إلى الجهود الكبيرة والأموال الطائلة التـى لا تتوافر لفرد أو أفراد محدودى العدد . ولهذا تأسست الشـركات الإنجليزية المساهمة لاستخلاص الأراضى الجديدة . وقد قامت تلك الشركات بتعضيد من الحكومـة الإنجليزيـة فأمـدتها بالمعونـة

وبالحماية اللازمة للقيام بعملها فى هذا الميدان . لقد كانت هذه الشركات تشبه إلى حد بعيد حكومات مصغرة داخل حكومة كبيرة ، إذ كانت تلك الشركات نوعا من الحكم تسانده قوة مسلحة للدفاع عن مصالحها . وتمتعت تلك الشركات بنوع من الاستقلال الذاتى فى الأراضى التابعة لها ، ولكنها فى نفس الوقت كانت فى حاجة ماسة إلى حمايتها من قبل إنجلترا . بل لقد ذهبت تلك الشركات الى مدى بعيد ، فسكت النقود ، وأقامت الحصون والقلاع لحماية مصالحها فى هذا المجتمع الجديد .

وقد استطاعت تلك الشركات أن تؤسس أربع مستعمرات من تلك المستعمرات التى كان يتكون منها الاتحاد الأمريكى ، فأنشأت شركة لندن فى سنة ١٦٠٧ مستعمرة فرجينيا . كم استطاعت شركة جزر الهند الغربية الهولندية فى عام ١٦٢١ من تأسيس مستعمرة " هولندا الجديدة New Netherland " كما أنشأت شركة خليج " ماساتشوستس Massachussetts" مستعمرة ماساتشوستس فى عام ١٦٣٠ وبعد ذلك بقليل تمكنت شركة سويدية من إنشاء مستعمرة " ديلاوير Delaware " وقد اهتمت هذه الشركات فى بادىء الأمر بالاستغلال التجارى ولم توجه عنايتها الى تنشيط حركة الاستعمار ولكنها وجدت بعد مرور الوقت أن زيادة الانتاج لن تتوفر الا إذا زاد عدد المستهلكين ، ولهذا وجهت عنايتها بعد

ذلك إلى جلب أكبر عدد ممكن من المهاجرين الى مناطق نفوذها . وإذا كانت الشركات الاستعمارية قد قامت بدور هام فـى تأسـيس الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد قام نظام الإقطاع بدور آخر لايقل أهمية عن دور الشركات وسنجد أن ملوك إنجلترا سـيلجأون إلـى منح بعض الأمراء إقطاعيات جديدة فى القـارة الأمريكيـة علـى أساس حكم تلك الاقطاعيات طبقا للنظام الإنجليـزى . وقـد مـنح بالفعل عدد من الأمراء بعض الإقطاعيات الهامة التى كانت نـواة لإيجاد مستعمرات جديدة . ونتيجة لجهود اصحاب هذه الاقطاعيات نشأت خمس مستعمرات فى نفس مواقع الإقطاعيات هى مستعمرة " مارى لاند Maryland " ومستعمرة "بنسـلفانيا Pensylvania " ومسـتعمرة " نيوجرسـى New Jersy " ومسـتعمرة " نـورث كارولينيا North Carolina " ومستعمرة "سوث كارولينا South Carolina " وهذه هى المستعمرات الخمس التى انشاها الاقطـاع على الشاطىء الشرقى للولايات المتحدة .وقد حاول بعض أمـراء الاقطاع مثل "اللورد بلتيمور " الذى منح ولاية " مارى لانـد " أن يحكم تلك الولاية حكما استبداديا على نمط الحكم الذى ساد أوربـا خلال العصور الوسطى ولكن يقظة هؤلاء المستعمرين قد حالـت بينه وبين اقامة هذا النوع من الحكم فاضطر فى النهاية صاغرا إلى إشراك المستعمرين فى حكم تلك الولاية .

وجدير بالذكر أن انجلترا حرصت منذ البداية على أن لا تسمح للعناصر الأجنبية بأى تدخل فى تلك المستعمرات حتى ولو كان هؤلاء المستعمرين من الأسكتلنديين أو الأيرلنديين أو من سكان " ويلز " حتى لا يثيروا فى وجهها المتاعب . ولكن انجلترا لم تنفذ ما أعتزمت عليه ، اذ استطاع عدد كبير من الأسكتلنديين والأيرلنديين دخول تلك المستعمرات حتى أنهم كادوا يوازون من الناحية العددية تعداد السكان الانجليز الخلص .وقد نزحت هذه العناصر الى تلك المستعمرات تحت ضغط الحالة الاقتصادية التى سادت بلادهم الأصلية فى ذلك الحين . هذا بالاضافة الى ما لاقته تلك العناصر من اضطهاد دينى فى بلادهم وقد تركز هؤلاء المستعمرون الجدد بصفة خاصة فى المستعمرات الخمسة التى اشرنا اليها والواقعة على الساحل الشرقى لأمريكا الشمالية وقد بلغ عدد الاسكتلنديين والأيرلنديين بالولايات المتحدة مايقرب من ثلاثمائة ألف نسمة قبيل قيام الثورة الأمريكية . كما هاجرت أيضا إلى الولايات المتحدة عناصر أخرى من البروتستانت الفرنسيين " الهيجونوت " الى الولايات الأمريكية فيما بعد عامى ١٦٦٠ و ١٦٩٠ وقد نظر اليهم معظم السكان القدامى نظرة ملؤها الشك والريبة ، بل أن بعض هؤلاء قد استخدم العنف ضدهم وظلوا على هذا الحال حتى قيام حرب الاستقلال الأمريكية فاندمجوا مع المهاجرين القدامى حيث ذابت تدريجيا معالمهم وميزاتهم لتشكل من

هؤلاء جميعا القومية الأمريكية الجديدة التى ستتميز بها الولايات المتحدة الأمريكية بعد الاستقلال .

رابعا – تغلب العنصر الانجليزى فى تكوين الشعب الأمريكى :

من الملاحظ أن أغلبية الهجرات التى وصلت الى الولايات المتحدة الأمريكية الشمالية من العنصر الانجليزى ولهذا كان من الطبيعى أن يلعب الدم الانجليزى دورا رئيسيا فى تكوين الشعب الأمريكى الجديد . ولا يعنى هذا أن كل الولايات المتحدة الأمريكية كانت من العنصر الانجليزى فقط ولكن كان أغلب تلك العناصر أو الصفة الغالبة عليها هى الصفة الانجليزية لأنه قام إلى جانب العنصر الإنجليزى عناصر اوربية أخرى كالهولنديين والاسبان والفرنسيين وغيرهم. على أنه حتى عام ١٧٩٠ كان تعداد الولايات الأمريكية مايقرب من أربعة ملايين نسمة . أما الفترة التى أعقبت تلك السنة فيمكن تقسيمها على حسب الهجرات إلى الأقسام الثلاثة التالية :-

١. الفترة مابين ١٧٩٠ و ١٨٢٠ : كانت الصفة الغالبة على هذه الهجرات هى الصفة الانجليزية ، أى أن معظم المهاجرين الى الولايات الأمريكية كانوا من الإنجليز ، ويقدر عدد هؤلاء بما يقرب من ألفى نسمة .

٢. الفترة مابين ١٨٢٠و١٨٦٠ : كانت الهجرات الغالبة الى الولايات الأمريكية من الهولنديين والأيرلنديين ، وقد ظهرت فى سنة ١٨٧٠ الهجرات الايرلندية بشكل واضح وملحوظ .

٣. ثالثا الفترة مابين ١٩٠٠ و ١٩١٠ وفدت فيها الى الولايات الأمريكية أكبر الهجرات الأوربية عدد ، إذ يقدر عددا هؤلاء المهاجرين مايزيد قليلا عن ثمانية ملايين نسمة.

من هذا الإحصاء نتبين مدى تعدد الأجناس فى الولايات الأمريكية ، وتبع هذا التعدد فى الأجناس تعدد فى اللغات أيضا . ولكننا سنجد فى القرنين السابع عشر والثامن عشر أن هذه الأجناس المختلفة قد انصهرت وتبلورت حول العنصر الذى يتكلم اللغة الانجليزية . وتكون من هذا المزيج شعب أمريكى له خصائصه ومميزاته التى تختلف عن مميزات وخصائص الشعوب الأوربية المختلفة .

على أننا لا نستطيع القول بأن كل العناصر التى وفدت الى الولايات المتحدة بعد ذلك قد انصهرت انصهارا تاما ، لأن ذلك يحتاج إلى أجيال طويلة ، خصوصا وأن الهجرات الحديثة التى وفدت إلى الولايات الأمريكية وفى أواخر القرن الثامن عشر وفى خلال القرن التاسع عشر قد احتفظت بميزاتها الخاصة ، ولم تختلط

بالسكان الأصليين ، بل حاولت أن تحافظ على ميزاتها الجنسية ، ولم تندمج مع العناصر المهاجرة قبل ذلك . ونتج عن هذا الوضع الجديد أن أصبح الشعب الأمريكى لا يمثل أمة بالمعنى الصحيح ولهذا فقد حاولت الحكومة الأمريكية أن تعالج هذا الوضع الجديد بإصدار قانون للهجرة يضع امام العناصر الحديثة التى احتفظت بجنسيتها الأصلية عقبات كثيرة .

خامسا- عنصر الزنوج وأثره فى المجتمع الأمريكى :

وإذا تعرضنا للأجناس التى وفدت الى الولايات المتحدة والتى أصبحت عنصرا أساسيا فى تكوينها يجب أن لانغفل عنصر الزنوج . فهذا العنصر الذى وفد إلى القارة الأمريكية عن طريق تجارة الرقيق الذين كانوا ينقلونهم من القارة الأفريقية الى الولايات الأمريكية ، قد بلغ فى سنة ١٧٩٠ حولى ثلاثة ارباع مليون نسمة ، وقد ازداد هذا العدد عن طريق التوالد وعن طريق صفقات الشراء الكبيرة ، وبلغ حسب تعداد عام ١٩٣٠ ما يقرب من اثنتى عشرة مليون نسمة أى ما يعادل ١٠,٣%من العدد الكلى لسكان الولايات المتحدة ويقدر عددهم حاليا بما يزيد عن ٢٥ مليون نسمة .

وهكذا كان لا بد أن يكون لهذا العنصر الزنجى أثره فى الحياة الأمريكية وفى الاقتصاد الأمريكى بصفة خاصة . ولكن هذه

الأهمية قد اختلفت من ولاية الى اخرى ، كم اختلفت ايضا بالنسبة للولايات الشمالية أو الولايات الجنوبية . فهذا العنصر الزنجى قد استخدم فى الولايات الشمالية فى الأعمال المنزلية أما فى الولايات الجنوبية فقد استخدم فى أعمال الزراعة وقامت على أكتافه النهضة الزراعية الكبرى فى الولايات الأمريكية ولهذا السبب اختلفت نظرة الشماليين أى سكان الولايات الشمالية عن نظرة سكان الولايات الجنوبية فيما يتعلق بإلغاء الرق . فالولايات الشمالية كانت تحبذ هذا الإلغاء ، نظرا لأن هذا العنصر الزنجى كان يقوم بأعمال ثانوية بعكس الحال بالنسبة للولايات الجنوبية ، فالولايات الجنوبية قد اعتمت فى اقتصادها على الخدمات الهامة التى يؤديها هذا العنصر فى ميدان الزراعة والاقتصاد فالاستغناء عن خدمات هذا العنصر بالنسبة للولايات الجنوبية معناه انهيار اقتصاديات تلك البلاد انهيارا يكاد يكون تاما ومن هنا تمسك كل من الشمال والجنوب برأيه فى مشكلة الرق إلى أن حسمت تلك المشكلة الحرب الأهلية الأمريكية فى عام ١٨٦١ .

وجدير بالذكر أن مشكلة العنصر الزنكى ستبقى لأمد بعيد كمشكلة أساسية مزعجة فى بنية المجتمع الأمريكي حتى بعد الحرب الأهلية الأمريكية فى ١٨٦١ ، بل ستبقى آثارها السلبية منعكسة على حياة المواطنين الزنوج الأمريكيين حتى منتصف

القرن العشرين ، وقد قامت حركات إصلاحية عـــدة فى الولايـــات المتحدة للقضاء على التفرقة العنصرية وتحقيق المساواة بين البيض والسود فى الحقوق والواجبات . كما قامت جمعيات أسية من بـــين الزنوج الأمريكيين أنفسهم حرصت على الارتقاء بالزنوج وتحسين أحوالهم المعيشية والتعليمية حتى لا يكونوا فى وضع يسىء إلـــيهم ويضعف من مكانتهم ، مما خفف من حدة المشكلة ، حيث بـــرزت شخصيات مرموقة سياسية وعلمية ورياضية جعلـــت الأمـــريكيين يفخرون بها مما خفف لديهم عقدة التفرقة العنصرية

الفصل الثانى

الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية فى الولايات الأمريكية

أولا- الأوضاع السياسية فى الولايات الأمريكية:

بالنسبة للأوضاع السياسية في الولايات الأمريكية فإننا نجد أنه على الرغم من تعدد الأجناس آلتي هاجرت إلى الولايات الأمريكية منذ مطلع العصور الحديثة فقد كانت الغلبة للعنصر الإنجليزي على تلك الأجناس كلها . وقد أخذ المهاجرين الإنجليز على عاتقهم إدخال النظم الإنجليزية التي ألفوها في بلادهم الأصلية بل انهم اعتبروا أنفسهم في الولايات الجديدة جزءا من الشعب الإنجليزي الأصلي ، ورأوا أن النظم الجديدة التي يجب أن تنشأ في تلك الولايات يجب أن تكون مستمدة من روح الدستور الإنجليزي ونتيجة لاعتناق هؤلاء المهاجرين لهذا المبدأ الهام حاولوا تكييف نظم الحكم الجديدة بما يتفق مع الأسس الجوهرية التي قام عليها الدستور الإنجليزي . أي أنهم تمسكوا بما حصلوا عليه من حقوق في بلادهم الأصلية نتيجة للصراع الطويل الذي استمر قرونا عديدة بين الملكية الإنجليزية من ناحية والشعب الانجليزى ممثلا في برلمانه من ناحية أخرى . فحاول هؤلاء المستعمرون أن يحتفظوا بما لهم من حرية شخصية وحرية الاجتماع وحرية العقيدة ، ولكن

نظرا لاختلاف نسبة الشعوب الأوربية من ولاية إلــى أخــرى أن نشأت بعض التغيرات البسيطة ، ولكنها جميعا اتفقت في المبدأ وهو أن تكون دساتير هذه الولايات تتفق فى الهدف والغاية وفى الأسس أيضا ، مع الدستور الانجليزى . فكان لكل ولاية من هذه الولايات حاكم عام وهيئة قضائية ولكن اختيار الحاكم قد اختلف من ولايــة الى أخرى طبقا لطبيعة تلك الولايات . فالولايات الملكية كان يعين فيها الحاكم من قبل الملك ، أم الولايات الاقطاعية فكــان صــاحب الاقطاع هو حاكم تلك الولاية والمتصرف فى شئونها. وكان الــى جانب ذلك ولايات اخرى تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتى . وبهذا فقد قامت تلك الولايات بانتخاب الحــاكم بنفســها مثــل ولايــة " كونكتيكت Connectticut " وسنجد أنه بعد مرور فترة من الوقت سيواجه المستعمرون جبهتين متعارضتين : الجبهة الأولى وتمثــل الأرســتقراطية الرجعيــة ، والجبهــة الثانيــة وتمثــل الحركــة الديموقراطية الشعبية.

وكان لكل ولاية أو كل مستعمرة أمريكية مجلســان أولهمــا مجلس يسمى " مجلس المساعدين " ويقوم حاكم المستعمرة بتعيينــه من بين أعوانه ومساعديه . وكان بطبيعة الحال يعضد آراء الحاكم ويعاونه ضد المجلس الآخر . أما المجلس الثانى فهــو " مجلــس العامة " وكان ينتخب من قبل الشعب وتمثلت فى هذا المجلس القوة

الشعبية المحافظة على مالها من حقوق وامتيازات وحاول أعضاء هذا المجلس أن يحددوا سلطة أعضاء مجلس المساعدين ، ونجحوا فى منع مجلس المساعدين من النظر فى الشئون المالية ، وخصوصا ما يتعلق بالضرائب .

والى جانب هذه الهيئة التشريعية بكل ولاية أمريكية كانت توجد هيئة أخرى قضائية مستقلة تشرف على شئون القضاء . وقد وجد المستعمرون بعد فترة من الوقت أن هناك اتجاهين متضادين : أولهما هو وجود حركة ارستقراطية تنادى بتركيز السلطة فى أيدى الحاكم وفى وجوب تمتع هذا الحاكم بما كانت تتمتع به الملكية من امتيازات . أما الاتجاه الأخر فتمثله القوة الشعبية التى كانت تصر على المحافظة على ما للشعب من حقوق ، والتوسع فى هذه الحقوق إلى أبعد حد ممكن ولهذا نشأ بين القوتين نوع من الصراع. وليس معنى ذلك أن المستعمرين يتمتعون بحرية واسعة لم يتمتع بها أغلبية الشعوب الأوربية فى ذلك الوقت . لكن نشأة هذا الصراع جاءت نتيجة لمحاولة المستعمرين التمسك بحقوقهم وامتيازاتهم التى منحوها فى أوربا أو فى أوطانهم الأصلية مع التوسع فى تلك الحقوق بشكل يضمن لهم حياة مستقرة آمنة فى هذا الوطن الجديد .

وكان من الطبيعى نتيجة لتمسك هؤلاء المستعمرين بحقوقهم وامتيازاتهم أن تعارضت تلك الحقوق والامتيازات مع مصلحة أوطانهم الأصلية فتمسك المستعمرون بما لهم من حقوق ولو تعارضت مع مصلحة تلك الأوطان الأصلية . وهذا ما حدث بالفعل فى حرب الاستقلال الأمريكية حيث تعارضت مصلحة المستعمرات الانجليزية مع مصلحة انجلترا نفسها ، وكانت النتيجة أن أغلب المستعمرين فضلوا مصلحة مستعمراتهم الجديدة على مصلحة أوطانهم الأصلية ،وهذه الظاهرة قد خلقت وعيا قوميا فى تلك المستعمرات الانجليزية .وهذا يعكس الحال فى المستعمرات الأسبانية التى حكمها المستعمرون الأسبان حكما استغلاليا قائما على الاستبداد والشدة والبطش ولهذا لم تقم فى تلك المستعمرات حركة قومية تشابه تلك التى نشأت فى المستعمرات الانجليزية .

ثانيا- الأوضاع الاقتصادية فى الولايات الأمريكية:

أما بالنسبة للأوضاع الاقتصادية فى الولايات الأمريكية فيمكننا التعرف عليها من خلال تقسيمنا للمستعمرات الإنجليزية الى ثلاثة أقسام : المستعمرات الشمالية والمستعمرات الوسطى والمستعمرات الجنوبية . فبالنسبة للمستعمرات الشمالية فقد كانت حتى عام ١٧٦٠ تشتغل بالزراعة شأنها فى ذلك شأن سائر

المستعمرات الإنجليزية . ولكننا إذا نظرنا إلى طبيعة تلك المستعمرات فإننا نجد أن الطبيعة لم تمنحها سعة فى الأراضي الزراعية كما منحت المستعمرات الجنوبية فالزراعة قد انحصرت فى أودية صغيرة ممتدة على الساحل أما سائر المستعمرات فهى تتشكل من مناطق جبلية تكسوها الغابات . فلا نستوقع اذن أن تكون الزراعة من الحرف الهامة التى يعتمد عليها السكان فى معاشهم ولكن الطبيعة قد عوضت تلك المستعمرات بأشياء أخرى فهى منحتها الخلجان الكثيرة التى استغلها المستعمرون فى صيد الأسماك وتصديرها الى جزر الهند الغربية والى أوربا . كما استطاعوا أيضا استغلال الغابات فى تصدير الأخشاب وفى صناعة المراكب ، وكما اشتغل بعض المستعمرون باخراج أنواع من المعادن من باطن الأرض فترتب على هذا التنوع فى الثروات الطبيعية ان تنوعت مصادر الثروة وتنوعت اقتصاديات تلك المستعمرات بعكس الحال بالنسبة للمستعمرات الجنوبية كما طبقت هذه المستعمرات الشمالية قانونا خاصا فى توريث الأرض الزراعية للأبناء وهذا القانون يخالف ما اتبع فى الولايات الجنوبية وفى انجلترا نفسها إذ كانت تلك الولايات تقسم الأراضى الزراعية بين الأبناء بالتساوى ونشأ عن هذه الظاهرة انعدام الضياع الزراعية الواسعة . وتعدد الملكيات الصغيرة ، بعكس الحال فى الجنوب حيث كانت الأراضي

الزراعية تورث إلى الابن الأكبر وبذلك نشا الإقطاع الزراعي فى الجنوب بشكل واضح .

أما بالنسبة للمستعمرات الوسطى فقد جمعت فى أراضيها بين خصائص الشمال وخصائص أراضى الجنوب فإذا نظرنا الى ناحية الأراضى الزراعية فإننا نجدها تتمثل فى سهول " هدسون " وسهول وادى " الموهوك " الموجودة بمستعمرة نيويورك ،وكذلك الأودية الخصبة الموجودة بمستعمرات بنسلفانيا ونيوجرسى وكلها تماثل فى الخصوبة وفى وفرة محصول أراضى المستعمرات الجنوبية والى جانب الأراضى الخصبة نجد أراضى جبلية صخرية تتفق فى طبيعتها مع طبيعة أراضى الشمال وترتب على ذلك أن استطاعت تلك المستعمرات الوسطى أن تجمع فى منتجاتها بين منتجات المستعمرات الشمالية والمستعمرات الجنوبية . ونشطت أيضا حركة التجارة فى تلك المستعمرات نشاطا كبيرا .وأهم ما فى تلك المنطقة ميناء نيويورك الذى يعتبر من أعظم موانىء العالم الجديد ومن مينائى نيويورك وفيلادلفيا سارت المراكب التجارية تحمل منتجات هذا الاقليم من زراعية وصناعية الى جنوب أوربا والى جزر الهند الغربية ثم تعود تلك المراكب من اوربا محملة بالمنسوجات الفاخرة وبالانواع المختلفة من الخزف والأثاث .

أما بالنسبة للمستعمرات الأمريكية الجنوبيــة فقــد خصــتها الطبيعة بالخصب وبوفرة المحصولات الزراعية اد تشــتمل تلــك المستعمرات على مساحات واسعة جــدا مــن الســهول الخصــبة وخصوصا بعد أن استطاع المستعمرون قطع الأشجار التى كانــت على تغطى مساحة كبيرة منها . وفى تلك المســتعمرات الجنوبيــة تخصص ملاك الأراضى فى زراعة التبغ والأرز والنيلة كما قامت الزراعة فى هذه المناطق الشاسعة على ايدى عاملــة تتمثــل فــى العناصر البيضاء والعناصر الزنجية على السواء .ونتيجة للحالــة الاقتصادية السيئة التى سادت اوربا إبان كشف القارة الأمريكية أن هاجر عدد كبير من سكان أوربا وممن كانوا لايملكون أجر سفرهم ولجأوا الى بيع أنفسهم لمن يدفع لهم أجر السفر فى نظير أن يقــوم هذا المهاجر بالعمل لمدة تتراوح بين سنتين وسبع سنوات كعبد لهذا الدائن ،حتى إذا وصل هذا المهاجر الى القارة الأمريكيــة ابتاعــه أصحاب الضياع الزراعية الواسعة كى يعمل فى خدمتهم وزراعــة الأرض مدة عبوديته . وقد ذاقت هده الطائفة أنواع من العذاب على ايدى أصحاب الضياع والمشرفين على زراعة الأرض وفــد قــل الاهتمام باقتناء هؤلاء العبيد البيض نظرا لأن أصحاب الضياع لــم يرحبوا بهم لأن مدة عبوديتهم قصيرة وليست مستديمة كمــا هــو الحال عند الزنوج ، كذلك كانت تكاليفهم أغلى وانتاجهم أقل بكثيــر مما ينتجه الزنوج . وقد تلاشت تلك العبودية نظرا لازديــاد عــدد

الزنوج فى تلك المستعمرات الجنوبية . ونظرا لحاجة المستعمرات الجنوبية الى ايدى عاملة باستمرار لجأ التجار الانجليز الى التوسع فى تجارة الرقيق فارتاد هؤلاء التجار الشواطىء الغربية لأفريقيا وابتاعوا الزنوج من مشايخ القبائل نظير ثمن بخس يتمثل فى الأقمشة الرخيصة والبارود والخمور ثم يأخذون تلك السلعة البشرية ليبيعونها الى اصحاب المزارع الواسعة فى المستعمرات الجنوبية بثمن مرتفع .وقد جنى هؤلاء التجار الانجليز ثروة طائلة نتيجة اشتغالهم بتلك التجارة وقد ازداد عدد الزنوج حتى بلغ نصف عدد سكان مستعمرة فرجينيا وزاد على النصف فى مستعمرة كارولينا الجنوبية وبطبيعة الحال كانت الصفة الغالبة على منتجات المستعمرات الجنوبية هى المنتجات الزراعية .

ثالثا- الأوضاع الاجتماعية فى الولايات الأمريكية:

وفيما يتعلق بالأوضاع الاجتماعية فى المستعمرات الأمريكية فاننا نجدها فى تقدم متواصل نتيجة لاشتغال جزء كبير من سكان تلك المستعمرات بالتجارة ،ولصلة هؤلاء السكان الوثيقة بالدول الأوربية المختلفة وعلى وجه الخصوص انجلترا . وأخذت تلك الصلات المختلفة من ثقافية وفكرية واجتماعية تتوثق بالحياة العامة فى انجلترا . ونتيجة لنشاط التجارة بين القارة الجديدة وأوربا

أصبح الانتقال بين الولايات الأمريكية وانجلترا سهلا ميسورا عن ذى قبل . وإذا نظرنا إلى الطبقة الأرستقراطية فى تلك المستعمرات نجد أنها شبيهة إلى حد بعيد بطبقة الارستقراطية الإنجليزية ، سواء فى طرق معيشتها أو فى تفكيرها أو فى سلوكها الخاص . بل إن أصحاب الضياع الواسعة فى المستعمرات الأمريكية قد تمكنوا من إيفاد أبنائهم إلى انجلترا لإتمام دراستهم هناك وذلك للتخصص فى الطب مثلا بجامعة " أدنبره " أو للالتحاق بكلية الحقوق بجامعة لندن . هذا بالإضافة إلى انتشار الكتب والمجلات العلمية المختلفة فى سائر المستعمرات .

وقد كان سكان المستعمرات الشمالية حتى قيام حرب الاستقلال الامريكية يتكونون من عنصر متجانس يشبه العنصر الانجليزى فى خصائصه ومميزاته . وكذلك يتفق معه فى اللغة وفى العادات والتقاليد والدين ، هذا إذا استثنينا مستعمرة " رود أيلاند " حيث امتازت تلك المستعمرة بالتطرف فى الناحية السياسية وبتعدد المذاهب المختلفة . ولكن بصفة عامة فقد احتلت الكنيسة والمدرسة فى المستعمرات الشمالية مكانا مرموقا من سكان تلك المستعمرات . كذلك تمتع رجال الدين باحترام شديد من قبل هؤلاء السكان . وسنجد أن نشاط هؤلاء لم يقتصر على الناحية الدينية فحسب بل تعداها الى الناحية الاجتماعية أيضا ، وكان للدور الذى

قام به رجال الدين أهميته الخاصة فى بنـــاء المجتمـــع الأمريكـــى الجديد .

وقد تميزت المستعمرات الأمريكية الشمالية أيضا بالمحافظة على القديم وقد ذهبت فى أول الأمر الى أبعد مـــن الحـــدود فـــى التمسك بتلك العادات والتقاليد والمحافظة عليها ومحاولة تطبيقهـــا بكل شدة وصرامة ، كما كان متبعا بشكل واضح فى مســـتعمرتى " كونكتيكـــــــــت Connectticut " و " ماساتشوســـــــــتش Massachussetts " ولكن حركة الاختلاط بين تلـــك العناصـــر المختلفة وبينها وبين الغرب قد خفت من حدة تلك الصرامة المتبعة فى المحافظة على العادات والتقاليد .

كما تميزت المستعمرات الأمريكية الشمالية أيضـــا بميـــزة هامة وهى روح الاعتماد على النفس. وقد نمى وجود تلك الـــروح وجود مجلس بلدية فى كل مدينة من المدن يشترك فيها كل من لـــه حق الانتخاب ، وذلك للتداول فى الشئون الهامة التى تهم ذلك البلد . وقد نشأ عن هذا النظام انعدام التفرقة بين الأغنياء والفقراء على حد السواء .ولهذا فإن الطبقة الارستقراطية التى نشأت فى مدينـــة "بوسطن " وفى " نيوهافن " لم تؤثر أى تأثير على الطبقة العامـــة ،

سواء فى التمتع بالحقوق أو أداء الواجبات ، وهذا يعكس الحال فى القارة الأوربية حيث كانت الطبقة الأرستقراطية هى المسيطرة .

أما بالنسبة للأوضاع الاجتماعية فىالولايات الجنوبية فيمكن تقسيم المجتمع الجنوبى الى أربعة أقسام : أولها يمثل الأرستقراطية الزراعية من أصحاب الضياع والممتلكات الواسعة وهى الطبقة المسيطرة على أداة الحكم والسياسة . وثانيها الطبقة الوسطى وتتكون من صغار الملاك الزراعيين وأصحاب الحرف والصناعات ، وهناك قسم ثالث تمثله طبقة العامة وتتكون من فقراء المجتمع ، أما القسم الرابع فيتمثل فى طبقة العبيد أى عبيد الأرض وهى أحطها شأنا وأتعسها حظا ، وأقلها نصيبا من متع الحياة .

ونشأ عن طبيعة الأرض الجنوبية الواسعة المترامية الأطراف أن قل اجتماع الناس الا فى الأعياد والمناسبات العامة وترتب على ذلك أن سكان المستعمرات الجنوبية كانوا يستغلون كل فرصة لاغتنامها والتمتع بها والمبالغة فى إبداء شعورهم وتحررهم من العادات والتقاليد . وهذا يعكس الحال فى الولايات الشمالية . حيث كان السكان أكثر اتزانا واعتدالا فى تصرفاتهم العامة من سكان الجنوب . وكانت الحياة بصفة عامة تتركز فى كل مدينة حول مبنى السوق العام ، ومبنى آخر للتبادل التجارى ، وفندق

لارتياده من قبل كبار التجار وطبقة الأرستقراطية . والى جانب تلك الدور مكتبة عامة تضم مختلف المؤلفات العلمية التى عرفت حينذاك

وفيما يتعلق بالمستعمرات الوسطى فقد تكونت من خليط من الشعوب التى امتازت بالبعد عن الشدة وبالتسامح الدينى . ولهذا نعم المستعمرون بمستوى عالى فى معيشتهم . كما اشتهر المجتمع فى مدينتى نيويورك وفلادلفيا بالثقافة والتهذيب كما حفلت مدينة نيويورك بالأنديه العامة وبالملاعب والمقاهى والحدائق الغناء كما لبس أغنياؤها احسن أنواع الحرير المستورد من أوربا . كما [illegible] مدينة فلادلفيا ايضا بشوارعها الواسعة النظيفة وهدوئها وتفوقها فى نواحى العلوم والمعارف وعلى أية حال فقد تمتعت تلك المستعمرات بحياة أقل صرامة فى نظمها عن مستعمرات الشمال كما تميزت مستعمرة بنسلفانيا بطابع خاص ميزها عن غيرها من المستعمرات وهذا الطابع قد اوجده الفرندز (الأصدقاء وهى طبقة دينية) الذين هاجروا اليها واشتهروا بالتسامح والصداقة وبالبعد عن مظاهر الترف والتعقيد ولهذا فقد تميزت الحياة بالبساطة وبالمساواة وعدم التعصب الدينى أو المذهبى . وهذا ما جعل مدينة فلادلفيا مركزا للحياة الدينية فى القارة الأمريكية

رابعا- الحياة الفكرية والثقافية فى الولايات الأمريكية:

أما بالنسبة للحياة الفكرية والثقافية فى الولايـات المتحـدة الأمريكية فإننا نلاحظ أن "البيوريتانز" (المتعصبين من الكاثوليك) قاموا بنصيب كبير فى نشر الثقافة بين أفراد تلـك المسـتعمرات فأنشأوا فى أول الأمر المدارس الابتدائية لتعليم النشـىء مبـادىء القراءة والكتابة وأصول الدين . ثم أنشأوا بعد ذلك المدارس الثانوية لتدريس العلوم الكلاسيكية من يونانية ورومانية أى لاتينية وكـذلك الرياضيات. وأنشئت فى ولاية "ماساشوستش" فى عام ١٦٣٦ كلية هارفارد وفى ولاية "كنكتيكت" أنشئت كلية "ييل" فـى عـام ١٧٠١ وقد أخذت هاتان الكليتان فى النمو والازدهار نتيجة للإقبال الشديد عليها من قبل المستعمرين .

هذا فيما يتعلق بالولايات الشمالية أما الولايات الوسطى فلـم تعرف نظام التعليم العام إلا فى ولاية واحدة هى ولاية " ماريلاند" ولكن جماعة " الفرندز" وجماعات الألمان قد أخـذوا فـى إنشـاء مدارس خاضعة لإشراف الكنيسة كما انتشـرت أيضـا المـدارس الخاصة فى "نيورك" و " فيلاديفيا " و" بنسلفانيا " كما أنشئت أيضا

"جامعة برنستون " و " كنج " التى عرفت فيما بعد باسم جامعة " كولمبيا " .

أما المستعمرات الأمريكية الجنوبية فقد غلب على التعليم فيها الصفة الخاصة ، فكبار رجال الإقطاع قد استقدموا من انجلترا ومن الولايات الشمالية المعلمين الخصوصيين لتعليم أبنائهم القراءة والكتابة واللغات القديمة والرياضيات. أماعن المدارس العامة فلم يكن هناك سوى مدرستين فى كل من ولايتى " فرجينيا " و " ساوث كارولينا " .

وبعد أن تعرضنا للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى المستعمرات الأمريكية قبيل الاستقلال فإنه ينبغى الإشارة الى أن هذه الأوضاع قد ساعدت على تكوينها العوامل التالية :-

أولا :- اللغة الإنجليزية ، تلك اللغة التى كان لها الفضل فى جمع تلك الشعوب المختلفة وانشاء شعب واحد يتكلم لغة واحدة ، مما كان له أكبر الأثر فى ربط هذه الأجناس المتعددة برباط وثيق .

ثانيا :- نشوء الحركة النيابية فى تلك المستعمرات التى كان لها الفضل فى تمتع تلك الولايات بقدر كبير من الحكم الذاتى ،

وحرص تلك الولايات على أن تحتفظ بما لها من حقــوق كحريــة الاجتماع والصحافة بعكس الحــال فــى المســتعمرات الفرنســية والأسبانية فى القارة الأمريكية .

ثالثا:- مبدأ التسامح الدينى ، هذا المبدأ قد أوجد نوعا من التضامن لرعاية مصالح أصحاب المذاهب المختلفة فى تلك البقعة الجديــدة من العالم وهذا التسامح الدينى الذى لم تعرفه أوربا إلا مؤخرا .

رابعا :- انتشار روح الفردية والاعتماد على النفس التى كانت من أهم الأسس التى قام عليها الاقتصاد الأمريكى فى العصر الحديث .

خامسا :- سيادة فكرة المساواة وتكافؤ الفرص بين الجميع مما كان له أكبر الأثر فى ظهور الشخصيات الكبيرة التى أفاد منها المجتمع الأمريكى والتى ستشترك فى تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية .

الفصل الثالث

الصراع الإنجليزي الفرنسي حول المستعمرات الأمريكية حتى ثورة الاستقلال وقيام الولايات المتحدة

اولا - الصراع الانجليزى الفرنسي حول المستعمرات الأمريكية

من أبرز الأحداث التى كان لها أعظم الأثر فى تطور الحياة فى المجتمع الأمريكى ذلك الصراع الطويل بين انجلترا وفرنسا حول المستعمرات الأمريكية .والأصل فى هذا النزاع يرجع إلى سياسة العداء التقليدى بين إنجلترا وفرنسا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ذلك العداء الذى نشأ فى القارة الأوربية نتيجة لتضارب المصالح بين الدولتين وانعكس على نشاطها فى العالم الجديد ( ) . أى ان تلك المستعمرات الإنجليزية والفرنسية قد ورثت عن اوربا مع ماورثته من نظم اجتماعية واقتصادية هذا العداء الذى ساد جو العلاقات بين الدولتين الكبيرتين .ويرجع اسباب هذا النزاع الى عاملين رئيسيين أولهما تلك الحروب الطويلة التى سادت اوربا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر والتى انعكست صورتها على المجتمع الأمريكى فى ذلك الحين وثانيها محاولة الطرفين الانجليزى والفرنسى التوسع على حساب الآخر

( ) محمد محمود السروجى (دكتور) سياسة الولايات المتحدة الخارجية منذ الاستقلال الى منتصف القرن العشرين ، ص ١٣.

ووجود الاحتكاك المستمر على الحدود بين أنصار الفريقين هــذا الاحتكاك الذى سينمو ويتخذ صورة حــرب قويــة بــين النجليــز والفرنسيين وسيسود فيها العنصر الانجلو سكسونى على العنصــر الفرنسى .

وإذا تتبعنا بإيجاز مراحل استعمار القارة الأمريكيــة منــذ مطلع العصور الحديثة فإننا سنجد أن أسبانيا كانت أولى الدول التى أنشأت لها مستعمرات فى القارة الجديدة ،إذ استطاع الأسبان احتلال جزر الهند الغربية بعد كشفها مباشرة بفترة قصيرة . ثم احتلوا بعد ذلك " المكسيك " فى عام ١٥١٩ وامتد نفــوذهم بعــد ذلــك الــى مستعمرة " فلوريدا " ومنها إلى مستعمرات" أوكلاهما "و " تكساس " وبذلك استطاع الأسبان إنشاء أول مستعمرة لهم فى " فلوريدا" فــى عام ١٥٩٥ . ثم امتد نشاطهم بعد ذلك الى "نيومكسيكو" ومنها إلى "كاليفورنيا" فى عام ١٧٦٩.

أما بالنسبة للفرنسيين فقد بدأوا احتلالهم لأمريكا فى مستهل القرن السابع عشر إذ استطاعوا إنشاء مدينة " كويبك" فى مستعمرة فرنسا الجديدة ، وذلك فى ١٦٠٨ ومن هذه المدينة بدأوا يتوغلــون إلى داخل أمريكا الشمالية ويناوئون السكان المحليين مــن الهنــود الحمر ، وامتد الكشف الفرنسى الى منطقة البحيرات وفــى اتجــاه

المجارى المائية. ونظرا لطبيعة تلك البلاد الباردة فقد كثرت فيها الحيوانات ذات الفراء، الثمين فتكونت أول شركة فرنسية أطلق عليها اسم " شركة فرنسا الجديدة " وكان عمل هذه الشركة هو احتكار تجارة الفراء، كما لعبت تلك الشركة دورا هاما فى تدعيم الاستعمار الفرنسى فى تلك الجهات ، كما قامت الشركات الانجليزية بنفس الدور فى المستعمرات الانجليزية .وقد زاد اهتمام فرنسا بمستعمراتها فى أمريكا فى عهد الملك " لويس الرابع عشر " ، إذ بذل هذا الملك جهودا كبيرة عن طريق وزيره كولبير فى تدعيم النفوذ الفرنسى فى أمريكا والعمل على زيادة توسعه وانتشاره.

وإذا أجرينا مقارنة بين الاستعماريين الفرنسى والأسبانى من جهة والاستعمار الانجليزى من جهة أخرى فإننا سنجد أن كلا من الاستعمارين الأسبانى والفرنسى قد اختلف فى طبيعته عن الاستعمار الانجليزى. فالأسبان قد اهتموا بصفة خاصة بجمع الثروات الطائلة واستنزاف القوى الانتاجية فى تلك البلاد لمصلحة الأسبانيين دون مراعاة لمصلحة سكان المستعمرات . وقد ذهبوا فى هذا السبيل الى تسخير قوة الزنوج والهنود الحمر فى استغلال تلك البلاد أى أنهم طبقوا النظام الاقطاعى الذى عرفته أوربا فى العصور الوسطى فى تلك المستعمرات الجديدة بأجلى معانيه ،

وترتب على تلك السياسة الأسبانية وجود طبقتين اجتماعيتين : طبقة رجال الاقطاع التى تتمتع بالثراء الواسع والنفوذ العريض ، وطبقة أخرى هى طبقة عبيد الأرض ، تلك الطبقة التى لم يكن لها أى حقوق بل كان عليها كل الواجبات ، ولم يسمح هذا النظام بإيجاد طبقة وسطى . كما ساد تلك المستعمرات روح تعصبية بغيضة فحرموا دخول المستعمرات الأسبانية على الأجانب وعلى البروتستانت على وجه الخصوص . أما نظام الحكم السائد فى تلك المستعمرات فكان نظاما استبداديا يقوم على الحكم المطلق ، وبذلك لم تتح الفرصة لهذه المستعمرات لممارسة النظام النيابى .

أما المستعمرات الفرنسية فقد ساد فيها نوع آخر من الاستغلال وهو استغلال الثروة الحيوانية وثروة الفراء والثروة المائية ، كما أن الاستعمار الفرنسى قد اتخذ طريقه نحو المجارى المائية استغلالا لتلك الثروات التى تخصص الفرنسيون فى الاشتغال بها ، أما نوع الحكم الذى ساد المستعمرات فهو الخضوع المباشر للحكم الفرنسى ، أى أنها لم تتمتع بنوع من الحكم الذاتى الذى تمتعت به المستعمرات الإنجليزية، كما أن الفرنسيين قد تشددوا فى السماح بالهجرة الى تلك المستعمرات ولم يسمحوا بها لغير أصحاب المذهب الكاثوليكى .وكان من جراء سياسة التضييق على حركة الهجرة أن قل عدد السكان فى المستعمرات الفرنسية

عن مثيلاتها الإنجليزية بشكل واضح ، إذ قدر الخبراء عدد سكان المستعمرات الفرنسية بالنسبة لعدد المستعمرات الإنجليزية عند بدء النزاع بنسبة (١٦:١) إلا أنهم رغم قلة عددهم فقد كانوا يتمتعون بميزات هامة ، منها أن الفرنسيين كانوا يحتلون الأجزاء الكندية الممتدة من الشمال إلى الجنوب حتى حوض نهر المسيسبي على شكل قوس يحيط المستعمرات الإنجليزية ، ويحول بينها وبين التوسع فيما وراء جبال الابلاش . كذلك نظرا لخضوع المستعمرات الفرنسية للحكم الفرنسى المباشر فقد تمتعت تلك المستعمرات بسلطة قوية موحدة بعكس الحال فى المستعمرات الإنجليزية التى سادت فيها انواع مختلفة من نظم الحكم ومن التمتع باستقلال ذاتى له اثره فى تفكك تلك المستعمرات وفى عدم وقوفها صفا واحد أمام الخطر الذى يتهددها من قبل المستعمرات الفرنسية .

ولهذا فإن النزاع بين الفرنسيين من ناحية والانجليز من ناحية أخرى وبينهم وبين الأسبان قد دعت اليه الظروف التى أحاطت بنشأة الاستعمار فى القارة الامريكية ، كما زاده أيضا قوة العداء التقليدى بين الدولتين والاختلاف فى وسائل الحكم وفى النظرة الى الدين .كل هذه الأسباب مهدت لقيام النزاع بين انجلترا وفرنسا فى بداية القرن الثامن عشر ، وسبب هذا النزاع الذى نشأ فى اوربا فى اول الامر هو ان ملك اسبانيا قد اوصى بالعرش

الاسبانى من بعده لدوق يسمى " دوق انجو " حفيد "لـويس الرابـع عشر " ملك فرنسا نظرا لعدم وجود وريث للعرش مـن الاسـرة المالكة الاسبانية . فبعد وفاة ملك اسبانيا ارسل"لويس الرابع عشر" حفيده الى اسبانيا لتولى العرش ، فوقفت انجلترا ضد تولى الـدوق الفرنسى عرش اسبانيا فى ذلك الوقت خاصة وأنها كانت تضم اليها ممتلكـات واسـعة مثـل الاراض المنخفضـة ومـيلان ونـابلى والمستعمرات الاسبانية فى امريكا .

وهكذا رفضت انجلترا تولى هذا الدوق عرش اسبانيا خشية ان تنضم اسبانيا بمستعمراتها الى التاج الفرنسى فى يوم من الايام ، وبذلك يختل التوازن الدولى الذى حرصت انجلترا على التمسك به وعلى تطبيقه ، لما فى ذلك من تحقيق للمصالح الانجليزية ، ولهذا لجأت الى تكوين تحالف دولى منها ومن هولندا والنمسا وروسـيا ضد فرنسا ، وقامت بين المعسكرين حرب سميت حرب الوراثـة الاسبانية وقد امتدت من عام ١٧٠٠ – ١٧١٣ وانتهت تلك الحرب بعقد صلح "اوترخت Utricht" فـى عـام ١٧١٣ ، وبمقتضـى الصلح استولت انجلترا على المستعمرات الفرنسية فى امريكا وهى "نيوفوندلند" و "نوفاسكوشيا " و " خليج هدسون " وجبل طارق فـى البحر المتوسط.

والجدير بالذكر ان صلح "اوترخت" لم يكن نهاية الصراع الذى نشب بين الفرنسيين والانجليز ، اذ قام صراع آخر فى عام ١٧٤٤ نتيجة للمشكلة التى ثارت حول وراثة العرش النمساوى ووجد هذا الصراع الذى نشأ فى اوربا صداه فى المستعمرات الامريكية فتجدد النزاع من جديد وتنافس الطرفان حول الاستيلاء على وادى نهر " أوهايد" الخصيب واستمرت الحرب سجالا بين الطرفين ، ولكن سرعان ماتجددت تلك الحرب بشكل اكبر وعلى نطاق أوسع وهى ما سميت بحرب السنوات السبع التى امتدت من عام ١٧٥٦ - ١٧٦٣ . وسبب نشوب هذه الحرب فى أوربا اولا هو هجوم الملك " فردريك الأول " ملك بروسيا على الممتلكات النمساوية وانتزاعه اقليم " سيليزيا " من النمسا . وانضم إليه فى هذا النزاع فرنسا وولايات " بافاريا" و " سكونيا" وسافوى ، وانتهى هذا النزاع بصلح وبعقد معاهدة "برسلاو " فى عام ١٧٤٢.

غير انه قد حدث بعد ذلك ان تركت النمسا محالفة صديقتها انجلترا وحالفت عدوتها فرنسا ، وانضم إلى جانبهما الروس والسويد ضد بروسيا وانجلترا. حدث هذا فى أوربا وانعكس على المستعمرات الأمريكية .فقد أخذت انجلترا تقوم بهجمات فاشلة على وادى نهر "اوهايو " كما اخذ الفرنسيون وحلفاؤهم من الهنود الحمر فى مهاجمه المستعمرات الإنجليزية .ولم تكن المستعمرات

الإنجليزية فى ذلك الوقت فى حاله تمكنها من صد هـذا العـدوان نظرا لتشتت شملها وعدم الاتفاق على رأى معين للوقـوف ضـد الخطر الفرنسى ، ونظرا للصراع الذى نشـب بـين حكـام تلـك المستعمرات وبين الأهالي حول الاستئثار بالسلطة .

على أن ثمة عوامل أخرى ساعدت على ضعف المستعمرات الإنجليزية منها أن المبادىء التى حصل عليها الإنجليـز نتيجـة للثورة المجيدة فى عام ١٦٨٨.هذا المبادىء الدستورية الهامة لـم تحاول انجلترا تطبيقها فى تلك المستعمرات ، بل نظرت الحكومـة الإنجليزية على أنها مناطق نفوذ واستغلال لا يرقـى أهلهـا إلـى مصاف الشعب الإنجليزى .بل أن الحكومة الإنجليرية أصدرت عدة قرارات تتعلق بالملاحة Navigation Acts فى تلك المستعمرات {١٦٥١ -١٦٦٠} وقد راعت فى وضع تلك القرارات أن تحقـق المصالح الانجليرية تحقيقـا تامـا دون مراعـاة لمصـلحة تلـك المستعمرات (1) هدا إلى جانب أن الحكومة الإنجليرية كانت تنظر إلى الضباط الأمريكيين نظره تقل عـن نظرتهـا إلـى زملائهـم الإنجليز. لكل هذه العوامل لم تتكاتف المستعمرات الإنجليزية للدود عن حياضها ضد الخطر الفرنسـى الـدى يتهـددها مـن قبـل المستعمرات الفرنسية .

---

(1) محمد السروجى (دكتور) سياسة الولايات الخارجية . ص١١

على أن هذه الأحوال سوف تتغير نتيجة للجهود التي قام بها الوزير الانجليزى "وليم بت William Pitt " حيث حاول أصلاح العيوب الموجودة فى تلك المستعمرات وذلك بإصدار أوامره إلـــى الشركات الانجليزية التـــى تقـــوم باســـتثمار أموالهـــا فـــى تلـــك المستعمرات بأن تراعى فى معاملتها مصلحه تلك المستعمرات إلى جانب مصلحه الدولة ، كما انه قد اسند بعض المناصب الرئيســـية إلى الضباط الأمريكيين المحليين ، كما عاملهم نفس المعاملة التـــى يعامل بها الضباط الإنجليز .كذلك حـــاول التخفيـــف مـــن القيـــود الاقتصادية التى فرضتها انجلترا على اقتصـــاديات المســـتعمرات تحقيقا لمصلحتها. وبهذه الإصلاحات العديدة أمكن "لوليم بـــت" أن يعبىء جهود المستعمرات وان يوحدها حول هدف واحد هو الدفاع عن كيانها ضد الغزو الفرنسى .وبهذا استطاعت انجلترا أن تهاجم القلاع الفرنسية التى كانت منبثه حول مستعمراتها من منصب نهر المسيسبي حتى مدينه "كويبك " فى كندا . واســـتطاعت الجيـــوش الانجليزية والأمريكية الاستيلاء على تلك ألمدينه التي تعد من أعظم المدن الفرنسية فى مستعمرة فرنسا الجديدة وذلك فى عـــام ١٧٥٩. ثم تلا سقوط تلك المدينه سقوط مدينه أخرى هى "مونتريال " فـــى عام ١٧٦٠ . وبذلك يتم للإنجليز الاستيلاء علـــى كنـــدا وتطهيـــر المستعمرات الفرنسية من النفوذ الفرنسى . وفىعام ١٧٦١ انضمت

أسبانيا إلى جانب فرنسا وحاول الأسطولان الأسباني والفرنسي انتزاع السيطرة على البحار من الأسطول الانجليزى فلم يستطيعا تحقيق هذا الفرض . ولهذا أرغمت فرنسا على توقيع معاهدة باريس عام ١٧٦٣ ،وتخلت بموجبها عن كندا لانجلترا وكذلك عن كل الأراضى الواقعه شرقى نهر المسيسبي ،كما تخلت أسبانيا أيضا عن مستعمرة فلوريدا نظير استرجاعها لجزيرة كوبا التى احتلتها القوات الانجليزية خلال تلك الحرب.وبذلك تخرج انجلترا من هذه الحرب منتصرة واستطاعت أن تضم إلى ممتلكاتها فى أمريكا أراضى جديدة . غير أن هذا الكسب المطرد لن يلبث أن يزول نتيجة لتشدد انجلترا فى حكمها للمستعمرات الأمريكية مما سيترتب عليه قيام ثورة الاستقلال الأمريكية فى بداية الربع الأخير من القرن الثامن عشر .

ثانيا- ثورة الاستقلال الأمريكية وموقف إنجلترا إزاءها:

بعد أن تم حسم الصراع الإنجليزي الفرنسى لصالح انجلترا فى القارة الأمريكية بعقد معاهدة باريس عام ١٧٦٣ ، فقد كان من المنتظر أن تنظم إنجلترا علاقتها مع المستعمرات الأمريكية حيث تحتفظ لنفسها بحكومة مركزية تشرف على شئون الدفاع والعلاقات الخارجية لتلك المستعمرات وتترك لحكومتها المحلية حرية التصرف فى شئونها الداخلية وفقا لمصالحها الخاصة . غير أن

انجلترا أصرت على التحكم فى الشــئون الداخليــة للمســتعمرات الأمريكية مما أدى إلى اصطدامها بتلك المستعمرات التى أرادت أن تحافظ على كيانها الذاتى ورفضت السيطرة الانجليزية ([1]) ولهــذا ستنفجر الثورة الأمريكية نتيجة لذلك ولعوامــل أخــرى متعــددة نوضحها فيما يلى :-

١-أدى خروج الفرنسيين من المستعمرات الأمريكية الشمالية إلى إشعار سكان المستعمرات الانجليزية بالأمن والطمأنينة بحيث لم يصبحوا من وجهة نظرهم فى حاجة الى حمايــة انجلترا .وترتب على هذا الشعور أن أصــبحوا يضــيقون بالإمتيازات التى يتمتع بها الانجليز من قبل ، ونظروا إلى تلك الامتيازات على أنها شىء لا مبرر له . فإذا كان سكان تلك المستعمرات قد قبلــوا فــى أول الأمــر الامتيــازات الانجليزية فذلك لأنهم كانوا فى حاجة الى حماية انجلتــرا ضد الاعتداءات الفرنسية . أما وقد زال هذا الخطــر فــلا مبرر إذن لإنجلترا لأن تحتفظ بتلك الامتيازات دون مقابل.

٢-أن هذا الصراع الذى نشب بين فرنسا وإنجلترا فى حــرب السنوات السبع كان بمثابة مدرسة عملية لتمــرين الجنــود والضباط الأمريكيين على أعمال الحرب والقتال ، بل لقــد

([1]) محمد مصطفى صفوت (دكتور) : الجمهورية الحديثة ، ص ٤٥.

ظهر تفوقهم فى تلك الحرب على زملائهم من الإنجليز الذين ارتكبوا أخطاء فادحة أثناءها .

٣-أن تلك الحرب قد هيأت للمستعمرات الإنجليزية فرصة ذهبية لتوحيد أفكارها وجهودها فيما يضمن سلامتها وأمنها، وقد انعقد لهذا الغرض مؤتمر فى مستعمرة نيويورك فى عام ١٧٥٤ ورغم أن هذا المؤتمر لم ينجح فى الوصول إلى تلك الغاية إلا أن فكرة عقد المؤتمر قد أوحت إلى تلك المستعمرات ضرورة العمل على توحيد كلمتها وعلى التضامن فيما بينها لدرء الأخطار عنها وتحقيق المصالح المشتركة فيما بينها .

٤-تضارب المصالح الاقتصادية بين إنجلترا ومستعمراتها فى القارة الأمريكية ، خاصة وأن إنجلترا كانت تنظر إلى تلك المستعمرات على أنها موردا للمواد الخام من جهة ولتصريف منتجاتها الصناعية فيها من جهة أخرى . وعلى أساس تلك النظرة فرضت من القيود ومن القوانين مايحقق لها هذا الهدف .

ويمكن تقسيم تلك القوانين الاقتصادية التى وضعتها إنجلترا دون مراعاة من جانبها لصالح تلك المستعمرات الأمريكية الى أربعة أقسام على النحو التالى :-

١- تحديد إنجلترا لأنواع الصادرات والواردات التي أبيح لسكان المستعمرات التعامل فيها مع الدول الأخرى فألزمت إنجلترا تلك المستعمرات بألا تصدر أو تستورد من أوربا أو غيرها من الدول بضائع إلا على سفن يقودها بحارة من الإنجليز . ومعنى هذا أن تستأثر إنجلترا بأجور نقل تلك البضائع إلى أوربا . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن تحول بين تلك المستعمرات وبين تكوين أسطول تجارى كبير ينافس الأسطول التجارى الإنجليزى فى التجارة مع أمريكا . بل لقد تجاوزت إنجلترا هذا الحد بفرض ضرائب عالية على الواردات التى تستوردها المستعمرات الأمريكية من غير إنجلترا . ولهذا لجأ المستعمرون إلى تهريب تلك البضائع حتى لاتفرض عليها الضرائب العالية .

٢-حرمت إنجلترا على مستعمراتها الأمريكية إقامة أنواع خاصة من الصناعات مثل صناعة الأقمشة الصوفية ومنتجات الفولاذ وصناعة القبعات وذلك لتبقى تلك المستعمرات سوقا رائجة لتصريف المنتجات الإنجليزية فى القارة الأمريكية .

٣-حرمت إنجلترا على مستعمراتها الأمريكية تصدير أنواع التبغ والقطران وزيت التربنتينا إلا أن إنجلترا نفسها قد

احتكرت تلك الأصناف لمصلحتها الخاصة دون أن تتعرض تلك السلع للمنافسات التجارية أو لقانون العرض والطلب مما يتنافى مع مصلحة تلك المستعمرات .

٤-أن الحكومة الانجليزية سنت بعض القوانين التي تكفل حماية الدائنين الانجليز ، كما حرمت على تلك المستعمرات إصدار الأوراق النقدية حتى لايحدث تضخم مالى فى العملة ويترتب عليه الإخلال بإقتصاديات البلاد ، وإلحاق الضرر بمصلحة الدائنين .

من كل ذلك نرى أن إنجلترا قد ذهبت إلى أبعد الحدود فى إخضاع إقتصاديات تلك المستعمرات وذلك نتيجة لتكتل رجال الصناعة من الإنجليز وضغطهم على الحكومة الإنجليزية لإتخاذ أمثال تلك القرارات حماية لمصالحهم فى القارة الأمريكية وفى عام ١٦٦٠ تشكلت لجنة إنجليزية للإشراف على تنظيم إقتصاديات المستعمرات ، ومراقبة تنفيذ تلك القوانين السالفة الذكر تنفيذا دقيقا وخول لها من السلطة مايمكنها من إلغاء كافة التشريعات التى تصدرها حكومات المستعمرات المحلية والتى تتعارض مع تلك اللوائح والقوانين . ولكن بالرغم من ذلك فلم تراعى تلك القوانين بدقة بل كثرت مخالفتها . وقد استغل سكان المستعمرات قيام حرب السنوات السبع بين إنجلترا وفرنسا فى خرق تلك القوانين والاتجار

مع الفرنسيين خلسة وبيعهم العتاد الحربي والذخائر ، بقصد الإثراء السريع وجمع المال حتى ولو عن طريق مساعدة الفريق الفرنسي . غير أن تلك الحالة التى سادت فترة الحرب قد انتهت بإنتهائها فما أن وضعت الحرب أوزارها إلا وبدأت إنجلترا فى تنظيم شئون المستعمرات وفى محاولة تنفيذ هذه القوانين الاقتصادية تنفيذا دقيقا. فأدى هذا بطبيعة الحال إلى زيادة تذمر المستعمرين .

وإلى جانب تمتع إنجلترا بتلك الامتيازات الواسعة ، فقد تمتعت أيضا المستعمرات الإنجليزية ببعض الامتيازات نتيجة لوضعها السياسى وبالنسبة لإنجلترا فمما لاشك فيه أن صادرات تلك المستعمرات إلى إنجلترا قد فرضت عليها ضريبة بسيطة تخالف تلك الضريبة التى تفرضها إنجلترا على سائر الوردات اليها . كذلك شجعت إنجلترا بعض المنتجات الزراعية الخاصة مثل زراعة التبغ إذ حرمت زراعة هذا النوع من المحصول فى إنجلترا أو فى أيرلندا تشجيعا للتبغ الأمريكى على الازدياد والانتشار .

وعلى الرغم من استفادة المستعمرات الانجليزية فى أمريكا من الاتفاقات التجارية التى عقدتها انجلترا مع غيرها من الدول ، فضلا عن تمتع لتجارة بحماية الأسطول الانجليزى لها ، فإن تلك المستعمرات لن تقيم وزنا للحكومة الانجليزية عندما تتعارض

مصلحتها الخاصة مع مصلحة إنجلترا ، ولما عـرف عـن تلـك المستعمرات من نزعة فردية وحب للاستقلال عن انجلترا فى كـل شئونها من اقتصادية وسياسية .و قد استمر هذا النزاع بين إنجلترا وبين تلك المستعمرات ما يقرب من قرن من الزمان .

ولهذا فإن السبب المباشر لقيام الثورة ضد الحكم الإنجليزي فى القارة الأمريكية لم يكن نتيجة لتعنت الملك جورج الثالث ملـك إنجلترا وتمسكه بتنفيذ ما يصدره من قوانين على تلك المستعمرات ، بل أن السبب أعمق من ذلك بكثير وترجع جذوره إلى ما يقـرب من قرن من الزمان .

ومن أبرز الأسباب التـى طـرأت علـى الموقـف بـين المستعمرات الأمريكية وإنجلترا هى مشكلة المستعمرات الفرنسـية التى وقعت فى أيدي إنجلترا ، أو ما كان يطلق عليه فى ذلك الوقت اسم مشكلة الأراضي الغربية . فإنجلترا بعـد أن اسـتولت علـى مستعمرات فرنسا فى أمريكا لم تكن تدرى أى نوع من نظم الحكم يمكن تطبيقه على تلك المستعمرات كما لم تكن على علم بإمكانياتها فى التصرف فى أراضى تلك المستعمرات الجديدة . ولهذا ترددت إنجلترا فى أن تتخذ موقفا حاسما منها فى الوقت الذى لجـأت فيـه فرنسا إى تحريض الهنود الحمر الموالين لها على الثـورة ضـد

إنجلترا ، وعلى مهاجمة مستعمراتها الإنجليزية ، لأنها كانت تأمل في إسترجاع تلك المستعمرات مرة ثانية في يوم من الأيام .

وقد نجحت تلك الأساليب الفرنسية في قيام ثورة عام ١٧٦٣ قام بها الهنود الحمر ضد الحكم الانجليزي ، فهاجموا المستعمرات الإنجليزية واستولوا على كثير من القلاع في الأراضي الغربية ، وواجه الإنجليز تلك الثورة العاتية التي يرجع سببها إلى تحريض فرنسا من ناحية وإلى تنافس الهنود الحمر مع الإنجليز على مناطق صيد الحيوانات والفراء . هذا بالاضافة لأن فرنسا كانت تمنح هؤلاء الهنود بعض المساعدات المادية ولكن عندما خضعوا لحكم إنجلترا رفضت منحهم ما كانوا يتلقونه من عون .

ومن ناحية أخرى حاولت إنجلترا أن تتصرف في الأراضي الجديدة التي تخلفت عن انسحاب الفرنسيين من تلك المستعمرات ولهذا قررت في ١٧٦٣ إنشاء ثلاث مستعمرات ملكية هي مستعمرة فلوريدا و غرين فلوريدا و كويبك . أما باقي الأراضي الغربية الواقعة بين جبال الأبلاش وبين مجرى نهر الميسيسبي فقد خصصت للهنود الحمر . وحرم على المستعمرين إمتلاك الأراضي وقد كان لهذا القرار أسوأ الأثر في نفوس المستعمرين ، إذ ظن هؤلاء بأن المقصود من هذا القرار هو وضع

حد لتوسع المستعمرات الإنجليزية نحو الغرب .وكانت أكثر تلك المستعمرات تشوقا نحو تلك الأراضى الجديدة هى مستعمرة " فرجينيا Virginia " ، تلك المستعمرة التى ضحت بالكثير من الأموال والأنفس فى حرب السنوات السبع بغية الوصول إلى أراضى جديدة تكون مجالا حيويا لها نحو الغرب .

بل ان هذا التذمر قد أدى أيضا إلى أن شركات الأراضى قد حيل بينها وبين استغلال تلك المناطق الجديدة . هذا بالإضافة إلى أن المحاربين الأمريكيين قد وعدوا خلال تلك الحرب بمنحهم بعض الأراضى فى تلك المستعمرات الجديدة فى أمريكا مكافأة لهم على بلائهم كذلك أصدرت الحكومة الإنجليزية قرارا بضم الأراضى الواقعة فى وادى " أوهايو " إلى مستعمرة "كويبك " ، وكانت تلك الأراضى الخصبة مطمعا للمستعمرات الإنجليزية المجاورة .

وجدير بالذكر أن مشكلة الأراضى الغربية أعتبرت من أهم المشاكل التى أدت الى قيام النزاع بين الجانبين . ولم تكتفى الحكومة الإنجليزية بذلك بل أنها فكرت فى وضع حامية إنجليزية قوامها ١١ ألف جندى فى تلك المستعمرات لإعتقادها بعدم مقدرة الجنود الأمريكيين. وفى نفس الوقت فقد فرضت على تلك المستعمرات ضريبة جديدة لمواجهة النفقات المترتبة على وجود

مثل تلك القوة ، ولو أن تلك الضرائب لم تغطى سوى ثلث نفقات القوة .

وبالرغم من أن الحكومة الإنجليزية قد فرضت الضرائب المرتفعة على الصادرات والواردات لتلك المستعمرات من غير أن إنجلترا ، إلا أن حصيلة تلك الضرائب كانت قليلة نظرا لعمليات التهريب التى كانت تجرى على نطاق واسع . ولهذا فكرت إنجلترا فى فرض ضريبة جديدة على تلك المستعمرات تتلخص فى فرض ضريبة دمغة على جميع الأوراق الرسمية التى تقدم الى الهيئات العامة أو التى يتعامل بها الأهالى مع تلك الهيئات .غير أن الحكومة الانجليزية لم تشأ أن تفرض تلك الضريبة من تلقاء نفسها بل عرضت تلك الفكرة على المستعمرات الإنجليزية لأخذ رأيها فيها حتى إذا ما رفضت تلك المستعمرات الأخذ بتلك الفكرة كان عليها أن تفكر فى باب آخر يمكن أن تحصل منه ضريبة توازى النفقات التى تتحملها الحكومة الإنجليزية فى إدارة شئون تلك المستعمرات ولكن البرلمانات المحلية رفضت تلك الضريبة بل رفضت مبدأ الضرائب بصفة عامة فأضطر البرلمان الإنجليزى إلى إصدار هذا القانون فى فبراير عام ١٧٦٥ دون النظر إلى الاحتجاجات المتتالية من قبل سكان المستعمرات . إذ رأى هؤلاء أنه لايجوز ألأن تفرض عليهم ضرائب من قبل برلمان يبعد عن

مستعمرتهم كل البعد ولا يوجد بين أعضائه من يمثـل مصـــالحها ولهذا اجتمع مندوبون عن تلك المستعمرات فى مدينة نيويورك فى عام ١٧٦٥ للنظر فى هذا القانون والنظر فى مبدأ فرض الضرائب ويعتبر هذا الإجماع بحق خطوة خطيرة من قبل تلك المســتعمرات نحو توحيد مجهوداتها وتقريب أفكارها لمواجهة الخطر الإنجليزى.

وقد أعلن المؤتمرون أنه مـــع تمســكهم بــالولاء للعــرش الإنجليزى إلا أنهم لا يتمتعون بنفس الحقوق والامتيازات التى يتمتع بها الشعب الإنجليزى ومن تلك الحقوق حقهم فى رفض أى ضريبة تفرض عليهم بغير إرادتهم من برلمان لايمثل مصالحهم الحقيقيــة وقابل سكان المستعمرات هذا الإجراء من جانب إنجلترا بمقاطعــة البضائع الإنجليزية فقلت الواردات من إنجلترا وأصــيبت التجــارة الإنجليزية بضربة شديدة . كما صمم ســكان المســتعمرات علــى تجاهل قانون الدمغة والتعامل فيما بينهم دون الالتجاء إلــى تلــك الطوابع فاضطرت الحكومة الإنجليزية تحــت ضــغط أصــحاب رؤوس الأموال الإنجليزية ونتيجة لكساد التجارة الإنجليزيـــة إلـــى الرضوخ لإدارة تلك المستعمرات وإلغاء تلك الضريبة .

ولكن إنجلترا فى نفس الوقت تمسكت بمبدأ حـــق البرلمـــان الإنجليزى فى فرض الضرائب بصفة عامة على جميـــع أجـــزاء

الإمبراطورية البريطانية كما لجأت الحكومة الإنجليزية أيضا إلـــى إصدار قرار يلزم المستعمرين بإيواء الجنود الأنجليز وبتزويـــدهم بالأسلحة والعتاد عند الحاجة إليهم وزاد هذا بطبيعة الحال من روح التذمر لدى سكان تلك المستعمرات وتمسك البرلمـــان الإنجليـــزى بحقه فى فرض الضرائب كما تمسك سكان المستعمرات بعكس هذا المبدأ وهو عدم أحقية البرلمان الإنجليزى فى فرض أى ضـــريبة تمس المستعمرات فكان لابد إذن من التوفيق بين هذين المبدأين وأن تراعى الحكومة الإنجليزية مصلحة تلك المستعمرات إلـــى جانـــب مصلحتها هى ولكن ركبت رأسها ولجأت إلى تشديد الرقابة علـــى تنفيذ قوانين الملاحة وعلى فرض الضرائب على الـــواردات مـــن المناطق الأخرى إلى تلك المستعمرات .

وهنا لجأ سكان المستعمرات مرة أخرى الى ســـلاحهم القـــديم إلا وهو مقاطعة البضائع الإنجليزيـــة ، وعـــدم تصـــدير المنتجـــات الأمريكية الى انجلتـــرا وقامـــت فـــى ذلـــك الوقـــت مســـتعمرة " ماساتشوستس" بتقديم لائحة جديدة للمستعمرات وطلبت تأييدها فى المبادىء التى تضمنتها تلك اللائحة وهى معارضتها لمبدأ فـــرض الضرائب دون عرضها على برلمانات المستعمرات الأمريكيـــة . وقد إحتجت إنجلترا على هذا الإجراء ولجأت إلى تهديد مســـتعمرة ماساتشوستس وفى هذا الجو المضطرب نشبت معركة فى مدينة " بوسطن " فى عام ١٧٧٠ بين أهالى تلـــك المدينـــة وبـــين جنـــود

الإنجليز ذهب ضحيتها أربعة من الأهالى فقام سكان المستعمرات بإطلاق كلمة مذبحة على تلك المعركة والتهويل من شأنها لإثارة الرأى العام ضد إنجلترا وإتخاذ هذه المعركة مادة لمهاجمة تصرفاتها فى تلك المستعمرات ، فاضطرت الحكومة الإنجليزية أمام تلك الثورة إلى التراجع وإلى إلغاء جميع الضرائب التى فرضتها على الواردات إلى المستعمرات الأمريكية فيما عدا ضريبة الشاى التى تمسكت بها للاحتفاظ بحقها فى مبدأ فرض الضرائب .وقد أصبح هذا الخلاف اذن بعد تنازل اجلترا عن تلك الضرائب المختلفة على المبدأ فقط ،لأن ضريبة الشاى كانت بسيطة جدا الى درجة أن الشاى الوارد الى تلك المستعمرات كان يباع فيها بثمن أقل بكثير مما كان يباع فى إنجلترا نفسها ، وتصادف فى ذلك الوقت وهو عام ١٧٧٣ أن رغبت الحكومة الانجليزية فى مساعدة شركة الهند الشرقية الانجليزية على تصريف المخزون لديها من الشاى فى تلك المستعمرات .ولكن سكان المستعمرات رفضوا قبول هذا الشاى لأن إنجلترا تمسكت بحقها فى فرض الضريبة على هذا النوع من المنتجات الزراعية . فقام أهالى نيويورك وفيلاديلفيا بمطاردة السفن المحملة بالشاى وارغامها على العودة الى عرض البحر دون أن تستطيع تفريغ حمولتها فى هذين الميناءين.

غير أن أهالى ميناء " بوسطن " ذهبوا الى أبعد مــن هــذا الحد، إذ تزعم أحد المتطرفين ويدعى " صمويل آدامز " فريقا مــن الأحرار وتزيوا فى زى حمالة من الهنود الحمــر ، واســتطاعوا الوصول الى السفن المحملة بالشاى وألقوا ما بها من شــاى فــى عرض البحر . فثارت الحكومة الإنجليزية واعتبرت هــذا العمــل تحديا لسلطتها ولجأت الى إتخاذ اجراءات عنيفة وفرض عقوبــات صارمة رغم معارضة المعتدلين من الساسة الإنجليز لهذه السياسة الهوجاء .ونصحوا الحكومة الإنجليزية بضرورة التروى والاعتدال ولكنها أصدرت عدة قرارات تتلخص فى الحد من سلطة حكومــة مستعمرة " ماساتشوستس" فى تصريف شــئون تلــك المســتعمرة وكذلك تنصيب القائد العــام الإنجليــزي حاكمــا عســكريا عامــا للمستعمرات . كما فرضت على ميناء بوسطن غرامة ثمن الشــاى الذى ألقى فى عرض البحر . كما قامت بإغلاق هذا الميناء حتــى يقوم الأهالى بدفع تلك الغرامة ، وقد أدت تلك الإجراءات بطبيعــة الحال الى زيادة روح التذمر والسخط .

وهنا دعت ولاية " فرجينيــا " فــى ذلــك الوقــت ســائر المستعمرات الأخرى لارسال مندوبين عنها للاجتماع الذى حــدث فى مدينة " فيلاديلفيا " فى ٥ سبتمبر ١٧٧٤ . وقــد عــرف هــذا المؤتمر باسم " الكونجرس الأول " وسيكون من بــين المنــدوبين

شخصيات هامة سيلمع اسمها فى تاريخ الولايات المتحدة مثل " جورج واشنطن " و " بنيامين فرانكلين " و " جان آدامز " وأصدر هذا الكونجرس عدة قرارات مضادة للقرارات الانجليزية وكانت على جانب كبير من الأهمية . وتتلخص تلك القرارات فى الاعتراف بحق المستعمرات المطلق فى ادارة شئونها الداخلية بموافقة الملك فقط أما البرلمان الإنجليزى فليس له حق التدخل فى الشئون الداخلية لتلك المستعمرات بل أن واجبه يتلخص فى تنظيم التجارة الخارجية فيما يعود بالنفع على جميع شعوب الإمبراطورية البريطانية . كما قرر هذا المجلس مقاطعة انجلترا تجاريا ، والوقوف الى جانب مستعمرة " ماساتشوستس " فى محنتها ، ومؤازرتها فى مواجهة الضغط الإنجليزى .

ومما لاشك فيه أن الظروف كانت مهيأة لحدوث هذا الانفجار ، وذلك لتمسك كلا الطرفين بمبدأه فى فرض الضريبة . وقد أيقن سكان المستعمرات أن الحرب آتية لا محالة ، فاستعدوا لذلك اليوم ، وبدأوا يشترون الأسلحة . وقد لعبت فرنسا فى تلك الآونة دورا خطيرا فى إمداد تلك المستعمرات بالأسلحة المختلفة وبالمدربين .وقد علم القائد الإنجليزى بما أضمره سكان المستعمرات وتأكد بأنه مهاجم فى ميناء " بوسطن " فى أى وقت من الأوقات . ولهذا فقد احتاط للأمر وارسل فى مساء ١٨ أبريل

عام ١٧٧٥ قوة حربية قوامها ٨٠٠ جندى انجليزى الـــى ضـــاحية قريبة من ميناء " بوسطن " للإستيلاء على بعض الذخائر والمهمات الموجودة هناك .وقد علم الأهالى بما عزم عليه القائد الإنجليـــزى فاتخذوا للأمر عدته ، وبثوا بعض العيون حول تلك المنطقة ، حتى إذا ما حاول الإنجليز مهاجمتها كان على هؤلاء العيون أن يصدروا اشارة الى مندوبين آخرين للاستعداد ومهاجمة الحامية الانجليزيـــة وتتلخص هذه الإشارة فى رفع مصباح مشتعل حينما تصل القـــوة الإنجليزية فوق قمة أحد أبراج كنيسة قريبة من هذا المكان . وكان على أحد الأحرار الأمريكيين ويدعى " بول ريفر" بأن يتلقى تلـــك الإشارة ثم يمتطى صهوة جواد ليعلن الى الأهالى هذا النبـــأ حتـــى يستعدوا للأمر . ونتيجة لذلك نشبت بين الفريقين أى بين الأهـــالى والجنود الإنجليز معركة دامية هزم فيها الأهالى واستطاعت القوات الإنجليزية أن تستولى على الأسلحة والذخائر .ولكن فى أثناء عودة تلك الحامية ستهاجم من جانبى الطريق ويقضى عليها قضاءا تاما. وبذلك يحقق سكان المستعمرات انتصارا تصل أنباؤه سريعا الـــى بقية المستعمرات ، فاجتمع شمل سكانها ووثقوا فى أنفسهم وتمادوا فى مقاومة النفوذ الإنجليزى فى المستعمرات الأمريكية .

وقد تجمعت قوات المستعمرات الشمالية وحاصرت مينـــاء " بوسطن " ووقع بين الطرفين صراع عنيف فـــى يـــومى ١٦، ١٧

يونيو ١٧٧٥ انتصر فيها الأمريكيون مرة ثانية فقويت روحهم المعنوية وشجعهم هذا على التمرد على المسئولين الإنجليز ، فطردوا الموظفين الإنجليز الذين كانوا يتولون بعض المناصب العامة . فلم يصبح اذن هناك مجالا لحل هذا النزاع بالطرق الودية بعد أن احتكم الطرفان الى السلاح وكان لابد لأحد الطرفين أن ينتصر على الآخر حتى يضع حد لتلك المشكلة .

وهكذا دفعت تلك المناوشات الأولى الطرفين الى الاستعداد والتأهب لخوض معركة طويلة ، فاجتمع الكونجرس الثانى فى ١٠ مايو ١٧٧٥ ، وفى هذا الاجتماع قرر أعضاء الكونجرس تنظيم خطة للدفاع وتعيين " جورج واشنطن " قائدا عاما للقوات الأمريكية وكذلك رفع الكونجرس ملتمسا الى ملك إنجلترا تبرر فيه المستعمرات هذا التصرف من جانبها ، وتلقى تبعة تلك النتائج على تعنت الحكومة الإنجليزية الذى لا مبرر له . وفى نفس الوقت تؤكد تلك المستعمرات بأنها لاتبغى من وراء تلك الحركة الانفصال عن الإمبراطورية البريطانية ولكن هدفها هو التمتع بحقوقها كاملة كما يتمتع بها سائر الشعب الإنجليزى . ولكن ملك إنجلترا لم يقبل هذا التبرير بل أصر على اخماد تلك الثورة بالقوة وأعلن بأن تلك المستعمرات قد أصبحت فى حالة عصيان تام ، واستخدم الجنود الألمان المستأجرين لقمع الثورة فى المستعمرات الأمريكية .....

ومن الواضح أن انجلترا لم تقابل هذا التصرف من جانب المستعمرات الأمريكية بشيء من التعقل أو الحزم ، ولذلك سيلجأ الثوار الى تنظيم شئونهم الداخلية والى ايجاد نوع من التمثيل الدبلوماسي لدى الدول الأوربية المختلفة ، ليضمنوا بذلك تأييدها وعطفها على الثورة كما قام الكونجرس الأمريكي بتنظيم شئون الدفاع الداخلي ، وتكتيل القوى الأمريكية لمواجهة هذا الصراع الخطير . وقد تصرف الكونجرس هذا التصرف الذى يدل على تمتع الولايات المتحدة بحرية واستقلال شانها فى ذلك شأن سائر الدول الأخرى . فأنشأت علاقات دبلوماسية مع الدول الأوربية عمل لايقدم عليه إلا كل دولة مستقلة ذات سيادة على أراضيها .

ويلاحظ أن الكونجرس الأمريكي على الرغم من كل ما قام به من إجراءات استقلالية إلا أنه لم يعلن الاستقلال والانفصال عن الامبراطورية البريطانية . والسبب فى ذلك يرجع الى أن الظروف لم تكن مواتية فى ذلك الوقت للأمريكيين لاعلان استقلالهم فطبقة رجال الدين وطبقة كبار رجال الاقطاع وأصحاب الأعمال كانت مصلحتها ترتبط ارتباطا وثيقا بمصلحة إنجلترا . ولهذا فهى لاتحبذ فكرة الانفصال ، لأن هذا سيحرمها من الميزات التى تتمتع بها فى سائر أنحاء الإمبراطورية البريطانية هذا من جهة .ومن جهة أخرى فإن العنصر الغالب فى المستعمرات الأمريكية هو العنصر

الإنجليزى وكان هذا العنصر يعطف على موطنه الأصلى إنجلترا . فليس إذن من السهل أن تقطع أمريكا علاقتها بإنجلترا فى الجولة الأولى من هذا الصراع خاصة وأن الناحية العاطفية لعبت دورا هاما فى تأخير إعلان هذا الاستقلال . هذا فضلا عن خشية بعض سكان المستعمرات من أن يؤدى انسحاب إنجلترا من مستعمراتها سيذهب بما للمستعمرات من حقوق وتخضع البلاد لحكم دكتاتوري لايمكن التخلص منه بسهولة .

واذا كانت فكرة انفصال الولايات الأمريكية من الامبراطورية البريطانية قد صادفت بعض العقبات فى أول الأمر غير أن التجاء إنجلترا الى الشدة والعنف واستخدام العناصر الألمانية فى إخماد الثورة ، الى جانب ظهور بعض المفكرين الذين حاولوا بكتاباتهم أن يوضحوا للشعب الأمريكى بأن الجمع بين المصالح الانجليزية ومصالح المستعمرات أمر مستحيل ، وأن طبيعة الأحداث تدفع الأمريكيين دفعا إى الاستقلال والانفصال . وقد أثرت تلك الكتابات فى الشعب الأمريكى تأثيرا كبيرا ومالت الأغلبية منه إلى الأخذ بفكرة الانفصال .

ثالثا- إعلان قيام الولايات المتحدة الأمريكية:

ترتب على نجاح الثورة الأمريكية أن اجتمع الكونجرس الأمريكي في ٢ يوليو عام ١٧٧٦ وقرر أن المستعمرات الأمريكية قد أصبحت مستقلة وذات سيادة ولا تربطها صلة بالامبراطورية أو بالتاج الإنجليزي . وفي ٤ يوليو من نفس السنة وافق الكونجرس على لائحة الاستقلال الأمريكية ، تلك اللائحة التي قررت استقلال الولايات المتحدة عن إنجلترا وبررت هذا الاستقلال . وفي نفس الوقت تضمنت تلك اللائحة المبادئ الأساسية التي سيقوم عليها الحكم في الولايات المتحدة فيما بعد ، فقضت اللائحة على أن لناس ولدوا أحرارا متساوين في الحقوق والواجبات وأن مهمة الحكومة هي المحافظة على تلك الحقوق والواجبات تحقيقا لسعادة الفرد والمجموع وأن الحكومة الغاشمة لاتمثل رغبات الشعب ويحق له استبدالها وتعيين أخرى بدلا منها على أساس من العدل والحرية .

وواضح أن الدستور الأمريكي قد أخذ بفكرة " جان جاك روسو " في كتابه العقد الاجتماعي Contract Social الذي نادى به في فرنسا والذي طبقته الولايات المتحدة قبل أن طبقه فرنسا نفسها. وهذا سيدفع الثوار الفرنسيين الى ألخذ بتلك النظرية بعد أن نجحت آراء روسو في تحقيق مجتمع جديد في ظل الحرية والمساواة.

وسنجد أن الأمريكيين ينفذون تلك المبادىء تنفيذا فعليا (1) اذ تضمنت الدساتير المختلفة للولايات تلك المبادىء وسيقوم على تنفيذها حكومات تؤمن بها وتعمل على سيادتها . وسيكون لها أكبر الأثر فى جمع كلمة تلك المستعمرات والى تشجيعها على المضى فى هذا الصراع الطويل .

ومما لاشك فيه أن قرار الكونجرس الأمريكى فى ٤ يوليو ١٧٧٦ بالموافقة على لائحة الاستقلال الأمريكية كان خطوة موفقة لأنها ستدفع الأمريكيين الى الدفاع عن استقلالهم وعن شىء يمتلكونه ، لا عن شىء يسعون لتحقيقه . فهذا القرار قد وضعهم أمام الأمر الواقع ، وجعلهم يستميتون فى الدفاع عن هذا الاستقلال الذى أعلنوه بمحض إرادتهم . ولم يقف الكونجرس الأمريكى عند هذا الحد ، بل أنه أخذ فى تنفيذ نصوص لائحة الاستقلال الأمريكية على الدساتير القائمة فى الولايات الأمريكية وسنجد أن الشعب الأمريكى سينقسم على نفسه الى قسمين :- قسم يؤيد الانفصال عن الامبراطورية البريطانية وهو عامة الشعب ، أما القسم الآخر الذى يتكون من أصحاب الاقطاعات وكبار رجال المال والاقتصاد فى أمريكا وكذلك رجال الدين فقد كان يميل الى الأخذ بمبدأ عدم

---

(1) محمد مصطفى صفوت (دكتور) : الجمهورية الحديثة ، ص٤٧

الانفصال وقد وجد هذا الفريق اضطهاد كبير من الفريـــق الآخــر فهاجر منه عدد كبير إلى كندا وإلى إنجلترا نفسها .

وإذا قارنا بـين قــوة الجــانبين الإنجليــزى والأمريكــى المتصارعين فإننا سنجد أن إنجلترا كانت تتمتع بقوة حربية كبيرة ، وتمتلك أسطولا بحريا عظيما له السيادة على البحار ويســتطيع أن يحاصر الشواطىء الأمريكية ويمنع كل عون الى تلك المستعمرات . أما الجانب الآخر وهو جانب الثوار فكان يفتقر فى حقيقة الأمــر الى كل مقومات القوى الحربية اذ كان يفتقر أولا الى العدة ، كمــا كان يفتقر الى الرجال لأن نظام التجنيد فى ذلك الوقت لــم يكــن اجباريا كما لم تكن هناك هيئة عليا تستطيع أن تنظم التعبئة العامــة وأن تفرض على كل ولاية من الولايات أن تقدم قدرا معينا مــن الرجال أو المال بل كان التجنيد اختياريا ، كما كانت الأموال التــى تنفق على العمليات الحربية تأتى عن طريق الهبات القليلــة التــى تجود بها تلك المستعمرات للمساهمة فى هذا الصراع ولهــذا لجــأ الكونجرس الذى لم تكن له السلطة فى اجبار تلك الولايــات علــى اتخاذ موقف معين من تلك الحرب اذا اضطر الى اصــدار اوراق نقدية لتغطية نفقات الحرب كان من نتيجتها احداث تضــخم مــالى كبير أخل بالتوازن الاقتصادى الأمريكى وادى الى ارتفاع أثمــان نفقات المعيشة ولم يكن يتمتع هذا الجانب سوى بايمانه العميق فــى

حريته واستقلاله كماكان من حسن حظ هذا الفريق ان وجد علـــى رأسه شخصية قادرة هى شخصية " جورج واشنطن " .

وفى اليوم السابع والعشرين من اغسطس عام ١٧٧٦ حدثت بين الجانبين المتصارعين معركة بالقرب من مدينة " نيويـــورك " انهزم فيها " جورج واشنطن" ورفاقه فالتجأوا بفلول جيشـــهم الـــى ولاية" نيوجرسى " للاعتصام بها ، ولكنه ما لبث أن أعاد تنظـــيم قواته، وقام بهجوم مفاجىء على فرقة انجليزية بالقرب من مدينـــة " ترنتون " فهزمها واسر منها مايقرب من الف مقاتل . ثم اتجه بعد ذلك صوب مدينة " برنستون " فى ٣ يناير عام ١٧٧٧ ، وقضـــى على الفرقة الانجليزية المعسكرة بتلك المدينة . وقد اضطرت القيادة الانجليزية الى وضع خطة حربية تستطيع بها القضاء على مقاومة الولايات الأمريكية وتمزيق شملها من عدة جهات مختلفة ، فسيرت جيشا وهو الجيش الأول من كندا مخترقا ولاية نيويورك الـــى أن يصل الى مدينة البانى Albany فى ولاية " نيويورك " . والجـــيش الثانى ويسير من جنوب بحيرة " اونتاريو" متجها نحو الجنوب ، ثم يتجه ناحية الشرق لمقابلة الجيش الأول فى مدينة " البانى " ايضا . أما الجيش الثالث فاتخذ طريقه من خليج " هدسون " مخترقا ولايـــة نيويورك لمقابلة الجيشين الآخرين فى نفس المكان .

وعلى الرغم من ضخامة تلك العمليات الحربية فلم يكتب لها النجاح وذلك لعدم استطاعة الجيوش الانجليزية الثلاثة التعاون فيما بينها لتحقيق هذا الهدف . كما انها لم تستطيع ان تصل هذا المكان المتفق عليه فى وقت واحد . فمثلا استطاع جـيش المسـتعمرات الأمريكية من ايقاف زحف الجيش الثانى نحو الشرق ، كما استطاع الجيش الأول الاستيلاء على ميناء " فيلادلفيا " ولكنه لم يتقدم داخل البلاد لمعاونة الجيشين الآخرين فى عملياتهم الحربية . أما الجـيش الثالث فقد استطاع الثوار الاطاحة به فى مدينة ساراتوجا وإرغامه على التسليم فى ١٧ أكتوبر من ١٧٧٧ بعد أن أسروا مـن قواتـه مايقرب من ثلاثة آلاف مقاتل (١) .

ولعلنا نتساءل الآن كيف استطاع الثوار سـكان الولايـات الأمريكية الانتصار على قوات إنجلترا فى تلك المعارك رغم مـا يفتقرون اليه من عتاد ورجال ؟ والجواب على هذا السـؤال انـه يرجع ئ أولا لسكان الولايات الأمريكية وتفانيهم فى الـدفاع عـن استقلالهم وحريتهم . ويرجع الفضل أيضـا لمسـاعدة الحكومـة الفرنسية الفعالة للثوار الأمريكيين فى صراعهم ضـد إنجلتـرا ، ففرنسا التى أخرجت من مستعمراتها الأمريكية بعد صراع طويـل فى حرب السنوات السبع لم تنس لإنجلترا هذا العمل ، بل انتهزت

(١) محمد محمد السروجى (دكتور) : سياسة الولايات المتحدة الخارجية ، ص١٦ .

هذه الفرصة لكى ترد لإنجلترا الصاع صاعين ، وأن تكيل لها بنفس الكيل الذى كالت لها به من قبل فأمدت الثوار الأمريكيين سرا بالأسلحة وبالرجال المدربين الذين استطاعوا إعداد الجيوش الأمريكية إعدادا حربيا راقيا . كما وضع الأسطول الفرنسى فى خدمة تلك الولايات لمحاصرة قطع الأسطول الانجليزى وإبطال مفعول حصاره لتلك الولايات . وكان لهذا العون الفرنسى الكبير أثره فى نجاح مقاومة الأمريكيين ، اذ قامت فرنسا بعبء كبير فى إعداد الجيش الأمريكى بمعظم المعدات الحربية وبنصف رجاله تقريبا . هذا بالاضافة الى ما قام به الأسطول الفرنسى فى المياه الأمريكية لمساعدة الثوار .

وهكذا استطاع الثوار بمساعدة فرنسا الانتصار فى أول الأمر علىالجيش الإنجليزى وسنجد أن انتصار الأمريكيين فى " ساراتوجا " قد شجع فرنسا على المجاهرة بعدائها لانجلترا ، والاعتراف رسميا باستقلال الولايات المتحدة [1] فى اليوم السادس من فبراير عام ١٧٧٨، كما دخلت فى حلف عسكرى مع تلك الولايات هذا بالاضافة الى دخول أسبانيا الحرب وسائر الدول الأوربية تدخل مع الولايات المتحدة فى تمثيل سياسى ، أى تتبادل التمثيل السياسى مع تلك الولايات .

---

(١) محمد مصطفى صفوت (دكتور) : الجمهورية المتحدة ، ص٤٧ .

وإذا استعرضنا العمليات الحربية التي حدثت بعد ذلك وتتلخص في أن " جورج واشنطن " قد عسكر بقواته خلال شتاء ١٧٧٨/١٧٧٧ على بعد عشرين ميلا غرب مدينة " فيلادلفيا" .وفي صيف عام ١٧٧٨ اشتبكت قواته العسكرية مع قوات الإنجليز في ولاية " نيوجرسى " ولم يستطع أحد الطرفين أن يثبت تفوقه على الآخر . ولهذا لجأت إنجلترا إلى محاربة الولايات المتحدة في الميدان الجنوبي ، فترسل جيشا كبيرا تحت قيادة قائد إنجليزي يدعى " كورن واليس Corn Wallis " فاستولى هذا القائد على مدينة " سافانا" بولاية جورجيا وعلى مدينة " تشارلستون" في " ثاوث كارولينا" وذلك في عام ١٧٨٠ ولكنه لم يستطع التوغل داخل الأراضي الأمريكية أكثر من ذلك .

وهنا قام "جورج واشنطن " في ذلك الوقت بجمع أكبر عدد من القوات الأمريكية والفرنسية تحت قيادته لمحاولة الهجوم على القوات الإنجليزية في الجنوب . واستطاع "جورج " بقواته البالغة ستة عشر ألف جندي مهاجمة ميناء " يورك تاون " الذي اعتصم به القائد الإنجليزي " كورن واليس" في نفس الوقت الذي حاصر فيه الأسطول الفرنسي هذا الميناء ، كي يحول بين القوات الإنجليزية وبين الهروب عن طريق البحر ، وبذلك حوصرت القوات الإنجليزية من ناحيتي البر والبحر في آن واحد . وأمام هذا

الحصار الشديد اضطر القائد الإنجليزى " كورن واليس" الى التسليم " لجورج واشنطن " فى اليوم التاسع عشر من أكتوبر عـــام ١٧٨١ بعد أن أسر من قواته مايقرب من ثمانيـــة آلاف مقاتـــل . وبهـــذا النصر الذى أحرزه الأمريكيون يكون الصراع بين الطـــرفين قـــد شارف على النهاية . وتبع ذلك انسحاب القوات الإنجليزيـــة مـــن جميع المدن الأمريكية فيما عدا مدينة " نيويورك " .

وفى اليوم التالى من شهر سبتمبر من عـــام ١٧٨٣ عقـــدت معاهدة الاستقلال النهائية التى اعترفت فيها انجلترا رسميا باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية (١) مع تنازلها للجمهوريـــة الأمريكيـــة عن كل الأراضى الواقعة بين جبال الأبلاش ونهر الميسيسيبي (٢) كما تنازلت لأسبانيا عن ولاية فلوريدا وبهذا التنازل من قبل إنجلترا أتاحت لتلك المستعمرات فرصة التوسع نحو الغرب . وبـــذلك تـــم وضع حد للنزاع بين الطرفين تمهيدا لإيجاد علاقات طيبـــة تتخـــذ أساسا للعلاقات بين تلك الولايات وبين كندا التى كانـــت خاضـــعة للحكم الإنجليزى حينذاك.

(١) محمد محمود السروجى (دكتور) : سياسة الولايات المتحدة الخارجية ، ص١٩

(2) Pratt, Julius W.: A History of United States foreign policy, P.27.

وبعد أن تحقق النصر للولايات المتحدة الأمريكية بحصولها على الاستقلال تنازل القائد العظيم " جورج واشنطن " أمام الكونجرس الأمريكى عن تلك المسئوليات الضخمة التى ألقيت على عاتقه مايقرب من ثمانية سنوات ، ضاربا بذلك أروع الأمثلة لروح الديموقراطية التى اصبحت المثال للشعب الأمريكى بعد ذلك . وسنجد أنه على الرغم من انفصال الولايات المتحدة الأمريكية عن إنجلترا انفصالا سياسيا ، إلا أننا لم تستطع فى حقيقة الأمر أن تنفصل عنها فى النواحى الأخرى . فإذا نظرنا إلى النواحى الثقافية والدستورية والقضائية ، وكذلك الى عادات الأمريكيين والى تقاليدهم نجد أن فترة القرن ونصف التى أمضتها إنجلترا فى حكمها لتلك الولايات قد أثرت فيها الى حد كبير وصبغتها بالصبغة الإنجليزية ولعل هذا هو ما دفع بعض المؤرخين الى اعتبار الصراع بين انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية نوعا من النزاع الذى جرى داخل إنجلترا ذاتها بين عامة الشعب من جهة والأرستقراطية الانجليزية من جهة أخرى .

وكان على الولايات المتحدة الأمريكية بعدأن فازت باستقلالها أن توطد دعائم مركزها السياسي والا تتورط فى حرب خارجية فلا أسلم فى ذلك الوقت من اتباع سياسة السالم والإيمان بمبدا الحياد كما كان على الولايات المتحدة أن توثق الروابط فيما

بينها رغم اختلاف المصالح والأهــواء والأمزجــة لــدى ســكان الولايات . وأصبح يقع على عاتق الولايات المتحدة أن تخلق مــن سكان هذه الولايات المتعددة المنازع شعبا واحدا تربطــه رابطــة قومية وأن تجعل له هدفا واحدا مشتركا (١) . ولهذا جعلت للشئون الخارجية وزارة مختصة للولايات المتحدة كلها ولم يعط ذلك الحق للولايات المنفصلة وجعل الرأى النهائى فى تقريرها لمجلس الشيوخ الأمريكى ووزير الخارجية الأمريكية مسئول أمام رئيس الجمهورية لا أمام ذلك المجلس . وظل رئيس الجمهورية منذ عهد الاســتقلال وحتى وقتنا هذا يتمتع بنفوذ كبير فى تصريف الشــئون الخارجيــة (٢).

وعلى اية حال فإن أستقلال الولايات المتحدة الأمريكية فــى بداية الربع الأخير من القرن الثامن عشر كان حدثا جليلا فى تاريخ العالم الجديد وكان ايذانا بميلاد دولة جديدة ستعيد التوازن مع العالم القديم وستسهم بدور سايجابي فى تاريخ العالم الحديث والمعاصر .

---

(١) محمد مصطفى صفوت (دكتور) : الجمهورية الحديثة ، ص٤٩ .

(٢) محمد محمود السروجى (دكتور) سياسة الولايات المتحدة الخارجية ،ص٢٢

الفصل الرابع

التنافس البريطانى الأمريكى فى جنوب البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر

من أهم النتائج التى أسفر عنها استقلال الولايات المتحدة الأمريكية فىأوائل الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، ظهور التدخل الأمريكى فى أسواق التجارة الشرقية فى المحيط الهندى عامة والبحر الأحمر على وجه الخصوص . تلك الأسواق التى احتكرها الأوربيون منذ مطلع العصور الحديثة وكاد النجليز بصفة خاصة ينفردون بالسيطرة عليها (١) عندما بدأت الطلائع الأولى للتدخل الأمريكى هناك فى الظهور . اذ بدأ بعض المغامرين الأمريكيين فى اوائل القرن التاسع عشر يحومون حول " وعاء العسل " الذى طالما اغترف منه الإنجليز وكادوا يحتكرونه لأنفسهم

(١) Graham, G.S.: Great Britian in the Indian Ocean, 1810-1850, pp.282,287.

احتكارا تاما ولهذا فإن الانجليز سيقفون حائلا دون هــذا التــدخل الأمريكى الذى سيشكل منافسا خطيرا لهم فى هذا الميدان الهام .

أولاً- أثر الصراع الإنجليزى الأمريكى على أسواق التجـــارة الشرقية:

ولا شك ان هذه المنافسة الأمريكية كانت انعكاســا طبيعيــا للصراع الانجليزى الأمريكى قبيل اســتقلال الولايــات المتحــدة الأمريكية وفى أعقابه كما أنها كانت تعبيرا عن المعاناة البالغة التى احس بها الأمريكيون وهم يسعون الى الاستقلال والى بناء دولــتهم ودعم مستقبلهم فى شتى المجالات . فرغبة الولايــات الإنجليزيــة الشمالية فى الحصول على الاستقلال عن انجلترا توفرت بعد معاناة بالغة تزايدت درجتها نتيجة لفرض " قوانين الملاحة Navigation Acts " (١٦٥١-١٦٦٠) التى اضرت كثيــرا بالمصــالح تلــك الولايات(١) .

فعلى الرغم من أن الغرض من اصدار قوانين الملاحة يكن يقصد به الاضرار بالمستعمرات الانجليزية فى أمريكا الشــمالية ، ولكنه كان قبل كل شيء يقصد به العمــل علــى تقويــة البحريــة الانجليزية وتوجيه ضربة قاضية للبحرية الهولندية ، ولكــن هــذه

(١) محمد مصطفى صفوت (دكتور) : الجمهورية الحديثة ، ص٤٣.

القوانين أضرت بالمستعمرات المذكورة اضرارا بالغا ([1]) ثم جاءت بعد ذلك محاولة الانجليز احتكار التجارة الأمريكية فزاد غضب سكان المستعمرات الانجليزية الأمريكية بطبيعة الحال .

ولهذا فقد تاقت الولايات الانجليزية الأمريكية للاستقلال عن حكومة انجلترا ولا سيما وأن ظروفها الداخلية وبعدها عن انجلترا قد خلق الرغبة القوية لديها للاستقلال . هذا فضلا عن أن حكام تلك المستعمرات كانوا فى كثير من الأحيان من المغامرين الذين لا زمام لهم ، فتجاهلوا القوانين وامتدت اليهم يد الفساد والرشوة وطغى عليهم الجشع فساءت ادارتهم وارتفعت الشكوى قوية منهم .

بل وحتى بعد قيام ثورة عام ١٦٨٨ فى انجلترا حل البرلمان الانجليزى محل الملكية فى الاشراف على المستعمرات ولكن المصالح التجارية لأعضاء البرلمان لم تعمل على تحسين الحالة بل زادتها سوءا فعمل البرلمان على تضييق حرية المستعمرات من الناحية الاقتصادية وبدأ أولا فى الاصرار على تنفيذ قوانين الملاحة ثم حرم قيام صناعات فى المستعمرات تنافس الصناعة فى انجلترا . بل أنه أوقف كذلك التجارة المربحة بين المستعمرات الأمريكية

([1]) محمد محمود السروجى (دكتور : سياسة الولايات المتحدة الخارجية منذ الاستقلال الى منتصف القرن العشرين ، ص١١

وجزر الهند الغربية الفرنسية (1) مما أثر كثيرا في نفسية الأمريكيين .

وهنا صممت الولايات الانجليزية الأمريكية على ضرورة الاستقلال عن الحكومة الانجليزية . وجاء الموقف الأوربي في النصف الثاني للقرن الثامن عشر والظروف الخارجية لإنجلترا ذات أثر حاسم في مصير هذه الولايات الأمريكية بحيث شجعت مختلف الظروف السياسية تلك الولايات على الوصول الى نيل الاستقلال . اذ كانت الحرب بين فرنسا وانجلترا في أوربا وأمريكا الشمالية وآسيا أول خطوة في سبيل الاستقلال . فكان انتصار الإنجليز حاسما على الفرنسيين في كندا على تلال ابراهام ، تلك التلال التي بدأ عليها تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية . فلقد ساهم سكان هذه الولايات بنصيب كبير في طرد الفرنسيين من أمريكا الشمالية بحيث تلاشى الخطر الفرنسي ولم تعد الولايات الانجليزية الأمريكية بحاجة الى لا لحماية الإنجليز ولا لإستمرار بقائهم في العالم الجديد . إذ كانت تلك الولايات لا تجرأ على القيام بثورة صريحة ضد إنجلترا ، طالما كان الخطر الفرنسي موجودا في كندا وفي غربي هذه الولايات .ومعنى ذلك أن تلك الولايات كانت في حاجة الى قوة الأسطول الانجليزي والجيش الإنجليزي لدرء ذلك

(1) محمد مصطفى صفوت (دكتور) : المصدر السابق ، ص44

الخطر الفرنسي ولكن عندما انسحب الفرنسيون من شمال أمريكا وفقا لمعاهدة باريس ١٧٦٣ وبعد حرب السنوات السبع ، فقد بقى الإنجليز وحدهم ، مما أدى الى تقوية روح التذمر بينهم والسخط من بقائهم ، وزكى ذلك الشعور لدى الأمريكيين ضرورة العمل لنيل الاستقلال .

وقد ساعد على تنمية شعور العداء لدى الأمريكيين ضد الإنجليز أن الحكومة الإنجليزية لم تقنع بما كان موجود فى أمريكا من قيود على التجارة والملاحة ، خاصة وان انتصارها على الفرنسيين كان عاملا على تقوية روح السيطرة لديها . اذ فهمت الحكومة الانجليزية أنها أدت خدمة كبيرة لهه المستعمرات وغالت فى تقدير مجهودها وما بذلته من تضحيات مغالاة شديدة . وكان من نتيجة ذلك الشعور ان تمادت فى تقييد التجارة الأمريكية من جهة ، كما صممت من جهة أخرى على فرض ضرائب جديدة على المستعمرات لكى تقوم بجزء من النفقات ، هذا فضلا عن رغبتها فى تكوين جيش أمريكى (١) .

ومن الطبيعى ألا تكون هذه السياسة مرضية لسكان المستعمرات الإنجليزية الأمريكية ، الذين لم يتركوا اوطانهم ليجدوا

(1) Guitteau, W.; The History of the United States, P.107 .

الضيق والحرج فى موطنهم الجديد ، كما أن الكثيرين من المهاجرين كانت تجرى فى عروقهم دماء الحرية التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم وعن بيئتهم القديمة ، والتى عملت البيئة الجديدة على تغذيتها دائما وتقويتها . ثم أن هذه المستعمرات قد وصلت بالرغم من التضييق على حرياتها الاقتصادية الى درجة كبيرة من الاستقلال فى ادارة شئونها الداخلية ، بحيث كانت كل منها الى حد ما جمهورية صغيرة ، والى درجة من الثروة والرخاء المادى تدعوها الى طلب المزيد من الحرية والاستقلال .

وهكذا لم يكن غريبا أن ثارت الولايات الإنجليزية الأمريكية متحدة المطالب واحتجت بعنف على البرلمان الإنجليزى الذى لم يعد يستطيع فهم مطالبها فضلا عن عدم تقديره لمصالحها حق قدرها . وانتقدت هذه الولايات بجرأة وقوة موقف البرلمان الإنجليزى ، وانكرت بشدة مايدعيه من سلطان على المستعمرات. ثم بدأت بعد ذلك الثورة الأمريكية المسلحة ضد سيطرة البريطانيين وتسلطهم على الولايات الإنجليزية الأمريكية . وأعلن الكونجرس الأمريكى استقلال الولايات المتحدة وانفصالها عن انجلترا فى ٤ يوليو سنة ١٧٧٦ (١) .

(١) Elson, H.W. History of the United States of America , P. 232 .

وقد وقع على عاتق قادة الثورة الأمريكية المحافظة على الوحدة الجديدة بين الولايات الأمريكية من جهة (٢) وحسن استغلال الظروف الأوربية لكى تحقق مطالب الولايات المتحدة فى الحرية والاستقلال من جهة أخرى . ومن حسن حظ هذه الولايات أن الجو الأوربى كان ملائما للسياسة الخارجية الأمريكية فسياسة فرنسا التقليدية فى ذلك الوقت كانت تدعوها دائما الى القعود لإنجلترا كل مرصد كما كانت الرغبة كبيرة لدى الفرنسيين للانتقام من الإنجليز. ذلك لأن فرنسا البربونية ما كانت تستطيع أن تنسى استيلاء انجلترا على ممتلكاتها فى الهند وفى أمريكا الشمالية . وقد حانت الفرصة لفرنسا فى الثورة الأمريكية لطرد الإنجليز بدورهم من مستعمراتهم الإنجليزية الأمريكية ، فقدمت فرنسا كل مساعدة ممكنة للأمريكيين الثوار بحيث أدت العلاقات السيئة المتوترة بين فرنسا وإنجلترا فى ذلك الوقت الى توثيق الصلات مابين فرنسا التى كانت على وشك الثورة والولايات الأمريكية الثائرة ، حتى لقد استطاع مندوب هذه الولايات فى باريس أن يمهد الطريق لعقد تحالف أمريكى كان من شأنه أن يدعم مركز الثورة الأمريكية ويقوى جانبها . خاصة بعد أن سارعت فرنسا إلى الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة ، والى

(2) Commager, H.S.: Living Ideas in America, P.126 .

عقد حلف حربى معها فى أعقاب موقعة " سراتوجا" التى انتصر فيها الأمريكيون على الجنود الإنجليز فى أكتوبر سنة ١٧٧٧([١]).

وبعد عقد هذا الحلف بين الفرنسيين والولايات المتحدة الأمريكية فقد ارسلوا حملة عسكرية لمساعدتها . وقام الأسطول الفرنسي بقطع المواصلات بين إنجلترا وقواتها فى أمريكا وأحرز بالفعل بعض الانتصارات على الأسطول الانجليزى ثم توالت الهزائم على الانجليز فى الشرق والوسط والجنوب ونزلت بهم خسائر فادحة حين سلمت قواتهم عند " يوركتون " فى اكتوبر سنة ١٧٨١([٢]) .

ولاشك أن نجاح الولايات المتحدة فى سياستها الخارجية لم يكن مقصورا على التحالف مع فرنسا ، ذلك لأن السياسة الأمريكية الخارجية كانت ترمى الى ضم الدول المناوئة لإنجلترا الى جانب القضية الأمريكية . وكانت إنجلترا قد اتبعت فى سياستها البحرية سياسة تفتيش السفن المحايدة ، مما جعلها تجر على نفسهاسخط كل الدول الأوربية التى لها تجارة بحرية مهمة ، ولذا لم يكن نجاح الأمريكيين فى علاقاتهم مع هولندا وأسبانيا ، وهما وان كانتا

([١]) حسن صبحى (دكتور) : معالم التاريخ الأمريكى ، ص٧٠ .
([٢]) محمد مصطفى صفوت (دكتور) : المصدر السابق ، ص٤٨ .

دولتين مستضعفتين فى أوربا ، إلا أنهما مدتا يد العون للولايات المتحدة بالأسلحة والذخائر الحربية التى ساعدتها فى تحقيق النصر على القوات الإنجليزية .

ولهذا فقد اضطرت إنجلترا فى آخر الأمر إلى إنهاء الحرب بعد أن وجدت ألا فائدة من استمرارها بعد الهزائم الكبيرة التى منيت بها ، وبذلك ظفرت الولايات المتحدة باستقلالها . ورأت إنجلترا ألا سبيل إلى إصلاح موقفها السياسى إلا بالتراضى مع أبنائها الثائرين فى الضفة الأخرى للأطلنطى . وبدأت مفاوضات الصلح فى أبريل ١٧٨٣، ولم توقع معاهدة الصلح بصفة نهائية الا بعد أن تقرر السلام فى أوربا بين الانجليز والفرنسيين . وهكذا كانت معاهدة سنة ١٧٨٣ اعترافا ضمنيا من جانب إنجلترا بخطأ سياستها الاستعمارية القديمة بحيث استطاعت رغم هذه الخسارة الكبرى أن تصبح أكبر إمبراطورة استعمارية فى العالم (١) ، كما أن هذه المعاهدة حددت العلاقات الإنجليزية الأمريكية لوقت معلوم، ولكنها لم تؤثر كثيرا فى العلاقات بين الولايات المتحدة وأوربا بوجه عام .

وبعد أن فازت الولايات المتحدة الأمريكية باستقلالها وجمهوريتها فقد كان عليها أن توطد مركزها السياسى وألا تتورط فى حروب خارجية حتى تخلق من سكان هذه الولايات المتعددة

---

(١) محمد مصطفى صفوت (دكتور) : المصدر السابق ، ص ٤٩

المنازع والمختلفة المشارب، شعباً واحدا تربطه رابطة القومية، وأن تجعل له هدفاً واحدا هو استقلال هذه الولايات واتحادها وضمان حقوقها. وكان على الولايات المتحدة أيضاً أن تدعم أسس نظامها الجمهورى، كما توحى إليها بيئتها وظروفها وآمالها، وأن تحقق مبدأ حكم الشعب نفسه بنفسه وإنماء نظم الحكم المحلية وفقاً للدستور الاتحادى الديمقراطى والذى وضعته الولايات المتحدة فى مؤتمر فيلادلفيا فى سنة ١٧٨٧[١]. واستطاعت الولايات المتحدة أن تصبح مثلاً حياً فى القارتين الأمريكيتين.

وقد ساعد الولايات المتحدة على النمو فى أعقاب الاستقلال انهماك أوروبا فى مشاكلها المعقدة وحروبها الطويلة مع نابليون، وثوراتها المتعددة وحركاتها القومية[٢]. كل هذا كان من شأنه أن يعطى الولايات المتحدة فرصة الهدوء والنمو والاتساع واستغلال أراضيها الواسعة وثرواتها العظيمة[٣]. ولعل أهم هذه الصفقات التى أجرتها أية دولة فى العالم فى العصور الحديثة هى صفقة شراء " لويزيانا Louisiana" من نابليون الأول وبذلك استطاعت الولايات المتحدة أن تضم إليها

(1) Pratt, J.W.: A History of United States Fereign Policy, P. 5.

(2) Fisher, H. : A History of Europe, PP. 963, 964.

(٣) حسن صبحى (دكتور): معالم التاريخ الأمريكى، ص ١٠٧ – ١١٠.

حوض المسيسبى أطول انهار العالم[1]. فكانت أكبر إمبراطورية استطاعت دولة شراءها وكان ضم تلك الأراضى بالغ الأثر فى حياة الجمهورية الأمريكية، فتهيأت لها الظروف لتتوسع إلى المحيط الهادى، فضلا عن النشاط الذى ستمارسه أيضاً فى المحيط الأطلسى والهندى، ذلك النشاط الذى يهمنا بالدرجة الأولى فى هذا البحث والذى وجد فيه الأمريكيون فرصتهم لمشاركة الإنجليز فى الاهتمام بالتجارة الشرقية بل ولمنافستهم باحتكار بعض سلع هذه التجارة على نحو ما حدث مع محصول البن اليمنى المربح والهام والذى كانت تنفرد اليمن بين دول العالم بإنتاجه حينذاك. وكان الأمريكيون يقومون بنقله بواسطة سفنهم من ميناء مخا على الساحل اليمنى المطل على البحر الأحمر إلى القارة الأمريكية.

وقد ظل الأمريكيون يقومون بهذا النشاط البحرى التجارى المتزايد فى المحيط الهندى والبحر الأحمر وخاصة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر على الرغم من صدور مبدأ منرو The Monroe Doctrine فى شهر ديسمبر ١٨٢٣. ولا يجب أن يغيب عنا أن هذا المبدأ لم يعوق الأمريكيين عن القيام بنشاطهم البحرى والتجارى المتزايد فى المحيط الهندى والبحر الأحمر

(1) American Historical Association. A. H. A. Pamphlets, No. 222. For Western Frontiers, Eassay by Harvey L. Carter.

والبحار الشرقية بوجه عام .ولكن الدافع الأول للمناداة بمبدأ منــرو هو الدفاع عن حق الشعب الأمريكية وشعوب العالم الجديــد فــى تقرير مصيرها وفى الدفاع عن حقها فى الحرية والاستقلال أمــام مطالب أوربا (١).

ولا شك أن مبدأ منرو كان وليدا للظروف السياســية التــى أحاطت بأمريكا فى أواخر الربع الأول للقرن التاسع عشر . وقــد وجدت الولايات المتحدة فى حكومة انجلترا وكــان علــى رأســها " كاننج" اكبر نصير لها فى رفع علم الحرية فى أمريكا الجنوبية . وان كان هدف انجلترا المباشر هو المحافظــة علــى مصــالحها الاقتصادية والتجارية أولا وقبل كل شىء فلقد رأت انجلترا ان هذه المصالح تتعرض لخطر شديد اذا عادت أمريكا الجنوبية الى الحكم الأسبانى مرة أخرى أو خضعت للحكم الفرنســى . ولمــا وثقــت الولايات المتحدة من تأييد انجلترا الصادق لها فى مجــال حمايــة أمريكا الجنوبية ، خاصة بعد أن عملت روسيا على دفــع فرنســا لترسل حملة الى هناك ، وجدت الولايات المتحدة من نفسها القــوة لتنادى بمبدأ منرو (٢).

---

(١) Pratt, J.W.: OP.Cit., PP. 79,80 .
(2) Pratt, J.W.: OP.Cit., PP. 79,80 .

على أن تفوق البحرية الإنجليزية وتصميم إنجلترا على منع أى اعتداء على أمريكا الجنوبية هو الذى جعل لمبدأ منرو قوة فى أول الأمر لأن الولايات المتحدة كانت لاتزال دولة لم تستكمل بعد قوتها ولم تكن تستطيع لأى خطر أوربى دفعا . ويحق " لكاننج " وزير خارجية إنجلترا فى بداية العشرينات للقرن التاسع عشر أن يقول " أنه عضد الدنيا الجديدة ، لكى يحفظ التوازن فى العالم القديم" (١) . ولهذا فإن فرنسا اذا كانت قد عولت على إقرار الأمور فى أسبانيا كما يشتهى الرجعيون وأصحاب مبدأ اعادة الحقوق الشرعية وكبت رغبات الشعوب فلقد صممت انجلترا على منعها بالقوة اذا حاولت ارسال حملة فرنسية عبر الأطلنطى والقضاء على الجمهوريات الناشئة التى اصبحت تربطها بانجلترا أوثق الروابط التجارية .ولذا حين قررت دول التحالف الخماسى الأوربى عقد مؤتمر " فيرونا" فى ديسمبر ١٨٢٣ كان عزم انجلترا على التخلى عن ذلك التحالف نهائيا فى الوقت الذى كانت رسالة الرئيس منرو فى طريقها الى أوربا .

وعلى الرغم من أن مبدأ منرو لم تعرف به أوربا رسميا الى فى أوائل القرن العشرين ، فلا شك أنها احترمته بالفعل فى مواطن متعددة مما جعل الولايات المتحدة فى مبدأ الأمر بمنجاة من التورط

---

(١) محمد مصطفى صفوت (دكتور) : المصدر السابق ، ص٣٥

مع الدول الأخرى الأوربية ، كما وضع أساسا ثابتا لسياسة دفاعية بحيث أصبح المبدأ الأول للسياسة الأمريكية خلال القرن التاسع عشر على وجه الخصوص . كما عبر مبدأ منرو عن موقف الدنيا الجديدة للجمهورية بإزاء العالم الملكى القديم ، وحدد موقف الولايات المتحدة الى حد كبير ازاء جمهوريات أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى . ولم يوضع هذا المبدأ حقيقة تحت الاختبار الجدي الا فى أوائل القرن التاسع عشر وطبق بنجاح فى النصف الثانى لذلك القرن (١).

وجدير بالذكر أن الولايات المتحدة قد ذهبت فى تفسير مبدأ منرو مذاهب شتى تطورت مع الزمن وفقا لمصالحها الخاصة إذا كان هذا المبدأ مكون من جزئين أساسين : - أولهما ، عدم تدخل الولايات المتحدة فى شئون أوربا ، والثانى هو عدم قبول الولايات المتحدة لتدخل أوربا فى شئون الولايات المتحدة أو فرض نظامها السياسى أو الاقتصادى عليها . وكانت الولايات المتحدة تعترف بذلك التفسير طالما كانت قوتها محددة ، ومشاغلها الداخلية والأمريكية كبيرة . ولكن حين بدأت تشعر بنمو قوتها وازدياد

(١)Coolidge, A.C.: The United States as A World Power, P.96.

هيبتها الخارجية أخذت تطبق ذلك المبدأ على أساس جزئه الثاني فقط وهو منع دول أوربا من التدخل في شئون أمريكا (١) .

ولهذا فإن مبدا منرو لم يعوق الأمريكيين عن القيام بنشاط بحري وتجاري في البحار الشرقية ومن بينها البحر الأحمر منذ أوائل القرن التاسع عشر عندما بدأو يشعرون بمقدرتهم على تحقيق ذلك مما سيجعلهم يشكلون منافسا بحريا وتجاريا خطيرا للإنجليز في تلك البحار .

ثانياً- ظهور النشاط التجاري الإنجليزي والأمريكي في البحار الشرقية وجنوبي البحر الأحمر:

وهكذا فقد كان من أهم نتائج الثورة الأمريكية واستقلال الولايات المتحدة هو تدخل الأمريكيين في أسواق التجارة الشرقية التي احتكرها الأوربيون منذ مطلع العصور الحديثة . إذ بدأ المغامرون الأمريكيون وفي مقدمتهم مواطني " ماساشوستس Massachusetts " الذين كانوا يشكلون مجتمعا بحريا نشيطا بإرسال سفنهم لتعبر نصف الكرة الأرضية في أوائل القرن التاسع عشر وتتجول في المحيط الهندي وجنوب المحيط الهادي ، وتصل

(١) محمد مصطفى صفوت (دكتور) : المصدر السابق ، ص٥٧

الى شرق أفريقيا والبحر الأحمر ، محاولة شق طريقها للوصول الى أسواق التجارة فى تلك المناطق (١)

غير أن هذه الأسواق كانت مغلقة حينذاك بواسطة المحتكرين الانجليز عن طريق النظام التجارى الذى وضعته شركة الهند الشرقية الانجليزية التى أنشئت فى ٣١ ديسمبر سنة ١٦٠٠ فى عهد الملكة " اليزابيث الأولى Elizabeth 1 "(٢) واحتكرت التجارة الشرقية بوجه عام (٣).

وكانت شركة الهند الشرقية الانجليزية تعتبر أن التجارة اليمنية مجالا هاما من مجالات نشاطها التجارى فى جنوبى البحر الأحمر وحققت فعلا من وراء تلك التجارة أرباحا كبيرة ، وذلك بواسطة الأعداد الضخمة من التجار الهنود المعروفين باسم"البانيان" فى مخا والحديدة وجدة . وقد قامت الشركة بعدة محاولات مبكرة لاقامة وكالات تجارية لها فى الموانىء اليمنية منذ أوائل القرن السابع عشر بدأت بإرسال سفينة تجارية تابعة لها الى جزيرة سقطرى الواقعة جنوبى الساحل الجنوبى للجزيرة العربية وعلى

(1) Coupland , R.: East Africa and it's Invaders , p.362.
(2) Hoskins, H.L.: British Routes to India , pp 4,5 .
(3) Coupland , R.: OP.Cit.,p.362 .

مقربة رأس جورد فوى على الساحل الشرقى لأفريقيا وكان يقود هذه السفينة الضابط البحرى الانجليزى وليم كيلنج William Keeling " الذى حاول الوصول الى عدن ليقيم وكالة تجارية فيها ، غير أن البريطانيين لم يتمكنوا من تحقيق أغراضهم نظرا لوجود العثمانيين فى اليمن فى ذلك الحين (١٥٣٨-١٦٣٥) .

على أن البريطانيين أرسلوا بعد ذلك الى ميناء عدن السفينة البريطانية " اسنشون Ascension " يقودها الضابط البحرى البريطانى الكسندر شاربى Alexander Sharpy " وذلك لإقامة علاقات تجارية مع بلاد اليمن(١) وقد وصل شاربى الى عدن فى ٨ أبريل سنة ١٦٠٩، واستقبله حاكمها فى بداية الأمر استقبالا طيبا (٢) غير أن العثمانيين لم يلبثوا أن اعتقلوه وصادروا حمولة سفينته ، ثم اطلقوا سراحه ورحلوه الى مخا وهى الميناء الحيوى لليمن حينذاك وبذلك فشلت محاولة بريطانيا حينذاك لاقامة علاقات تجارية مع الموانىء اليمنية .

وقد عاودت شركة الهند الشرقية الانجليزية محاولتها فى العام التالى مباشرة فى سنة ١٦١٠ فأرسلت ثلاث سفن بريطانية

---

(1) Ingrams, H.: The Yemen , Imams, Rules, and Revolution, p.64.
(2) Playfair, R.L.: A History of Arabia Felix or Yemen, p.105

الى عدن يقودها " سير هنـــرى ميـــدلتون Sir Henry Middleton" فوصلت اليها فى اليوم العاشر من نوفمبر من الســـنة المـــذكورة ، وكان يتولى زمام الأمور فيها الحاكم العثمانى جعفر باشا ([1]) وقـــد ترك " ميدلتون " السفينة الإنجليزية " ببركورن Peppercorn" فـــى عدن وتوجه بالسفينة " دارلينج Darling " الى مخا حيث اســـتقبله حاكمها العثمانى " رجب أغا " بكل مظاهر الترحيب غير أن هـــذا الترحيب لم يدم طويلا ، فسرعان ما هاجم بعض الجنود العثمانيين " سير ميدلتون " وقتلوا ثمانية من رجاله وساقوه أسيرا الى صنعاء ([2]) ومعه عدد من رفاقه . كما أن العثمانيين هاجموا ســـفنه بقـــوة قوامها ثلاث مائة وخمسين مقاتلا عثمانيا وحاولوا الاستيلاء علـــى السفينة " دارلينج " غير أن بحارتها استبسلوا فى الدفاع عنها ولـــم يمكنوا العثمانيين من الاستيلاء عليها رغم ما دار من قتال عنيف . وفى صنعاء أبدى الوالى العثمانى تعجبه من جرأة " الصـــليبيين " الذين حاولوا الاقتراب من الجزيرة العربيـــة والأمـــاكن المقدســـة الإسلامية . وبعد أن استطلع العثمانيون رأى الأستانة أطلقوا سراح هنرى ومرافقيه ، غير أنهم أنذروهم ألا يعودوا على الاطلاق الـــى

---

(3) Hunter, F.M.: Am account of the British settlement at Aden , p.164

([1]) السيد مصطفى سالم (دكتور) : الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥) ص٢٤٧

الجزيرة العربية (١) فرجعوا الى سفينتهم ورحلوا عــن المنطقــة بخفى حنين (٢) .

وقد أعقب هذه المحاولات الثلاث محاولة رابعة فــى ســنة ١٦١٢ (٣) عندما توجهت بعثة انجليزية يقودها القبطــان " جــون ساريز John Saris " (٤) قوامها ثلاث سفن لزيــارة مينــاء مخــا اليمنى . وكان يتولى زمام الأمور فيها حينذاك حاكم عثمانى يدعى " أدهر" وهو يونانى المولد بعد عزل حاكمها السابق " رجب اغا " وقد رحب " آدهر " بالبعثة الإنجليزية وطلب من ساريز أن ينســى المعاملة السيئة التى لقيها " سير هنرى ميدلتون " على يد ســلفه " رجب أغا " وقد أصدر الوالى العثمانى فى اليمن فى ذلك الوقــت تعليمات تسمح للأجانب بحرية التجارة على السواحل اليمنيــة مــع السفن الهندية الإنجليزية كما سمح أيضا بشراء كل مايلزمهم مــن ميناء مخا اليمنى (٥) .

وهكذا حقق الإنجليز بعض النجاح فى جولتهم الرابعة نتيجة لتساهل العثمانيين معهم ، ذلك التســاهل الــذى مبعثــه اطئنــان

---

(١) احمد فضل العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن، ص١٠١
(2) Playfair, R.I.: Op. Cit , pp. 105-108
(3) Marston, T.E. Britain's Imperial Role in the Red Sea Area , p.25
(4) Hunter, F.M.:OP. Cit , p.164 .
(5) Playfair, R.I.: Op. Cit , p. 108 .

العثمانيين للفتور الذى اعترى المنافسة البرتغالية من جهة ، ورغبة العثمانيين فى تبادل المنفعة الاقتصادية مع الأجانب ورواج الحركة التجارية فى ممتلكاتهم من ناحية أخرى . على أن " ساريز" وجـد حينذاك أن الظروف المحيطة لا تشجع علـى اسـتمرار اشـتغاله بالتجارة مما دفعه الى الرحيل عن مخا بعد أن حقق هذا القدر مـن المعقول من النجاح .

على أن هذا التساهل العثمانى مع الأجانب قد ظهـر أيضـا عندما عاود الإنجليز نشاطهم للمرة الخامسة فى سنة ١٦١٨ حـين وصل الى مخا " القبطان شلنج " على ظهر السفينة الإنجليزية " آن رويا Anne Royal " لاقامة وكالة تابعة لشـركة الهنـد الشـرقية الإنجليزية . وفى ذلك الوقت كان يحكم مخا " رجب أغـا " الـذى سبق أن وقع فى أسره " سير هنرى ميدلتون " غير أنه فـى هـذه المرة قدم اعتذاره الشديد للقبطان " شلنج " عن مسـلكه السـابق ، موضحا أنه فعل ذلك تنفيذا للتعليمات التى أصدرت اليه من الوالى العثمانى فى صنعاء ، على أن السياسة العثمانية حينـذاك سـمحت للإنجليز بمزاولة نشاطهم التجارى بحرية تامة فـى ميناء مخـا وبتشييد وكالة تشرف على مصالحهم هنـاك وبتحديـد ضـرائب الاستيراد والتصدير بنسبة ٣% فقط مع دفعها نقـدا أو عينـا (١)

(1) Playfair, R.I.: Op. Cit , p. 110 .

وبذلك ظل موقف العثمانيين متأرجحا ازاء محاولات الانجليز اقامة علاقات تجارية مع الموانىء اليمنية بين الرفض والقبول حتى استقر موقفهم نسبيا فى سنة ١٦١٨ باتاحة الفرصة للانجليز لمزاولة نشاطهم التجارى فى الموانىء اليمنية (١) .

وتجد الاشارة الى أنه مما خفف من حدة الضربة الاقتصادية الشديدة التى أصيبت بها اليمن نتيجة لتحول طريق التجارة الى رأس الرجاء الصالح ، انتشار زراعة البن فى اليمن واستمرار تصديره لبلدان الشرق الأوسط وأوربا عن طريق البحر الأحمر وطريق رأس الرجاء الصالح فى وقت واحد . وقد وصلت سفارة عثمانية الى اليمن فى سنة ١٧١٢ للتفاهم مع الامام على أساس قصر تصدير البن اليمنى عن طريق البحر الأحمر بدلا من طريق رأس الرجاء الصالح الذى اضر كثيرا بدخل السلطان العثمانى . وكانت أساليب السفارة العثمانية قائمة على أسس دينية لحث الإمام على تحقيق تلك الغاية .غير أن الإمام رفض الاستجابة لمطلب العثمانيين (٢) الذين كانوا قد خرجوا من اليمن بعد أن مكثوا فيه قرابة قرن من الزمان (١٥٣٨-١٦٣٥) وذلك حفاظا على دخله الخاص .

---

(2) Crichton, A.: History of Arabia , Ancient and Modern , Vol. 11, pp. 153,154.

(1) Marston, T.E.: Op. Cit. , pp.26,28 .

كما حرص الانجليز على انتهاج سياسة محددة ازاء الأئمة الزيديين بعد جلاء العثمانيين عن اليمن تركزت على مساندتهم لحكم الأئمة حتى يجدوا لهم نصيرا داخل اليمن يمكن أن يسهم في تسهيل عمليات التبادل التجارى وخاصة ماكان يتعلق منها بتجارة البن اليمنى فى ميناء مخا . وقد استمرت هذه العلاقات الودية لمدة قرنين من الزمان على نحو ما يؤكده " هارولد انجرامز " موضحا أن الإنجليز الذين احتلوا عدن فى سنة ١٨٣٩ مدينون بالكثير لأسلافهم الذين سعوا لايجاد علاقات طيبة مع الأئمة (١).

وجدير بالذكر أن الهولنديين قد سعو من جانبهم الى تنشيط التجارة الهولندية اليمنية فى أوائل القرن الثامن عشر واستمرت تلك المساعى فترة غير قصيرة ، وكانت تعتمد على محصول البن اليمنى حتى نقل الهولنديون زراعة هذا المحصول الى جزر الهند الغربية فى نهاية القرن الثامن عشر كما انتقلت زراعة البن أيضا الى أمريكا الجنوبية ، مما أدى فى النهاية الى أن تصبح اليمن غير منفردة بانتاج ذلك المحصول الهام (٢) ، وقد نتج عن ذلك قله دخل اليمن وتدهورت اقتصاديا مما زاد من حدة الأضطرابات الداخلية ،الأمر الذى يجعلنا نقول ان استقرار اليمن كان مرتبطا – إلى حد

---

(2) Ingrams, H. OP. Cit., pp. 51,52..

(٢) عبد الحميد البطريق (دكتور) : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠ ص٤٦. "قدر ليبور تجارة البن المصدر من موانى اليمن حينذاك بما يوازى خمسة آلاف جنيه إنجليزى شهريا " .

كبير –بقدراته التجارية وخاصة فيما يتعلق بتصدير البن ، حتى أن عدن وقعطبه وتعز وابوعريش اصبحت دويلات منفصلة عن بعضها ، وعانى الائمه من حركات التمرد التى كانت شائعة حينذاك . وقد أكد هذه الصورة "كارستن نيبور karsten Niebuhr " الرحالة الدنماركى الذى زار بلأد اليمن فى سنة ١٧٦٢م فى مؤلفه المشهور (1) الذى ترجم الى عدة لغات والذى ضمنه تفاصيل اول رحلة علميه جديه قامت بدراسة جغرافية ونباتات اليمن وأحواله الأجتماعية فى القرن الثامن عشر، مما وجه أذهان الأوربيين الى أهمية اليمن حينذاك .

وجدير بالذكر أن تجارة البن اليمنى كان لها أثر كبير فى عودة النشاط التجارى للطريق القديم عبر البحر الأحمر فى اوائل القرن السابع عشر، بعد أن كانت التجارة الشرقية قد تحولت الى طريق رأس الرجاء الصالح عقب وصول البرتغاليين الى الهند فى نهاية لقرن الخامس عشر . وقد ساعد على ذلك أن البن اليمنى كان سلعه شائعة ومحبوبة فى أوربا وأمريكا على السواء (2) .

(1) Karsten Niebuhr : Besheibung Von Arabian, Copenhagen 1772.
(2) Waterfield ,G.:Sultans of Aden John Murray, London, 1968.

وبعد أن غادر الهولنديون اليمن فـــى ســنه ١٧٦٢ وفقدوا كل أمل فى استمرار وكالاتهم التجاريه فيها ،انفســح المجال أمام الإنجليز للاشتغال بتصدير البن والتجاره اليمنيه الى بلدان اوربا،بينما كان التجار الهنود "البانيان" يحتكـــرون تلك التجاره داخل اليمن ذاتها ويسهلون العمليات التجاريـــه مع الإنجليز والسفن الإنجليزية.(١)

ومن هنا حرص الإنجليز على مواصلة اهتمـــامهم بإنشـــاء وكالات تجاريه لهم فى الموانى اليمنية وخاصة بعد أن بدأ نشاطهم يظهر بوضوح فى طريق البحر الأحـــمر ومصر نتيجة لاتفاقهم مع المماليك فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر،حتى أن شـــركة "الليفانت الأنجليزيهLEVANT COMPANY"التـــى اختصـــت بالحوض الشرقى للبحر المتوسط والتى تأسست فى ســـنة ١٥٨١ (٢) أتهمت شركة الهند الشرقية الأنجليزيه بانتهاك سيطرتها علـــى التجاره فى شرقى البحر المتوسط حينذاك.(٣)

وتحقيقا لتلك الأهداف الإنجليزيـــة رأت حكومـــة بومبـــاى وخاصة بعد وصول الحملة الفرنسية إلى مصر فـــى عـــام١٧٩٨

(') Mastorn ,T.E.:OP.Cit ., P.29.

(٢) صلاح العقاد (دكتور) : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ٢٨

(2) Marston' T.E. : OP.Cit., pp.31,32 .

ضرورة القيام بنشاط واسع النطاق مستعينة بقواتها الهندية للسيطرة على المراكز الاستراتيجية فى المدخل الجنـوبى للبحـر الأحمـر للحيلولة دون أية محاولة فرنسيه للوثوب الى الهنـد مـن جهـة ، ولحماية جهودها الرامية إلى تنشيط التجارة المتبادلة مع سـواحل البحر الأحمر والسواحل اليمنية على وجـه الخصـوص. ولهـذا تحركت من بومباى قوة بحرية فى شهر ابريل سنة ١٧٩٩ قوامها ثلاثمائه أوربى وهندى يقودها "الكولونيل جون موراى Colonel John Murray " واتجهت نحو المدخل الجنوبى للبحر الأحمر.([1]) وقد قامت هذه القوة باحتلال جزيرة "ميـون أوبـريم Perim " الواقعة فى أضيق نقطه ببوغاز باب المندب ([2])الذى يصل البحـر الأحمر بخليج عدن وذلك فى اليوم الثالث من شهر مايو ، وظلـت تحتلها حتى أوائل شهر سبتمبر من السنة المذكورة.

غير أن البريطانيين تبينوا أن المضايق فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر لايمكن السيطرة عليها من جزيـرة بـريم بواسـطة المدفعية الساحلية ([3]) كما أن مناخ الجزيـرة ردئ للغايـة ([4])، وليست بها مياه صالحة للشرب ([5]). ولهذا سحب "موراى" قواتـه

([1]) Graham , G.s.: Op. Cit., P.287.
([2]) George,H.B.:A Historical Geagraphy of the British Empire ,P.124.
([3]) Playfair , R.L.:OP. Cit., PP.122-123
([4]) صلاح الدين البكرى اليافعى : فى جنوب الجزيرة العربية ص١٥
([5]) The Middle East, A Political and Economic Survey,1958,B.103.

من جزيرة بريم خاصة بعد أن اطمأن لحسن نوايا سـلطان لحـج وعدن الذى أبدى موافقته المبدئية على بقاء البريطانين مؤقتا فـى عدن خلال الفترة التى يحتاجونها . وقد اتجه "موراى" بقواته إلـى عدن حيث أستقبله سلطانها أسـتقبالا طيبـا.(١) وبـذل "مـوراى" محاولاته للتحالف مع السلطان لضمان اتخاذ عدن محطـة دائمـة للسفن البريطانية،غير ان هذا الموضوع تأجل الاتفـاق عليـه .(٢) واضطرت هذه القوة البحرية البريطانية أن تنتظر فىعـدن حتـى شهر مارس سنة ١٨٠٠ لتستعين بالرياح الموسمية للتوجه عائـدة إلى الهند.على أن شركة الهند الشرقية الإنجليزيـة كانـت تبـذل جهودها بصفة دائمة لتنشيط التجارة المتبادلة بين سـواحل البحـر الأحمر وممتلكاتها فى الهند . غير أن هذا النشاط التجـارى بـدأ يتدهور نتيجة للسياسة التى انتهجتهـا الدولـة العثمانيـة حينـذاك وسايرها فيها سلطان لحج وعدن. فالبن اليمنى الذى كان يرسل الى أوربا والهند أخذ طريقة إلى مصر أو حملته القوافل من جده الـى مكة ليجتمع أخيرا فى عاصمة الدولة العثمانية . بل انه بين عـامى ١٧٩٨م -١٨٠١م اشترت السفن الأمريكية كميات كبيره من الـبن اليمنى وبدأت تتعامل مباشرة مع المنتجين الأصـليين.(٣) ولهـذا

(1)Ingrans, H.:OP.Cit., p. 50.
(2) Aitchison . C.U.:A Collection of Treaies Engagements, and Sanads Relating to India and the Neighbourchng Countries, VoL.Xi.,P.123.
(٣) Marston ,T.E.: OP.Cit., P; 31.

سارعت ادارة الشركه الى ارسال "الكومودور سـيرهوم بوفهـام Commodore Sir Home Popham" قائد السفينة الإنجليزية "رودنى H.H.S .Rodney" على رأس بعثة إلى البحر الأحمر للعمل علـى إحياء التجارة بين هذه المناطق وممتلكات الشركة .

بل أن حكومة الهند البريطانية كلفت "السيرهوم" أيضا بمهمة نقل القوات التى كانت ستنضم لجيش "الجنرال بيـرد General Baird" من بومباى إلى مصر ، ولهذا التقى "السيرهوم" بعـد أن عبرت هذه القوات صحراء مصر الشرقية من القصير إلى النيـل. وكانت قوات "الجنرال بيرد" سـتتعاون مـع القـوات البريطانيـة الأخرى الآتية عبر البحر المتوسط لطرد الفرنسيين من مصر ومنع أية قوى أجنبية من السيطرة على الطريق الموصل بـين الشـرق والغرب عبر مصر والبحر الأحمر،وسيكون هـذا التعـاون بـين القوات البريطانية من الشمال والجنـوب ظـاهرة واضـحة فـى إستراتيجية الدفاع البريطانى عن المصالح الإمبراطورية منذ ذلـك الحين كما كانت هذه الحادثة دلالة على أول إستخدام للبحر الأحمر فى الأغراض العسكرية الحديثة (1).

وكانت جهود شركة الهند الشرقية الإنجليزية لتنشيط التجارة مع الموانى اليمنية تبدو واضحة فى المحاولات التى بـذلها فـى هـذا

---

(1) Marston ,T.E.:Ibid ., P.32.

السبيل الدكتور" برنجل Dr.Bringle " الطبيب البريطانى الـــذى عمل فى بومباى ثم صاحب"موراى " فى رحلته السابقة إلى الموانى اليمنية وأقام فى مخا فى سنة ١٨٠٠م (١) فقد أوصل فى شهر مايو من نفس السنه عدة خطابات وهدايا من الحاكم العام للهند الى على منصور إمام صنعاء لحثه على اصدار تعليماتـــه لحكـــام المـــوانى اليمنية بعدم مضايقة السفن الإنجليزية عند قيامها بعمليات التبـــادل التجارى فى تلك الموانى وتزويدها بمـــا تحتـــاج إليـــه لمواصـــلة رحلاتها . وقد أستقبل إمام صنعاء الدكتور برنجل بحفاوة وتكريم ، وأصدر تعليماته لحكام الموانى اليمنية فى مخا والحديـــدة واللحيـــة لتقديم كافة التسهيلات والاحتياجات اللازمـــة للســـفن الإنجليزيـــة بالأسعار العادية . كما تم الإنفاق على حماية البحارة على الشاطئ والمحافظة على شـــحنات السفن بقـــدر الإمكـــان إذا جنحـــت أو تحطمت. وفضلا على ذلك فقد وافق الإمام على منصور أيضا على بناء مستشفى بحرى فى مخا لإستقبال المرضـــى مـــن الأســـطول التجارى الإنجليزى . وقد غادر "الدكتور برنجل" صنعاء متجها إلى مخا بعد نجاحه فى الحصول على كل هذه التسهيلات .

وكان اهتمام الإنجليز بالتجارة مع اليمن قـــد ازداد بعـــد أن نجحت المنافسة الأمريكية فى أخذ معظم كميات البن المصدرة من

---

(١)Playfair, R.L.:OP.Cit., P.123.

اليمن إلى خارج البلاد . ويرجع السبب فى ذلك إلى الأسعار التـــى كانت تتعامل بها شركة الهند الشرقية الإنجليزية والتى كانت فـــى مركز لا يمكنها من منافسة عروض الأمريكيين حينذاك . كمـــا أن الضعف المتزايد للائمة الزيديين والصراع المستمر بـــين القبائـــل اليمنية قد انعكس على إنتاج البن فى اليمن مما أدى إلى إضـــعاف محصوله ، ونتج عن ذلك زيادة الطلب فى الوقت الذى سيقل فيـــه العرض إلى حد كبير .

وقد استمرت جهود شركة الهند الشرقية الإنجليزية لتـــدعيم تجارتها مع اليمن،ورعاية مصالحها فى منطقـــة البحـــر وخاصـــة عندما عينت "السيرهوم" مندوبا لها فى الجزيرة العربية فـــى ســـنة ١٨٠٢(١) ومنحته صلاحيات كامله تمكنه مـــن عقـــد المعاهـــدات التجاريه تبعا لما تتطلبه المصالح الإنجليزية. وطلبت إليه التوصـــل إلى عقد معاهدات تجاريه مع إمام صنعاء وسلطان لحج وعدن على وجه الخصوص. ولهذا فقد أبحر"السيرهوم" من"كلكتا " متجها الـــى مخا، حيث وجه بعثه الى إمام صنعاء شكلها من "المســـتراليوت" و "الملازم لامب" و"الدكتور برنجل " لتعرض عليه اقتراح التوصـــل الى عقد معاهدة تجارية. غير أن الإمام رفض شـــروط المعاهـــدة المقترحة ،ولم يشأ أن يزيد تعاونه عن هذا الحد حتى لا يؤدى الى

(١)Aitchison, C.U. : Op. Cit., Vol XI P. III.

Mالتدخل الأجنبى فى شئون بلاده. وقد مات "مستر اليوت " بالحمى فى صنعاء ، بينما غادرها "الملازم لامب" و "الدكتور برنجل" فى اليوم الرابع من سبتمبر من السنة المذكورة وهما يحملان رفـــض الإمام إلى الحاكم العام للهند وممثله "السيرهوم بوفهام".([1])

غير ان "السيرهوم" لم يفقد الأمل فى تحقيق بعض النجـــاح لشركة الهند الشرقية الانجليزية ،فتوجه إلى عدن وبـــذل جهـــوده لاقناع السلطان أحمد بن عبد الكريم العبد لى سلطان لحج وعـــدن بعقد معاهدة للصداقة والتجارة. وتم ابرام المعاهدة فى اليوم السادس من سبتمبر سنة ١٨٠٢م وصدق عليها "السيرهوم " نيابـــة عـــن "اللورد ولسى LORD Wellesly" الحاكم العام للهند حينذاك وبناء على رغبته ، كما اعتمدها الأمير احمد باصهى أمير عدن نيابة عن السلطان العبدلى ([2]) وقد نصت هذه المعاهدة على إيجـــاد اتصـــال تجارى بين شركة الهند الشرقية الإنجليزية أو أية رعية بريطانيـــة تحت حكم الحاكم العام للهند ورعية السلطان احمد بن عبد الكـــريم العبد لى ([3]) ووافق الجانبان على اعتبـــار مينـــاء عـــدن مفتوحـــا لاستقبال البضائع التى تحملها السفن الإنجليزية على ان تدفع نسبة

---

(1) Playfair, R. L.; Op. Cit., PP . 124 – 126.

([2]) احمد فضل العبد لى : المصدر السابق ، ص ١٣٦.

(2) Hurewits, J. C.: Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. I., P. 126.

٢ % ضرائب جمركية لمدة عشر سنوات ترفع بعدها هذه النسبة الى ٣ % فقط . ونصت المعاهدة كذلك على حرية الرعايا البريطانيين فى العمل فى أراضى السلطان ونقل ثرواتهم لمن يشاءون ، كما تعهد السلطان ببذل جهوده لاستعادة ديون الرعايا البريطانيين من رعاياه . وفى حالة حدوث أى نزاع بين الرعايا البريطانيين يجب ان يرفعوا دعواهم للوكيل البريطانى فى عدن ليجرى أحكامه فى قضاياهم بموجب القوانين المتبعة فى بلادهم . وأخيرا تعهد السلطان فى هذه المعاهدة بأن يبيع لبريطانيا قطعة من الأرض غربى عدن لتقيم عليها شركة الهند الشرقية الانجليزية مبانيها بالشكل الذى ترتضيه . (١)

ومن الواضح أن هذه المعاهدة تعد بداية التدخل البريطانى فى شئون عدن عند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر . كما أنها تنتقص من السلطة الشرعية لحكام هذه المنطقة فى بلادهم ، فتحديد الرسوم الجمركية بنسبة اقل كثيرا عما يتقاضاه السلطان من قبل ، فضلا عن الاعتراف للوكيل الإنجليزى – الذى كان لا يعدو أن يكون قنصلا لبلاده – بالتدخل فى نظر المنازعات للرعايا البريطانيين فى عدن ورفع نتائجها إلى حكومة الهند البريطانية لتقرير ما تراه ، فان ذلك كله لا يتفق مع سيادة سلطان لحج وعدن

(١)Aitchison , G. U. : Op. Cit. , Vol. XI , PP 119- 122

، كما يعطى الفرصة للبريطانيين للتدخل فى شئون سلطنته . ولهذا فقد وصف "هارولد جاكوب" هذه المعاهدة بأنهـا رائعـة بالنسـبة للبريطانيين خاصة إذا ما أدخلنا فى اعتبارنا الأطراف التى عقدتها والزمن الذى وقعت فيه . (١) بينما اعتبرها " توم ليتل " أول تورط لبريطانيا فى جنوب الجزيرة العربية . (٢)

ويبدو تزايد اهتمام حكومة الهند الإنجليزية بالتجـارة فـى منطقة البحر الأحمر من خلال التصريح الذى أدلى بـه "اللـورد فالنتيا Lord Valentia" الذى وصل الى الهنـد علـى رأس بعثـه بريطانية فى سنة ١٨٠٥ موضحا أهمية طريـق البحـر الأحمـر بالنسبة للتجارة الهندية ،ومؤكدا ضرورة العمل على إيجاد أفضـل الوسائل لتدعيم قوة بريطانيا فى البحر الأحمر حتى يمكنها مواجهة أى تقدم عدائى من ناحية الغرب ، وهذا بالاضافة الى العمل علـى زيادة حجم التجارة الهندية فى المنطقة . وتبعا لذلك فقد قام " فالنتيا" بزيارة معظم الموانى الهامة فى البحر الأحمر مبتدئا بعدن وجمـع معلومات قيمة عن حالة التجارة . وأخيرا أشار "فالنتيا" إلى أهميـة احتلال بريطانيا لعدن التى اعتبرهـا " جبـل طـارق الشـرقى " وأوصى بإنشاء وكالة تجارية فى عدن ، وبتعيين مقيم دائـم بهـا

(1) Jacop, H. ; Kings of Arabia, P. 65.
(2) Little, ; South Arena of Conflict , London , Pall Mall, 1968.

ليتمكن البريطانيون من احتكار التجارة اليمنية وخاصة تجارة البن الرائجة من جهة ، واحتكار التجارة مـع بربـرة علـى السـاحل الإفريقي المواجه من جهة أخرى . بل انـه قـد أوصـى ايضـا بالتحالف مع الوهابيين من ناحية الشرق والأحبـاش مـن ناحيـة الغرب ، لضمان حماية المصالح التجارية لبريطانيا فـى منطقـة البحر الأحمر .

غير أن "فالنتيا" أوضح فى نفس الوقت أن الحبشة لن تحقق الكسب السريع والفائدة المباشرة للبريطانيين على النحو الذى يمكن أن تحققه عدن للمصالح البريطانية، بل انه أشـار أيضـا إلـى أن سيطرة البريطانيين على جزيرة قمران ستتيح لبريطانيـا سـيطرة مباشرة على تجارة الحبشة ، وكانـت شـركة الهنـد الشـرقية الإنجليزية ترغب فى تحقيق ذلك وقد أورد " فالنتيا " كل هذه الأراء والتوصيات فى تقريره المطول الذى أرسله إلى " جورج كـاننج" وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية . ويعتبر هذا التقرير على جانب كبير من الأهمية لأنه يوضح الأوضاع القائمة فـى منطقـة البحر الأحمر ووجهة النظر البريطانية إزاءها فى ذلك الحين . (١)

على أن اللورد "فالنتيا" قد أنهى تقريره هذه بجملـة أعـاد كتابتها بعد ذلك بخمسة وستين عاما " اللورد روبرت نابيير Lord

(١)Marston, T. E.: Op. Cit., PP. 34, 35.

Robert Nabier" الذى قاد الحملة الإنجليزية على الحبشة فى سنة ١٨٦٨م إذ قال "انه فيما يتعلق بالحبشة فأنها بلد مسيحى يجب ان يتحرر من الحكم المستبد الذى يتحكم فى مقدراته ، كما يجب تطويقه بعيدا عن سيطرة المسلمين ، وأننا بتحقيق ذلك سنفتح سوقا رائجة لمنتجاتنا " وبذلك ولدت أسس السياسة البريطانية إزاء الحبشة ، تلك السياسة التى استمرت حتى وصلت الى هناك الحملة البريطانية فى سنة ١٨٦٨م، حيث ظهرت للبريطانيين الطبيعة الحقيقية للحبشة والصعوبات التى تكتنفها . وقد لقى هذا التقرير الذى قدمه "فالنتيا" اهتماما كبيرا لدى المسئولين بوزارة الخارجية البريطانية (١)

وعلى أية حال فإن "فالنتيا" أرسل أخيرا سكرتيره " هنرى سولت Henry Salt " فى بعثة إلى الحبشة عاد بعدها يوصى بضرورة بذل جهود لكى يحصل الأحباش على منفذ بحرى لبلادهم على البحر الأحمر يتيح لهم الاتصال بالمستعمرات البريطانية فى بلاد الشرق . غير أن اقتراحات " فالنتيا" هذه لم يحفل بها أحد إلى أن اهتم بتنفيذها " هنرى سولت" نفسه الذى اصبح بعد ذلك القنصل العام لبريطانيا فى مصر .(٢) أما بالنسبة لتحركات "سولت" فيمكن

(1) F. O., I\ I., Valentia to Canning, 9\13\08.
(2) Marston, T. E.: Op. Cit., P. 34.

تتبعها من خلال التقرير الذى قدمه لوزارة الخارجيـــة البريطانيـــة واوضح فيه انه وصل الى مصوع ثم انتقل الى "تيجرى Tgre " فى الحبشة حيث قدم ما معه من هدايا الى " بحر نيجـــوس Bahr Negos " حاكم هذه المنطقة . غير أن " سولت" لم يجد ما يشجعه على اقامه علاقة تجارية مستقرة نتيجة لرفض الأحباش لهذا الإتجاه ولضعفهم عن السيطرة على المنطقة الساحلية مما جعله يشك فـــى نجاح أى تدخل بريطانى فى الحبشة حينـــذاك . (1) وقـــد ارفـــق "سولت" بتقريره هذا صورا من المراسلات التى دارت بينه وبـــين حكومة بومباى وتضم استفسارات من تلك الحكومة عن هذه الرحلة وأهدافها ، مما كان يظهر وجود نوع من السباق بين شركة الهنـــد الشرقية الانجليزية ووزارة خارجية بريطانيا فى ذلك الحين .

وجدير بالذكر أن الرسائل المرسلة من مجلس إدارة شـــركة الهند الشرقية الإنجليزية ومقره فى لندن كانت تصل الـــى الحـــاكم الإنجليزى العام فى كلكتا فى فترة تتراوح ما بين خمسة الى ثمانية شهور أما المراسلات التى كانت تتطلـــب ردودا حـــول الأمـــور الرسمية فقد كانت تستغرق فترة تصل الى عامين كاملين .

(1) F. O. I\I. Salt to F. O. 3\4\II, Report on his expedition.

على ان "سولت" قد أرسل أيضا تقريرا سياسيا الى حكومة الهند عن الأوضاع السياسية فى البحر الأحمر موضحا أن البريطانيين يمكنهم الحصول على ما يريدونه فى اليمن إذا تحالفوا مع شريف بن عريش أو إمام صنعاء . وكان شريف أبو عريش آو " شريف اللحية " كما يسميه " سولت" بحكم منطقة تهامة ، وهى الأراضى الساحلية المنخفضة الممتدة من ميناء اللحية شمالا الى ميناء مخا جنوبا وأيضا منطقة زيلع على الساحل الإفريقى فى البحر الأحمر . وذكر " سولت" انه شاهد سفينة فرنسية فى خليج "انسلى Annesley Bay" واوضح أنها جاءت إلى هناك لغرض شراء قطعة من الأرض المطلة على هذا الخليج . وقد أوصى "سولت" فى تقريره ايضا بضرورة التحالف مع الوهابيين لمنع الفرنسيين من التسلل الى ايران من جهة ، ولفتح طريق البحر الأحمر أمام البريطانيين من جهة أخرى عن طريق ميناء عدن وجزيرة قمران واستبداله بالطريق البرى الذى كان مهددا حينذاك والمار بالبصرة والخليج العربى .

وتجدر الإشارة إلى أن الرأى قد استقر فى إنجلترا على إرسال "هنرى سولت" مرة ثانية الى منطقة البحر الأحمر فى سنة ١٨٠٩ وقد وصل الى ميناء مخا اليمنى فعلا فى شهر نوفمبر من السنة المذكورة ، حيث وجد أسعار البن قد ارتفعت بفضل وجود

التجار المنافسين من الأمريكيين حتى بلغ سعر البالــة ٧٥ دولارا الأمر الذى سبب متاعب كثيرة لشركة الهند الشــرقية الإنجليزيــة نتيجة لارتفاع الأسعار . وعلى أية حال فقد أوضح "سولت" انه لم تكن توجد لمحمد على أية سفن هناك فى ذلك الحين مما كان يجعله يرى انه من السهل على البريطانيين الســيطرة علــى أى موقــع يريدون فى منطقة البحر الأحمر .

وهكذا كانت تحركات البريطانيين فى البحر الأحمر وعلــى مقربة من عدن فى مطلع القرن التاسع عشــر وقــد تمــت هــذه التحركات بتوجيه من قبل وزارة الخارجية البريطانية فــى أحيــان أخرى . حتى رجع "سولت" الى إنجلترا ، ولم يعد الى المنطقة ثانية إلا عندما عين قنصلا عاما لبريطانيا فى مصر لدى حكومة محمــد على . ولا يعنى هذا أن محاولات البريطــانيين للحصــول علــى امتيازات لتجارتهم فى المنطقة قد توقفت ، بل انهم انتهــزوا كــل فرصة ممكنة لتحقيق أغراضهم .

وتجدر الإشارة إلى انه قد نوقشت لدى الدوائر البريطانيــة أهمية احتلال البريطانيين لميناء عدن اليمنى فى نهاية القرن التاسع عشر عندما احتلت قوات بونابرت مصر فى سنة ١٧٨٩ وكانــت تتطلع لشن غزو فرنسى على الهند فى ذلك الحين . وقد نتج عــن

قيام حرب بين بريطانيا والأمريكيين فى الفترة مابين عامى ١٨١٢ ، ١٨١٤ ان بدأ بعض الساسة الإنجليز يعيدون التفكير فى احـتلال عدن بل ان " هنرى سولت" قنصل بريطانيا فى مصر اقترح علــى حكومة بومباى ارسال إحدى بطاريات الســاحل العســكرية الــى سلطان عدن لمساعدته فى الدفاع عن مينـــاء عـــدن ، نظـــرا لان البريطانيين كانوا فى حرب مع الأمريكيين الذين كــانوا مــرتبطين بعلاقات ودية مع تلك الموانى ، والتى كانت معظم سفنهم تفوق فى تسلحها السفن التجارية البريطانية التى كانت تبحر إلى تلك الموانى وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الاقتراح لم يوضع موضــع التنفيـذ خاصة بعد توقيع الصلح مع الأمريكيين كما أن التهديـد الفرنســى تضاءل نسبيا حينذاك (١)

وقد حدث فى شهر يوليو سنة ١٨١٧ أن تلكأ أحد الأعراب فى الوكالة البريطانية فى ميناء مخا اليمنى. غير أن الحرس الهنود أبعدوه بالقوة مما أثار بعض العرب الذين تجمعوا وأهانوا عددا من الضباط البريطانيين الموجودين بالوكالة. بل أن الوكيل البريطــانى فى مخا وهو "الملازم دومنكيتى .Lieutenant Domincetti" قد تعرض لإهانة من قبل "الدولة " حاكم مخا الذى استدعاه بالقوة فى وقت غير مناسب،كما هوجمت الوكالة وتعرضت للنهب والســلب.

(١)Marston , T. E.: Op., Cit., PP. 39, 40.

وقد أطلق حاكم مخا سراح الوكيل البريطانى وأمر بترحيله الى الهند، وأغلقت بطبيعة الحال الوكالة البريطانية فى المدينة .

وقد انتهزت حكومة بومباى هذا الحادث واستغلته لمصلحتها بعد مرور عامين من حدوثه خاصة وأنها كانت تنقب عن سبب مناسب يبرر تدخلها. وقد طلبت من إمام صنعاء أن ينزل العقاب بالحاكم السابق لمخا لمسئوليته عن تلك الحادثة. بل أن الحاكم العام للهند أمر بتوجيه قوه كافيه الى مخا لتدعيم مطالب حكومة الهند البريطانيه مستقبلا فى الميناء اليمنى. كما كانت تهدف حكومة "بومباى" الى فرض معاهده على إمام صنعاء يوافق فيها على أن يكون للوكيل البريطانى فى مخا حرس خاص مثلما لنظيره فى البصرة وبغداد ويكون هذا الحرس من القوه بحيث يكفل للمقيم الحماية والاحترام. كما أن كل العاملين فى الوكالة البريطانية يجب ان يكونوا تحت الحماية البريطانية وتابعين من الناحية القضائية للوكيل البريطانى. أما من الناحية التجارية فيجب انقاص الضرائب الجمركية على التجارة البريطانية من ٣,٥% إلى ٢,٢٥ %. وهذه المطالب دون شك كان من الصعب على الامام ان يتقبلها وهى تنقص من سيادته وتضعف من إيراداته .

وقد أصدرت حكومة الهند البريطانيه تعليماتها الى " الكابتن وليام بروس Captain William Pruse" المقيم البريطانى فى

" بوشهر" ليمثلها فى هذه المفاوضات ، ولهذا أبحر " بروس " الـــى مخا فى ٢٣ أغسطس سنة ١٨١٩م يرافقه اسـطول قــوى يقــوده "الكابتن لملى Captain Lumley"وقد تسلم "بروس" فـــى ٢٤اكتـــوبر سنة ١٨١٩ اجابه إمام صنعاء التى ابدى فيها مشـــاعره الوديـــة ، وأنه ارسل مبعوثه الفقيه حسين للتفاهم معه. وقد طلب الفقيه حسين من المبعوث البريطانى مرافقته إلى صنعاء حيث يمكن إحضـــار حاكم مخا السابق للتحقيق فى الواقعه. غير أن "بروس" أوضح انه لحين تقديم الاعتـــذار المطلـــوب انـــه لا يمكنـــه التوجـــه الـــى صنعاء.(١)وجدير بالذكر ان "وليم بروس" مبعوث حكومـــة الهنـــد البريطانيه للتفاوض مع إمام صنعاء بشأن الوكالة البريطانيـــة فـــى مخا قد طلب من "هنرى سولت" قنصل بين بريطانيا فـــى مصـــر حينذاك تأكيد تبعية مخا لمحمد على ،وكان هذا المطلـــب هـــو اول علامة مميزة للوجود المصرى فى اليمن ، واول استخدام للأساليب الدبلوماسية تقوم به شركه الهند الشرقيه الإنجليزية فـــى تعاملهـــا وعلاقتها مع الحكومة المصرية.(٢) بل إن حـــاكم بومبـــاى "الفنســـتون Elphinstone" طلب من "سولت " القنصل البريطانى فـــى مصـــر حينذاك تأكيد تبعية اليمن لمحمد على ، والاســـتئذان –فـــى حالـــة الضرورة – فى قيام حكومة بومباى بمحاصرة الموانى اليمنيـــه ،

(١)Playfair ,R.L. :Op.cit., PP.134, 136.

(٢)I.O.,Egypt, V7 , Bruse (Mocha)to Salt ,10/6/20.

وبأن حدوث ذلك لايعنى وجود أية نيه لـدى البريطـانيين لغـزو اليمن.(١)

وقد أجاب "سولت "على "بروس" موضحا ان محمد على قد منح الإمام الولايات التى سيطر عليها ابنه "إبراهيم " من "الدولـة" حاكم الحد يده ، مقابل كميه معينه من محصول البن اليمنى ترسـل كخراج سنوى للباب العالى . وفضلا عن ذلك كان محمد علـى على علم تام : بأهداف حكومة بومباى ، وكان يأمـل ان ترضـيه مناسبة من قبل الامام عن الأهانه التـى لحقـت بوكيـل الشـركة البريطانية فى مخا، وأبدى استعداده للتوسط لحل هذه المشكلة فـى الوقت الذى تحدده الشركه مما يظهر تفوق مركـزه فـى الـيمن حينذاك .

غير ان الحوادث تطورت بسرعة وظهر أثناءها اتجاه الامام ومبعوثه للمماطلة فى تحقيق المطالب البريطانيه مما أدى بالمبعوث إلى توجيه تحذير للسفن الراسية فى مخا بأن الميناء محاصر بقطع الأسطول البريطانى فى اليوم الثالث مـن شـهر ديسـمبر سـنة ١٨١٩.وقد بدأ قصف الميناء بمدفعية الأسطول فى اليوم السـادس والعشرين من الشهر المذكور تم إسقاط البرجين الرئيسين المدافعين

(١)I.O., Egypt ,V.7,Elphinstone to Salt,6/4/20.

عن المدينة فى اليوم الثلاثين من نفس الشهر . (١) واضطر حاكم مخا فى اليوم التالى إلى إصدار قرار يمنع أى شخص من إهانة الرعايا البريطانيين وإلا تعرض لعقوبات قاسية ، كما لم يجد إمام صنعاء بدا من الموافقة على تخفيض نسبة الضرائب على التجارة البريطانية من ٣,٥ % الى ٢,٢٥% . واضطر الإمام إلى توقيع المعاهدة التى اقترحتها بريطانيا فى ١٥ يناير سنة ١٨٢١ وأرسل صورة معتمدة منها الى المبعوث البريطانى فى ميناء مخا اليمنى (٢) على انه يلاحظ فى نفس الوقت انه قد ظهر اهتمام قليل من قبل بريطانيا بميناء عدن فى سنة ١٨٢٠ عندما قام السلطان احمد العبد لى سلطان لحج وعدن بإبلاغ القبطان " هينز " الذى وصل الى ميناء عدن بأنه يرغب فى ان يكون للإنجليز موطئ قدم فى تلك الميناء . وكان غرضه من ذلك دعم العلاقات التجارية مع شركة الهند الشرقية الانجليزية . كما ان السلطان العبد لى قام بإبلاغ " هتشنسون Hutchinson " وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية فى مخا انه سوف يمنح الشركة حق إنشاء وكالة بريطانية فى عدن نظير قيام بريطانيا بمساعدته ضد القبائل اليمنية المجاورة لسلطنته. وكان على " هتشنسون " ان يجيب عليه بقوله ان حكومة الهند لا

(1) L.O., Egypt , V 7 , Bruce to Salt, I/20/21 .
(2) Graham , G. ; Op. Cit. Pp. 287, 288.

ترغب فى القيام بأية ترتيبات سياسية، ولكنها تقتصر نشاطها على دعم العلاقات التجارية مع الموانى اليمنية[١].

وهكذا تمكنت بريطانيا من تدعيم نفوذها التجارى فى الموانى اليمنية المطلة على الجزء الجنوبى من البحر الأحمر، ونالت شركة الهند الشرقية الإنجليزية مكانة تجارية ممتازة فى المنطقة. وبهذا استحوز البريطانيون فى وقت مبكر على مزايا تجارية هامة ضمنت فى معاهدة رسمية اضطر إمام اليمن للتوقيع عليها تحت تهديد مدفعية قطع الأسطول البريطانى التى نفذت إلى البحر الأحمر[٢]. كما أن معاهدة الصداقة والتجارة التى عقدتها بريطانيا مع سلطان لحج وعدن فى سنة ١٨٠٢ كانت بداية لسلسة من المعاهدات المماثلة مع أهالى المنطقة لضمان المصالح التجارية البريطانية فى الطريق البحرى إلى الشرق عبر البحر الأحمر[٣]. وإذا كانت بريطانيا قد حققت هذا القدر من النجاح فى الجزء الجنوبى من البحر الأحمر، فإنها لم تتمكن رغم الجهود التى بذلتها لإخراج الفرنسيين من مصر أن تحل محلها، أو تبقى على قوتها محبوسة هناك بعد جلاء الفرنسيين، فاضطرت أخيرا إلى سحب

(1) Hutchinson to Henry Salt, January 24, 1823, See Marston, T.E. Op. Cit., PP. 39, 40, 65.

(2) Playfair, R.L.: Op. Cit., PP. 137, 139.

(3) Ghorbal, S. : The Beginnings of the Egyptian Question and the Rise of Mohammed Aly, P. 156.

قواتها من مصر بعد صلح أميان في سنة ١٨٠٣ . بل أن البريطانيين فشلوا في تنفيذ خطتهم المبنية على تكوين حزب قوى موالى لهم من المماليك ومساندته حتى يمسك بمقاليد الأمور في مصر لتحقق بريطانيا أغراضها عن طريقه . وكان البريطانيون قد أخذو معهم عند انسحابهم "محمد الألفى " وهو أحد زعماء المماليك ليجعلوا منه نواة هذه القوة الموالية لهم . وقد عاد الألفى إلى مصر بعد أن نسق خطته مع الإنجليز الذين زاد خوفهم من عودة نابليون إليها ثانية بعد أن أبرموا معاهدة مع السلطان العثمانى في سنة ١٨٠٦ . ولهذا أرسل الإنجليز حملة فريزر "Frazer" في سنة ١٨٠٧ بالتثبت من عدم محاولة الفرنسيين العودة إليها في الوقت الذى كان محمد على قد ظهر على مسرح الأحداث فيها وسيطر على الموقف هناك يسانده قوة شعبية تصدت للبريطانيين في رشيد . وقد شكل فشل فريزر في رشيد ضربة قوية للنفوذ البريطاني في مصر كما خسرت بريطانيا عددا كبيرا من جنودها الذين اشتركوا في تلك الحملة .(١)

وإذا كانت بريطانيا قد خسرت جولتها في مصر سنة ١٨٠٧ فقد كان لها في نفس الوقت السيادة البحرية الكاملة في البحر

(١)Fortescue, G. W.: A history of the British Army , Vol.. V. , PP. 17 .

الأحمر، خاصة وأن البريطانيين كانوا قد احتلوا جبل طارق فى سنة ١٧٠٤[١]. فسيطروا بذلك على مدخله الشمالى، كما أنهم كانوا قد احتلوا أيضا جزيرة مالطة فى سنة ١٨٠٧ وهى نقطة استراتيجية فى وسطه[٢]. ثم أنهم ضموها إلى مستعمراتهم بعد انعقاد مؤتمر فيينا فى سنة ١٨١٥ بل أن بريطانيا اطمأنت بعض الشىء باتفاقها مع محمد على بشأن جلائها عن مصر، عندما تعهد بمقاومة أى محاولة أوروبية تستهدف احتلال الأراضى المصرية أو المرور بها للوصول إلى الهند عبر البحر الأحمر[٣].

ورغم جلاء الفرنسيين عن مصر فى سنة ١٨٠٢ فقد ظلت رغبتهم فى العودة إليها والتحكم فى طريق البحر الأحمر قائمة. ولهذا أوفد "بونابرت" الكولونيل سباستيانى " إلى مصر للتعرف على نيات البريطانيين ولدراسة الأوضاع الجديدة هناك فى نهاية عام ١٨٠٢م. وقد حاول "سباستيانى" أن يقوم بواجبه على خير وجه ونجح فى ذلك حتى اختير سفيرا لفرنسا لدى الدولة العثمانية فى سنة ١٨٠٦[٤].

---

(1) A Red Book On Gibraltar, Issued by the Spanish Government, Msdred, 1965, PP. 13, 16.

(2) George, H.B.: Op. Cit., PP. 13,19.

(3) Kirk, G.E:A Short History of the Middle East. P. 72.

(4) Hoskins, H.L: British Routes to India, P. 61.

وقد ظل " نابليون " حتى نهاية حياته السياسية مهتما بمصر وبالطريق الموصل للشرق عبر البحر الأحمر. وكان يرسل مبعوثه لجمع البيانات والمعلومات الهامة ولعرقلة مصالح ومساعى أعدائه البريطانيين فى هذه المناطق .

وعندما فرغت فرنسا من تصفية مشاكلها الداخلية الناتجة عن الأوضاع غير المستقرة فيها ، فضلا عن مشاكلها الخارجية مع الدول الأوربية التى نجمت عن الحروب النابليونية ، فإنها أخذت تبحث عما يعوضها عن مستعمراتها المفقودة .(1)

ولا شك أن أنظار الفرنسيين قد اتجهت إلى المناطق الساحلية الهامة الممتدة من البحر الأحمر إلى الخليج العربى وكانت كلها لا تزال فى أيدى أصحابها العرب . وكانت فرنسا تدرك أن العقبات التى تواجه تحقيق أطماعها فى هذه الجهات تكمن بالدرجة الأولى فى الأطماع البريطانية المنافسة من ناحية ، بالإضافة إلى العرب أصحاب البلاد الأصليين من ناحية أخرى .

وقد حاولت فرنسا أن تعيد العلاقات التجارية مع السيد سعيد سلطان زنجبار فى سنة ١٨١٧ بعد عودة "البوربون" إلى العرش ،

(1) Coupland , R. Op. Cit. P 436.

ورحب السلطان بإعادة علاقاته القديمة مع فرنسا ، (١) غير أن الفرنسيين أرسلوا بعض سفنهم الحربية إلى زنجبار في سنة ١٨٤٠وطلبوا من ابن السلطان أن يصرح لهم بإقامة بعض المبانى والحصون فى " مقديشيو " و " برزوا" لخدمة أغراضهم التجارية . ولما اعتذر ابن السلطان وممثله " هلال" عن تلبية مطالبهم فقد أبحروا إلى مدينة " نوسي بى Nossi-Be " الواقعة على مقربة من ساحل مدغشقر الغربى حيث انزلوا قواتهم ونفذوا أغراضهم بالقوة وقد احتج السيد سعيد سلطان زنجبار مستنكرا العدوان الفرنسى ، وابرق إلى " بالمر ستون " ينبئه بما حدث وطلب مساندة بريطانيا له فى مقاومته العدوان وإلا سيضطر لمفاوضة الفرنسيين إذا لم تتحرك الحكومة البريطانية لمساعدته . غير ان بريطانيا لم تحرك ساكنا لنجدة سلطان زنجبار لأنها لم تكن تهتم بالسلطان ذاته . بل كان يهمها بالدرجة الأولى حينذاك مواصلاتها فى البحر الأحمر والمحيط الهندى . وقد رأى البريطانيون فى هذه المحاولات الفرنسية فى تلك المنطقة البعيدة ما يشغل الفرنسيين عما هو أجدى وأهم ، إذ طالما كانت التحركات الفرنسية بعيدة عن " ممبسا " جنوبا فهى لا تهدد المصالح البريطانية عبر طريق البحر الأحمر وهو ما يهم بريطانيا فى المقام الأول بطبيعة الحال .

---

(١)Coupland , R. : Op. Cit. , P. 424

على أن ما أثار البريطانيين فعلا وأقلقهم على مصالحهم فى جنوب البحر الأحمر فى أوائل القرن التاسع عشر تلـك المنافسـة الأمريكية التى تمثلت فى جهود التجار الأمريكيين من مـواطنى " ماسا شوستـس " الذين نافسوا التجار الهنود فى بيع المنسـوجات القطنية ونافسوهم أيضا فى صيد الحيتان مـن المحـيط الهنـدى وشاركوهم فى تجارة مخلفات الطيور البرية " Guano " من جزر " كوريا موريا " المواجهة للساحل الجنوبى للجزيرة العربية ، وذلك من قبل قيام الحكومة البريطانية بمحاولتها الفاشلة لأخذ كميات من المخلفات لاستخدامها فى تسميد الأرض فى الجزر البريطانية نفسها

وقد تبينت شركة الهند الشرقية الإنجليزية منذ أوائل القـرن التـاسع عشر ان الأمريكيين يعتبرون منافسين جادين لها . فعلـى الرغم من بعد بلادهم عن ميدان التجارة فى البحر الأحمر والمحيط الهندى ، فانهم كانوا يحضرون من بلادهم النائية للاشـتراك فـى النشاط التجارى هناك . بل ان التجار الأمريكيين أخذوا يرسـلون سفنهم إلى الموانى اليمنية وخاصة ميناء مخا ، ، حيث يحصـلون على ثلاثة أرباع إجمالى محصول البن اليمنى الذى كان يبلغ فـى عام ١٨٠٩ ثلاثة عشر ألف باله .وقد أدت منافستهم هذه فى مجال تلك التجارة آلى رفع سـعر البالـة مـن ٥٦ دولار (آى حـوالى ١١جنيها إسترلينيا) آلى ٧٥دولار (آى حوالى١٥ جنيه إسترلينيا).

وقد قام التجارة الأمريكيون باستخدام الطريق الموصل آلى البحـــر الأحمر عبر طريق رأس الرجاء الصالح مـــع المـــرور بمحـــاذاة الساحل الشرقى لإفريقيا. وقد وفر ذلك عليهم نفقات النقـــل التـــى كانت تحصل عليها شركة الهند الشرقيه الإنجليزيـــة والشـــركات الفرنسية الأخرى التى اتخذت من جزر" موريشـــيوس ورينيـــون "Mouritius and Reunion قواعد لها.

وكان التجار الأمريكيون على درجه عاليـــة مـــن ألهمـــه والنشاط على نحو ما يمثله التـــاجر الأمريكـــى "تشـــارلز ميليـــت "Chares Millet فقد أبحر هذا التاجر من بلاده بسفينته الشراعية المعروفة باسم "آن ANN" ووصل إلى ميناء مخا فى ٢٠ يونيـــو سنة ١٨٢٦ م ومعه حموله ضخمه من البضائع القطنية والمسامير والتبغ حيث افرغ سفينته لدى التجار الذين كانوا يقومـــون ببيعهـــا لحسابه حتى يعود إليهم فى رحلته التاليه. وكان "ميليت " هذا يقـــوم بشحن سفينته بكميات هائله من محصول البن اليمنى يأخذه معه إلى بلاده .ثم يعاود رحلاته إلى بلاد الشرق بصفة منتظمـــة . ويعتبـــر "ميليت" مثالا للتجار الأمريكيين الذين كان لهـــم دور فعـــال فـــى التجارة الشرقيه فى ذلك الحين (١).

---

(1) I, Waterfield, G.Or.Cit.,P.30

ثالثاً- جهود البريطانيين لمواجهة المنافسة الأمريكية وغيرها في جنوب البحر الأحمر:

على هذا النحو من الجهود التي بذلها التجـــار الأمريكيـــون للمشاركة في التجارة الشرقية بوجه عام وتجارة البن اليمني بوجـــه خاص منذ اوائل القرن التاسع عشر ، فقد أحس البريطانيون بـــأنهم يواجهون منافسة خطيره لمصالحهم في جنـــوب البحـــر الأحمـــر والمحيط الهندي ، (١) ففي خلال ثمانية عشر شهرا بـــين عـــامي ١٨٣٢-١٨٣٤ وصلت إلى ميناء زنجبار على الســـاحل الشـــرقي لإفريقيا ٣٢ سفينه أمريكية عرجت كثيرات منها إلى جنوب البحـــر الأحمر ، هذا في الوقت الذي لم تصل إلى الميناء المذكور ســـوى سبع سفن بريطانية لا غير . وقد وصلت إلى ميناء مخـــا اليمنـــي مجموعه كبيرة من تلك السفن الامريكية لنقل كميات من البن اليمني الذي كان يلاقي ترحيبا بالغا وسوقا رائجا في الولايـــات المتحـــدة حينذاك.(٢)ولا شك أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكيـــة كانـــت تساند التجار الأمريكيين في جهودهم الرامية إلى مشاركة الإنجليز بل منافستهم في العمليات التجارية بالأسواق الشرقيه بعد أن كـــانوا ينفردون باحتكارها منذ إنشاء شركه الهند الشرقية الإنجليزية فـــي عام ١٦٠٠ . ومما يؤكد ذلك الاتجاه لدى حكومة الولايات المتحدة

---

(١)Mastorn , T.E.: Or .Cit., P .31.
(٢)Waterfield ,G.: Or.Cit, P.41.

الامريكيه هو قيامها بعقد أول معاهده مع سلطان مسقط وزنجبـــار في سنه ١٨٣٣ــ حيث كانت سفنه تبحر بالتجارة في أرجاء المحيط الهندى والبحر الأحمر وكانت تهدف آلى ضمان حسن سير عمليات التبادل التجارى مع التجار الأمريكيين . أما بالنسبة لسلطان مسقط وزنجبار فقد اقبل على عقد هذه المعاهدة بعد أن تبين الفوائد الجمة التى ستعود عليه نتيجة لارتباطه مع التجار الأمريكيين وحكـــومتهم بعد أن اصبح لهم دور فعال فى منافسه احتكار الإنجليـــز للتجـــارة الشرقيه في المحيط الهندى والبحر الأحمر منذ أوائل القرن التاسع عشر.

وتشير بعض الدراسات الـــوثائقية إلى أن بريطانيا لم تكـــن تواجه منافسه من قبل الأمريكيين حول ميدان التجارة الشرقيه عامه وتجاره البن اليمنى على وجه الخصوص . بل أن إنها واجهت نفس المنافسة من قبل محمد على الذى وصلت قواته إلى تهامـــة الـــيمن لتعقب " تركجه بيلمز " المتمرد عليه والذى فر من الحجـــاز إلـــى اليمن فى سنه ١٨٣٣ . إذ وضح أن محمد على كان يبغـــى مـــن الوصول إلى تهامة اليمن حينذاك السيطرة على تجارة البن اليمنـــى المربحة ، ومنافسه البريطانيين كذلك فى هذا الميدان . ومما يؤكـــد ذلك قيامه بفرض ضرائب باهظة على التجار التابعين لشركه الهند الشرقيه الإنجليزية بلغت نسبتها ٧,٢٥% في الموانى اليمنية .

ونتيجه ذلك فقد قام " اللورد بالمرستون " وزير الخارجية البريطانية بتوجيه تعليماته إلى "كامبل " القنصل البريطاني في مصر في أول مارس سنه ١٨٣٧ ليطلب بشكل قاطع من محمد على رفع القيود المفروضة على التجارة البريطانية على وجه السرعه ، لان بريطانيا لن تسمح للمصريين بأن يواصلوا تطبيق هذا النظام الذى ينطوى على العداء الكامل للتجارة البريطانية ، وانه إذا لم ترفع هذه القيود فان الحكومة البريطانية سوف تأخذ فى اعتبارها فورا اتخاذ كافة الإجراءات التى تضمن المحافظة على "شرف بريطانيا العظمى" وعلى مصالحها التجارية فى منطقة البحر الأحمر.(١)

هذا فى الوقت الذى كان الأمريكيون يبذلون فيه جهدهم ويحصلون على نصف حجم التجارة الموجودة فى الموانى اليمنية فى ذلك الحين.(٢)

وقد أكد هذه الجهود الامريكيه للسيطرة على التجارة اليمنية عامة وتجار البن بصفه خاصة فضلا عن عمليات النقل البحرى ، ما أشار إليه " كامبل " القنصل البريطاني فى مصر الذى كتب إلى

(1) F.O . 87 /318 , From Palmerston to Campbell, March I ., 1837
(2) Waterfield ,G.:OP.Cit .,pp.31,32.

وزارة الخارجية البريطانية فى شـــهر نوفمـــبر ســـنة ١٨٣٧ مشجعا الحكومة البريطانية على تبنى فكرة الإسراع بـــامتلاك عدن، فى الوقت الذى قامت فيه لجنة "مجلس العموم البريطانى" "House of Commons Committee" بإقرار إقامة خط بحـــرى للبواخر يربط إنجلترا بالهند. وكان بعض الخبراء لا يزالـــون يشيرون إلى استخدام مخا أو ســـقطرى أو بريـــم أو قمـــران كمحطة للبواخر البريطانية على هذا الطريق. فإن "الكولونيـــل كامبل" أشار إلى أهمية عدن فى هذا السبيل بقوله:

It Would not Only Prevent The Possibility of any attempt by Mohamed Ali (Viceroy of Egypt) and Others To Extend Their Conquests beyond The Red Sea, but, Moreover besides its advantageous Position as a Coal depot of Our Communication between Bombay and Suez, it Would Most Probably Throw The Whole Trade of Mocha Coffee into That Port, and To England The Whole Command of That article a great quantity of Which is at Present bought by Americans(1).

---

(1) I .O., Factory Records, Persia, Vol. 58. Colonel Patric Cambpell, British Consul – General in Egypt, To Lord P almerston, Foreign Minister, Alexandria, November 1. 1837.

وهذا يعنى أن "كامبل" القنصل الإنجليزى فى مصر كان يعتقد فى أوائل نوفمبر سنة ١٨٣٧م أ، احتلال البريطانيين فقط أية محاولة محتمله يقوم بها محمد على وآخرين لمد نفوذهم. فيما وراء البحر الأحمر إلى جانب موقع عدن الممتاز كمحطة لتزويد البواخر الإنجليزية بالفحم على طريق المواصلات البريطانية البحرية بين بومباى والسويس. بل إنه رأى أيضاً أن عدن فضلاً عن ذلك ستجذب تجارة البن اليمنى الهامة والمربحه بأكملها من ميناء مخا، وتصبح بريطانيا مسيطرة تماماً على تلك التجارة وتكسر احتكار الأمريكيين لها بعد أن كانوا يستحوذون على كميات هائلة من محصول البن ويقومون بنقلها إلى الولايات المتحدة بواسطة السفن الأمريكية.

وهذا شكل التجار الأمريكيون فى ذلك الوقت المبكر منذ بداية النصف الأول من القرن التاسع عشر وأثناءه منافساً خطيراً للنشاط التجارى لشركة الهند الشرقية الإنجليزية فى منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندى رغم بعد الولايات المتحدة الأمريكية عن البحار الشرقية. وقد وجه ذلك البريطانيين إلى ضرورة السيطرة على عدن للاستئثار بتجارة البن اليمنى بعد تحويلها من مخا إلى ذلك الميناء، فضلاً عن احتكار الأسواق التجارية بمنطقة البحر الأحمر لتحطيم المنافسة الأمريكية وغيرها بعد أن بدأت خطورتها بشكل ملحوظ.

وجدير بالذكر أنه قد نشب تنافس بين المصريين والبريطانيين فى أعقاب احتلال بريطانيا لعدن حول تجارة البن اليمنى على وجه الخصوص. ففى نهاية شهر فبراير ١٨٣٩ توجه إلى عدن مبعوث الشيخ الشرزبى حاكم إقليم الحجرية اليمنى ليوضح أن الشيخ الشرزبى يرغب فى زيارة "هينز" المقيم السياسى البريطانى فى عدن بعد أن تلقى عدة رسائل من الحاكم المصرى فى اليمن يعرض منحه مكافآت عظيمة ووعوداً كريمه إذا هو سلم إقليمه للمصريين. وأوضح مبعوث الشيخ الشرزبى أن رئيسه يرغب فى أن يتفق مع الإنجليز لتجد صادرات إقليمه الخصب طريقاً وخرجاً لها عبر عدن وليس عن طريق الموانى اليمنية الأخرى التابعة لحكم محمد على مثل ميناء مخا، والحديده . كما أوضح أيضاً أن الحاكم المصرى فى تهامة حذر الشيخ الشرزبى بأنه إذا توجه إلى عدن فإن الإنجليز سوف يقبضون عليه نظراً لما بين الجانبين المصرى والإنجليزى حينذاك من علاقات طيبة.

وقد أوضح "هينز" لرئاسة بومباى ما حدث موضحاً أنه ليس من المستغرب أن السلطات المصرية ستكون قلقة للغاية لحرصها على امتلاك إقليم الحجرية إذا كان دخل هذا الإقليم من محصول البن اليمنى فقط من خلال تصديره عبر ميناء مخا يبلغ ٦٠,٠٠٠ ستون ألف دولار أى ما يعادل ١٢,٠٠٠ ألف

جنية إسترلينى سنويا، وأن المصريين كانوا على علم تام بـــأن الشيخ الشرزبى إذا وجد معبراً لتجارة البن عبر عـــدن، فـــإن ميناء مخا الذى يسيطرون عليه ستقل قيمته كثـــيراً، وأن تلـــك الخطوة ستشكل الخطوة الأولى نحو الانهيار الاقتصادى الـــذى كان لابد من حدوثه فى مخا إذا استمر العلم البريطانى يرفـــوف على ميناء عدن(١).ولهذا فقد عقد "هينز" مع الشيخ عـــون بـــن يوسف الشرزبى شيخ الحجرية المعاهدة التى حـــددت أن مـــا يرتضيه البريطانيون فى عدن سيكون محل التنفيذ(٢). وواضـــح من ذلك أن الشيخ الشرزبى حاكم الحجريـــة كـــان يعتقـــد أن التعامل مع البريطانيين سوف يوفر عليه كثير من الضرائـــب التى فرضتها الإدارة المصرية على الصادرات بعد أن أصلحت الموانى اليمنية من جهة، فضلا عن خشيته من احتكار محمـــد على لمحصول البن اليمنى الهام من جهة أخرى.

وإذا كان قد سبق أن أثير حوار علمى بعيد المدى حـــول تحديد ماهية الدوافع الحقيقية لاحتلال البريطانيين لعدن فـــى ١٩ يناير سنة ١٨٣٩م. ورؤى أنها تتلخص فى رغبه البريطـــانيين فى استخدام عدن محطة لتموين السفن البريطانية بالفحم والمياه

---

(1) I .O., Secret Debartment , Bombay, To Secret Committee, Vol. 6 February 25, 1939.

(2) I .O., Bombay Secret, Proceedings, Haines To Bombay Govennment, April 13 , 1854.

والمؤن اللازمة ، نظرا لموقعها المتوسط بين بومباى والسويس من جهة وصلاحية ميناءها للملاحة طوال فصول السنة من جهة أخرى. كما أتخذها البريطانيون مركزا لوقف توسع محمد على وتصفية نفوذه فى الجزيرة العربية حتى لا يهدد طريقى مواصلاتهم إلى الهند عبر الخليج العربى والبحر الأحمر على السواء. بل أن البريطانيين رأوا أن عدن يمكن أن تكون قاعدة دفاعية أمامية[١] فيما وراء نطاق حدودهم لمواجهة المنافسة الضارية من قبل روسيا القيصرية التى كانت تسعى للوثوب على المصالح البريطانية عبر اسطنبول والعراق وإيران من جهة ومن قبل فرنسا التى كانت تتسلل لتحقيق غايتها بضرب بريطانيا فى الشرق عبر البحر المتوسط ومصر من جهة أخرى. هذا فضلا عن الدور الذى كانت تلعبه النمسا أيضا فى ذلك الحين محاولة السيطرة على جزيرة سقطرى الواقعة أمام القرن الأفريقى وعند المدخل الجنوبى لخليج عدن من جهة ثالثة على نحو ما ورد بتصريحات بعض المسئولين البريطانيين فى ذلك الحين[٢]. أما مسألة جنوح السفينة الهندية " دوريات دولت " على الساحل اليمنى القريب من عدن وتعرضها للنهب وطلب الإنجليز الحصول على التعويض اللازم من سلطان لحج وعدن. ثم نقل ملكية عدن إلى الحكومة البريطانية ورفض

---

(1) Graham, G.S: op.cit., pp. 301, 306.

(2) Marston, T.E.: op.cit., p 58.

السلطان ذلك، فلم يكن هذا الحـــادث ســـوى ذريعـــة مباشـــرة للاحتلال ومن نوع الأحداث المناسبة للاستثمار لخدمة الأهداف البريطانية خدمة ممتازة(١).

إذا كانت هذه الدوافـــع كلـــها قـــد أدت إلـــى احتـــلال البريطانيين لعدن، فإن رغبه البريطانيين فى الاستحواذ علـــى التجارة اليمنية بوجه عام واحتكار تجارة البن اليمنى المربحـــة حينذاك بشكل خاص وتحطيم المنافسة الأمريكية فى هذا المجال بعد أن بدت خطورتها بشكل ملحوظ، تعتبر مـــن أهـــم دوافـــع البريطانيين لاحتلال عدن فى نهاية العقد الرابـــع مـــن القـــرن التاسع عشر.

وبعد احتلال البريطانيين لعـــدن فـــى ١٩ ينـــاير ســـنة ١٨٣٩م، ونجاحهم فى إخراج المصريـــين مـــن اليمـــن وفقـــا لقرارات مؤتمر لندن فى سنة ١٨٤٠م. فقد قام محمـــد علـــى بتسليم منطقة تهامة القريبة من عدن والممتدة علـــى الســـاحل اليمنى المطل على البحر الأحمر(٢) للشريف حسين بن على بن

(1) Graham. G.S.: op. Cit., p. 393.

(2) Douin. G. Histoire du Règne du Khedive Ismail Tome III. I ere Partie, P. 233.

حيدر حاكم أبو عريش عاصمة المخلاف السليماني بشمالي اليمني ليحكمها ممثلاً عن الباب العالي(١).

وتجدر الإشارة إلى أن الحسين بن علي بن حيدر حاكم تهامة الجيد قد فرض ضرائب باهظة على التجار والأهالي في المناطق التابعة له بحجة أنه يقوم بإعداد جيش كبير يهاجم به عدن لينتزعها من أيدي البريطانيين.

كما رفع الحسين نسبة الضرائب على البضائع البريطانية حتى بلغت ٧% من قيمتها بل أنه أهان الرعايا البريطانيين في مخا ورفض إرسال المؤن اللازمة إلى عدن. ثم ذهب إلى أبعد من ذلك عندما انزل العلم البريطاني عن مبنى الوكالة الإنجليزية في مخا(٢). وأرسل خطاباً إلى المقيم السياسي البريطاني في عدن في سبتمبر ١٨٤٠ اتهم فيه "عبد الرسول" وكيل البريطانيين في مخا بأنه " كاذب ومنافق " كما اتهم الإنجليز بأنهم يعملون على تخفيض الضرائب بما يؤثر تأثيراً سيئاً على دخل حكومته في تهامه اليمن(٣).

---

(1) Marston, T.E.: op.cit, p. 100.

(2) F.O., 78 / 3 / 85, Haines To Secret Committee, 9 / 14 / 40.

(3) Marston, T.E.: op.cit., p. 102.

وعندما علمت حكومة لندن وخاصة وزارة الخارجية البريطانية، عن طريق "مجلس شئون الهند India Board " الذى كان يدير شئون شركة الهند الشرقية فى لندن، بالتصرفات العدائية التى قام بها الشريف حسين حاكم تهامة ضد الوكالة البريطانية فى مخا، فقد ثارت ثورة عارمة حفاظا على مصالح بريطانيا فى البحر الأحمر. ولما كانت وزارة الخارجية البريطانية لا تعلم حقيقة الأوضاع القائمة فى المنطقة واستنادا إلى أن كل ما فتحه محمد على فى الجزيرة العربية قد آل إلى الدولة العثمانية، فان الوزارة قد احتجت على الباب العالى فى الأستانة(١). وقد سارع الباب العالى إلى إرسال أشرف بك إلى مخا لإقرار الأمور بما يتفق مع المصالح البريطانية . وقد مر بمصر أثناء توجهه إلى مخا فى شهر مارس سنة ١٨٤٢(٢). وأعطيت له صلاحيات عزل الشريف حسين نفسه إذا استدعت الضرورة ذلك على نحو ما أخطرت الحكومة البريطانية "هينز" بذلك فى شهر مايو من تلك السنة.

وعلى أية حال فقد ضاق أهالى تهامة بعبء الضرائب التى فرضها الحسين عليهم فى تهامة، فضلا عن الضرائب

---

(1) I .O., B.S.C. 1842, Government of India To Bombay 2 / 28 / 42, enclosing Aberdeen To Fitzgerald, 12 / 22 / 41.

(2) F.O., 78 / 502, Barnett To F.O., 3/20/42

التى فرضها على البضائع الأجنبية وبدءوا يفرون من مخا والحديده متجهين إلى عدن. وقد انتشرت فى عهد الحسين الأمراض فى اليمن مما جعله يخشى على رجاله ويصدر أوامره لجميع السفن الراسيه فى مخا والحديده بإفراغ شحناتها ونقل المرضى إلى عدن. وقد بلغ معدل الداخلين إلى عدن شهرياً حوالى ١٢٠٠ من سكان تهامة.

وقد ترتب على ذلك أن ازداد عدد السكان فى عدن وبدأت المدينة تتوسع لاستقبال المهاجرين والتجار والداخلين إليها حتى بلغ عدد منازل المدينة ألفى منزل بنيت من الحجارة والطين فوق بقايا مدينة عدن القديمة. وفى سنة ١٨٤٢ بلغ تعداد سكان مدينة عدن خمس عشرة ألف نسمه وانتعشت المدينة واستعادت بعض مجدها الغابر، خاصة بعد أن أصبحت ميناء حراً مفتوحاً للتجارة فى سنة ١٨٥٠[١]. وقد جرى إحصاء رسمى لسكان عدن فى سنة ١٨٥٦ ووجد أن تعداد السكان حينذاك قد بلغ ٢٠,٦٥٤ نسمة. وفى سنة ١٨٧٢ أجرى إحصاء أخر فى عدن أظهر مدى التزايد المستمر فى تعداد السكان الذى بلغ حينذاك ٢٩,٢٨٩ نسمة. وكان تعداد الجنوب بينهم ٣,٤٣٣ أما بقية السكان فكان بينهم ٨,٢٤١ يمنياً،

---

(١) حمزة على ابراهيم لقمان: تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ص ٢٢١.

و ٤,٣٤٦ صوماليا و ٢,٦١٤ هنديا مسلما، و ١,٤٣٥ يـهوديا، و ٨٥١ هندياً من غير المسلمين، و ١٨٢ بريطانياً مدنياً، أمـــا الباقون فكانوا من الأتراك والإيرانيين والمصرييـــن والأكـــراد والصينيين وبعض الأوروبيين وأمريكى واحد فقط وكان ذلـــك الأمريكى هو "المستر وليم لو كرمان" الذى كان يشتغل بالتجارة وقد عينته حكومة الولايات المتحدة الأمريكية قنصلاً فخرياً فـــى عدن فى سنة ١٨٧٩ غير أن القنصلية الأمريكية الرسمية قـــد أنشئت فى سنة ١٨٩٥ وكان القنصل الرسمى فى عدن حينـذاك هو "مستر ماسترسن"[١].

ولاشك أن تزايد سكان عدن على النحو المشار إليه إنمـــا يؤكد حرص البريطانيين على تنشيط تلك المدينة بحيث تجتـــذب النشاط التجارى من الموانى اليمنية الأخرى أمثال مخا والحديـــدة وكان ذلك نتيجة طبيعية لجهود البريطانيين فى كســـر احتكـــار التجار الأمريكيين للتجارة اليمنية عامة وتجارة البن اليمنى علـــى وجه الخصوص. وقد واجه البريطانيون موقف الشريف الحسين بن على بن حيدر حاكم تهامة بتركيز جـــهودهم لنقـــل النشـــاط التجارى من موانيه ليتركز هذا النشاط فى عـــدن. واتفـــق مـــع البريطانيين فى هذا الموقف أمام صنعـــاء الـــذى كـــان يعـــادى الحسين ويرغب فى استرجاع تهامة من قبضته ومـــن تبعيتـــها

(١) حمزة على ابراهيم لقمان: نفس المصدر، ص: ٢٢٢.

للدولة العثمانية. غير أن المقيم السياسى البريطانى فى عدن "هينز Captain Haines" لم تكن لديه تعليمات بعقد اتفاق مع إمام صنعاء للتعاون عسكريا ضد الشريف حسين حاكم تهامة ، وهذا قد جعله يرد محاولتين من جانب الإمام لطلب التعاون. غير أنه عرض على الإمام أن يفتح ميناء عدن لتصدير البن اليمنى بدلا من تصديره عن طريق مخا. بل أن المقيم السياسى "هينز" أخطر المجلس السرى The Secret board لشركة الهند الشرقية الإنجليزية فى ١٠ إبريل سنة ١٨٤٢ بإن إمام صنعاء عاد مرة أخرى وعرض عليه تعاون بريطانى يمنى لحصار ميناء مخا فى مقابل تنازل الإمام لبريطانيا عن تهامة بعد تخليصها من حكم الحسين(١). وقد وصل الأمر بالإمام إلى هذا الحد نكاية بالحسين نظرا لأنه لم يكن قادرا على التغلب عليه حينذاك.

وفى نفس الوقت وجه الشريف حسين ضربه اقتصادية ضد البريطانيين فى عدن عندما هبط بالضريبة الجمركية على البن المصدر من مخا على السفن الأمريكية إلى ٣ % فقط، بل أنه تنازل أيضا عن رسوم الرسو فى الميناء فى سنة ١٨٤٢م. وكان يهدف من وراء ذلك إلى توجيه عمليات تصدير البن إلى مخا بدلا من عدن حتى انه اقنع "مستر ويب Mr.. Webb" قائد السفينة الأمريكية " راتلر Rattler " بأخذ شحنات البن اللازمة

(1) Mastorn, T.E.: op. Cit., pp. 103 , 105.

له بصفة دورية من مخا[١] وكان طبيعيا أن يرحب هذا التاجر الأمريكى باستيراد شحنات البن من مخا بدلا من عدن بتلك الشروط المرضية حتى يتفادى منافسة البريطانيين للأمريكيين فى هذا المجال.

وإزاء هذا الموقف فقد رأت حكومة الهند البريطانية أن تسعى من جانبها لإقامة علاقات ودية مع الحسين بن على بن حيدر بعد أن ملك زمام الأمور فى تهامة محاولة استرضاءه. ولهذا أصدرت تعليماتها إلى "كابتن مورسبى" للتقدم تجاه ميناء مخا لمحاولته استرضاء الشريف حسين وإقامة علاقات ودية معه وقد نجح " كابتن مورسبى" فى الاتفاق مع شريف مخا وعقد معه معاهدة تجارية تتفق مع المصالح البريطانية فى البحر الأحمر. وكانت السياسة البريطانية قد اتجهت حينذاك إلى إغفال أمر الدولة العثمانية صاحبة السيادة فى سواحل البحر الأحمر، وشرعت تتحالف مع بعض شيوخ تلك المناطق أو صغار أمرائها وتحصل منهم على صك بالتنازل عن بعض الأماكن التى فى حوزتهم[٢] وقد تمكنت بريطانيا من وضع أقدامه فى تلك الأرجاء باتباعها لهذه السياسة.

---

(1) I .O., B.S.C. 1842, Haines To Bombay. 5/31/42.

(٢) محمد صبرى (دكتور) : مصر فى إفريقية الشرقية، ص ١٧.

وعندما قتل إمام صنعاء فى شهر ديسمبر سـنة ١٨٤٩م فقد تعرضت اليمن لحالة من الفوضى والاضطراب، وتوقفت الطرق المؤدية إلى مخا والحديده . بل أن الضرائب الباهظة التى فرضها الترك فى مخا أدت إلى توقف الحركة التجارية بها وتدفقت التجارة بعد ذلك إلى عدن فى سنة ١٨٥٠[١] مما أدى إلى زيادة عدد سكانها على النحو الذى أشرنا إليه نتيجة لانتعاشها من الناحية التجارية على وجه الخصوص.

وجدير بالذكر أن العثمانيين بعد أن أستقروا فى تهامة فى سنة ١٨٤٩م حاولوا أن يسيطروا على مناطق إنتاج البن لتحويل تصديره إلى مخا والحديدة بدلا من عدن. غير أنهم لم يوافقوا فى ذلك نظرا لرفض القبائل الزيدية للسيطرة التركية على بلادهم. وأصبح لذلك معظم محصول البن اليمنى يصدر لخارج اليمن عن طريق عدن حيث يتفادى التجار دفع الضرائب التى كان يفرضها الأتراك فى ميناء مخا والحديده، مما أدى إلى اضمحلال حركة التجارة بينهما، وأثر ذلك بالتالى تأثيرا على اقتصاديات اليمن.

(1) Marston. T.E.: op.cit., pp. 152, 153.

وقد حدث ذلك فى الوقت الذى حرص فيه البريطانيون على أن يظل ميناء عدن حرا[١] Free Port كما أن الغالبية العظمى من السفن اتجهت إلى ميناء عدن وفضلته عن غيره لاعتبارات معينة أهمها أن الرسو فى عدن يوفر على التجار دفع ضريبة قدرها ٥ % للجمرك العثمانى بالنسبة للسفن البريطانية. أما بالنسبة للسفن غير البريطانية فكان عليها أن تدفع ضريبة قدرها ١٢% إلى جانب ضريبة أخرى تدفع على كل بالة بن. هذا فضلا عن أن الرحلة فى البحر الأحمر كانت خطيرة نسبيا نظرا لكثرة الشعاب المرجانية وكان يمكن تجنبها أو اختصارها إذا ما أتيحت لتلك السفن فرصة الرسو فى ميناء عدن[٢].

وهكذا تحولت مخا إلى مدينة خاملة وأصبحت تجارتها ضئيلة ودخلها تافه، كما أن القلة الباقية فيها من سكانها كانوا على استعداد للرحيل إلى عدن إذا ما سمح لهم بذلك وكان "هينز" المقيم السياسى البريطانى فى عدن حينذاك يرقب كل ما يدور عند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر وفى الموانئ الواقعة هناك. وقد أبلغ حكومته فى بومباى فى شهر مايو ١٨٥٠ عن حالة الانهيار التى اعترت ميناء مخا اليمنى[٣] مما سيؤدى

(1) Waterfield, G.: op.cit., p. 200.
(2) Marston, T.E.: op.cit., pp.159.
(3) Marston, T.E.: op. Cit., p

بالتالى إلى ازدهار النشاط التجارى فى عــدن نتيجــة لــهجرة معظم سكان مخا إليها. وقد تحولت كل تجــارة البــن اليمنــى المتجمعة من جميع مناطق إنتاج البن فى اليمن إلى ميناء عــدن فى سنة ١٨٥٢ حيث أصبح يتم تصديره إلى أوروبا وأمريكـــا من هناك . وقد بلغت كميات البن المنقولة من مناطق زراعتــها إلى عدن فى السنة المذكورة أربعة آلاف حموله وكل حمولـــه منها كانت زنتها ثلاثمائة رطل. وقد جذبت تجارة البن اليمنـــى إلى عدن تجارة الأمريكيين الضخمة التى بلغ حجمها أكثر مـــن ٢٨,٠٠٠ ثمانية وعشرون ألف جنية استرلينى ســنويا. وكــان ذلك دليلا على نجاح الإنجليز فى كســر احتكــار الأمريكييــن لتجارة البن اليمنى التى كانت تقدر حينذاك بحوالــى ٦٠٠,٠٠٠ ستمائة ألف جنية إسترلينى سنويا[١]. وكان ذلك دليـــلا علـــى نجاح الإنجليز فى كسر احتكار الأمريكيين لتجارة البن اليمنـــى التى كان يعتبر ميناء مخا مركزها الرئيســـى خـــلال النصــف الأول من القرن التاسع عشر، وأصبحت هذه التجارة فى قبضة الإنجليز وتتم تحت إشرافهم فى ميناء عدن بعد سيطرتهم عليــها فى عام ١٨٣٩.

---

(1) I.O., Haines To Bombay, May 29, 1952, Letters From Aden, Vol. 32.

وإذا كانت البحوث السابقة لم تلق على موضوع المنافسة البريطانية الأمريكية فى جنوب البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر القدر الكافى من الضوء الجدير بأهميته(١)، فإننى أرجو أن أكون بهذا البحث قد جمعت خطوط الضوء وركزتها حول هذا الموضوع الهام، رغم ضآلة المادة العلمية التى خلفتها لنا عنه المصادر التاريخية المختلفة. بل ولعلى أيضا بهذا البحث قد أشرت إلى تطور النشاط التجارى فى الموانئ اليمنية فى الفترة المذكورة، وإلى الأهمية البالغة التى كان يحظى بها محصول البن اليمنى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر لدى العالم المعاصر حينذاك وخاصة فى أوروبا وأمريكا قبل أن تظهر بوضوح لهذا المحصول الفريد مراكز إنتاج أخرى من جهة وقبل أن يطغى عليه فى بلده نبات القات من جهة أخرى فيقتلع أشجار البن اليانعة ويدمر بذلك محصولا كان من أهم مصادر الدخل القومى لقطر اليمن الشقيق. حتى أن الأمم المتحدة وحكومة اليمن فى عصرنا الحاضر تضع المشروع تلو الآخر لتنقذ الشعب اليمنى من نبات القات الذى دمر اقتصادياته وأنهك صحة أبنائه، ساعية أن تحل شجرة البن محل شجرة القات، فتستعيد بذلك لليمن ثراءه، وتسترجع الصحة لبنيه.

---

(١) فاروق عثمان أباظة (دكتور): عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر، ١٨٣٩ - ١٩١٨، ص ١٤٩.

الفصل الخامس

أسس السياسة الخارجية الأمريكية

قامت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية على مبدأ شهير هو مبدأ منرو؛ وقد أصبح هذا المبدأ أساساً لسياستها الخارجية، وقد ظهر هذا المبدأ فى السياسة الخارجية الأمريكية عندما جذبت حرب الاستقلال الأمريكية أنظار شعوب الأمريكتين، ورأت فى نجاحها نجاحاً لآمالها وتطلعاتها، ولا سيما المستعمرات الأسبانية التى خضعت لحكم استبدادى، قائم على الاستغلال فى أبشع صوره. وقد ساعد هذه المستعمرات على المطالبة باستقلالها ظروف أوروبا السياسية بصفة عامة، وظروف أسبانيا بصفة خاصة. فأسبانيا قد خضعت لحكم نابليون، وفقدت بذلك استقلالها، وسقطت هيبتها، وأعطت مستعمراتها مبرراً لطلب الاستقلال عنها. فمن لا يستطيع حماية نفسه لا يستطيع أن يحمى غيره.

ووجدت الولايات المتحدة لزاماً عليها أن تقف إلى جانب المستعمرات وأن تؤيد مطلبها فى الاستقلال عن أسبانيا، وأن تقف أمام محاولات الدول الأوروبية الاستبدادية فى إعادة سلطان أسبانيا على مستعمراتها إلى ما كان عليه من قبل. بعد أن استردت أسبانيا حريتها بعد هزيمة نابليون، ولكن هل كان

فى مقدور الولايات المتحدة الأمريكية أن تعتمد على قواها وحدها فى الوقوف أمام إطماع الدول الأوروبية الكبرى فى الأمريكتين ؟ الجواب بالنفى. فالولايات المتحدة الأمريكية ما كانت تستطيع ذلك لولا مساندة بريطانيا لها فى موقفها هذا، لاحبا فيها، ولكن لاتفاق مصلحة الدولتين فى أبعاد النفوذ الأوربى عن الأمريكتين ، فيما عدا نفوذهما بطبيعة الحال.

لم يكن كاننج هو الذى وضع قرار الاعتراف بدول أمريكا الجنوبية فلقد تضمنته التعليمات التى أرسلها سابقه كاسلرية إلى ولنجتن ممثل إنجلترا فى مؤتمر فيرونا (١٨٢٢) ولكن فى عهد كاننج تم تنفيذ ذلك القرار الذى آثار هذه المشكلة المعقدة رغبة الدول الكبرى الأوروبية الاستبدادية تكليف فرنسا القضاء على الثورة التى قامت فى أمريكا الجنوبية ضد الحكم الأسبانى.

وإذا وجدت إنجلترا أن فرنسا قد عقدت العزم على إقرار الأمور فى أسبانيا وفق مشيئة الرجعيين فان إنجلترا قد عولت على منعها ولو أدى ذلك إلى استخدام القوة، وخصوصا إذا ما حاولت قوات فرنسا عبور الأطلنطى والتدخل فى مسائل أمريكا الجنوبية لأن مصالح إنجلترا التجارية ستكون إذا فى خطر مبين. وإذا يقترح كاننج أن تدعى الولايات المتحدة إلى

مؤتمر فيرونا وهو مؤتمر قررت دول أوروبا الكبرى عقده للنظر فى شئون أسبانيا وكانت قد قامت فيها ثورة ضد الاستبداد ثم للنظر فى أمور ولايات أمريكا الجنوبية الثائرة على الحكم الأسبانى.

يقترح كاننج أن تدعى الولايات المتحدة إلى مؤتمر فيرونا، وأن تشترك فى مناقشاته لأن إنجلترا وقفت فى شبه عزله سياسية فى القارة الأوروبية، فما كانت تستطيع الموافقة على مبادئ الاستبداد والرجعية السائدة. وكان الرأى العام فى انجلترا فى ذلك الوقت مبالا لمناصرة حرية الشعوب ومناهضة النظام الأوربى القائم على ضغط آمال الشعوب والحد من حريتها، ثم ما كانت انجلترا تستطيع أن تنس ان مصالحها بحرية قبل أن تكون قارية، وأن لها تجارة مهمة مع أمريكا الجنوبية. ثم هى دولة رأسمالية تهتم بالإنتاج الصناعى الكبير ومحتاجة إلى أسواق عالمية. فهى أذن مستعدة لأن تعترف باستقلال الدول الثائرة فى أمريكا الجنوبية مهما أساء ذلك إلى عواطف أسبانيا التى كانت حليفتها بالأمس ضد نابليون.

ثم لماذا تؤيد إنجلترا سياسة روسيا وهى مختلفة معها فى سياستها فى المسألة الشرقية فى مسألة اليونان وغيرها من مسائل أوروبا. والولايات المتحدة بعد ذلك الحليف الطبيعى

لبريطانيا العظمى، فهى ترحب بتأييد وجهة النظر الإنجليزية، لأنها تخشى وجود دول أوربية قوية مجاورة لها فى الأمريكتين، ثم هى ترقب مطامع فرنسا وروسيا فى العالم الغربى بعين القلق.

على أنه إذا كان لانجلترا أثر كبير فى ظهور مبدأ منرو، فإنها لم توافق فى ذلك الوقت على هذا المبدأ الخطير، فلقد كانت سياسه انجلترا العمل على الوقوف أمام أزدياد نفوذ الولايات المتحدة فى أمريكا الجنوبية بل ولقد عارضت فعلاً الفكرة التى ترمى إلى قيام جامعة أمريكية تحت اشراف الولايات المتحدة فأعلنت " أن أى مشروع يرمى إلى وضع الولايات المتحدة على رأس اتحاد أمريكى ضد أوروبا لا يجد قبولاً من الحكومة الإنجليزية " لقد كانت خشية إنجلترا من أن يتفوق نفوذ الولايات المتحدة فى أمريكا الجنوبية كخشيتها من أن يتفوق نفوذ أى دولة أوربية كبرى فى الأمريكتين. ولقد تحدت إنجلترا فعلاً هذا المبدأ حين احتلت جزائر فوكلاند فى سنة ١٨٣٣ دون أن تعير احتجاج الأرجنتين اهتماماً كبيراً. وأما الولايات المتحدة فلم تحرك ساكنا وأقرت الصمت.

أما مبدأ منرو ، فلم يكن الرئيس منرو أول من فكر فيه، ولم يكن الدافع للمناداة به هو الدفاع عن حرية الشعوب

الأمريكية فى تقرير مصيرها فحسب، كما أن المبدأ لم يكن من صنع منرو وحده وإنما هو - كما رأينا -إلى حد كبير راجع إلى سياسة إنجلترا الخارجية إزاء شئون أمريكا الجنوبية، ثم هو وليد الظروف التى مرت بها أمريكا فى نهاية الربع الأول للقرن الماضى، وربما كان الفضل فيه راجعاً إلى جون كوبنسى آدمز وزير الخارجية الأمريكية فى عهد الرئيس منرو على أنه لا يستطاع إنكار فضل الرئيس منرو فى تقنين ذلك المبدأ فهو بلا شك المرجع الأعلى للسياسة الخارجية الأمريكية

لقد وجدت الولايات المتحدة على حدودها دولا أوربية كبرى لا تطمئن إلى نواياها، ودولا أخرى كان ضعفها مغريا للدول الأخرى القوية بالتدخل، فروسيا تعمل على التوسع فى المحيط الهادى وعلى شواطئه الأمريكية فى أقصى الشمال عند مضيق بيرنج، وأسبانيا فى حالة انحلال سياسى واجتماعى تنذر بتدهور امبراطوريتها فى الأمريكتين، وربما كانت السياسة الروسية لا الأسبانية هى التى دعت الولايات المتحدة إلى إعلان مبدئها الخطير.

وفى سنة ١٨١٣ كانت روسيا صديقة للولايات المتحدة داعية للوئام بينها وبين إنجلترا. ولكن فى سنة ١٨١٩ كانت روسيا صديقة لأسبانيا الرجعية مؤيدة للسياسة الاستبدادية

ومناهضة للنظم الديمقراطية ثم هى تعمل فوق ذلك على التوسع فى المحيط الهادى. وكان ذلك التوسع دون ريب من العوامل التى دعت إلى التقارب بين الدولتين الإنجليزية والأمريكية فى سنة ١٨٢٣.

لقد اهتمت الولايات المتحدة فى السنوات التى سبقت هذه السنة بتوطيد علاقاتها مع روسيا فكان بين الدولتين نوع من التعاطف والود، وروسيا مثل الولايات المتحدة تنادى دائماً بحرية البحار.

ولكن روسيا برزت من العهد النابليونى ممتازة فى أوروبا تنادى بضرورة تعضيد الحلف الأوروبى المقدس، وتدعو إلى توثيق الصلة بين الملوك وتأييد الملكية. وكانت تبغى ضم الولايات المتحدة إلى ذلك الحلف. وسعت لاقناع الولايات المتحدة برأيها. ولكن صداقة القيصر الروسى لأسبانيا وتعضيده المبادئ الاستبدادية جعلت تدخله فى مسائل أمريكا الجنوبية أمر محتمل الوقوع فروسيا لا تميل إلى الموافقة على تكوين دول مستقلة عن أسبانيا فى أمريكا الجنوبية وكان يحفزها إلى ذلك مبدأ نصرة أصحاب الحقوق الشرعية . ولم تكن سياسة القيصر قائمة على المبادئ المثالية فحسب بل على مصالح روسيا القومية الأوربية الملكية كذلك.

وأجاب آدمز وزير الخارجية الأمريكيـــة علـــى دعـــوة روسيا لكى تنضم الولايات المتحدة إلى الحلف المقـــدس بـــأن الولايات المتحدة تقدر مبادئ الحلف المقدس حق قدرها. ولكـــن الولايات المتحدة تخدم هذه المبادئ وتحسن صنعاً لو نفضـــت يديها من المشاكل الأوربية المعقدة وأن من الخير لرفاهية أوربا وامريكا أن يبقى نظام أوروبا السياسى منفصلاً ومتميزاً عـــن النظام السياسى الأمريكى.

لم يكن مرمى القيصر من وراء ذلـــك الطلـــب خدمـــة المبادئ المسيحية فحسب فربما كان دافعه الأول هـــو خشـــية اتفاق الولايات المتحدة وإنجلترا على سياسة أمريكية مناهضـــة لسياسة دول الحلف المقدس. ولقد زاد القلـــق فـــى الولايـــات المتحدة حين انتشرت الإشاعات التى تقول بأن أســـبانيا تنـــوى التنازل عن كليفورنيا لروسيا، لا سيما وأن روسيا أعلنت فـــى ذلك الوقت أشرافها التام على سواحل المحيط الهادى الشمالية ، آسيوية كانت أو أمريكية، هذه السواحل المشرفة على مضيـــق بيرنج، دعت هذه الظروف أذن الولايات المتحدة لتحديد موقفـــها إذا حاولت أوربا التدخل الفعلى فى شئون أمريكا الجنوبية.

فأعلنت الولايات المتحدة أولا حيادهـــا ازاء المشـــاكل الأوربية فهى مسائل لا تعنى الولايات المتحدة ، وبينـــت فـــى

الوقت نفسه أن مصلحتها تقتضى الاعتراف بالشعوب الثائرة فى أمريكا الجنوبية فقد كانت أعمال دول التحالف المقدس ستتخذ خطة إيجابية عملية لتأييد الرجعية والقضاء على الحرية فى أمريكا الجنوبية ما لم تعمل هذه الدول على القضاء على الثورة فى إيطاليا

علمت الولايات المتحدة بان القيصر الروسى لا يمانع فعلا فى إرسال جنود لمعاونة الرجعية فى أسبانيا، بل وأعلن على لسان بارون دى تيول وزيره المفوض فى واشنطن بأنه غير راض عن حركى الشعوب الثائرة فى أمريكا الجنوبية وأنه مصمم على إلا يستقبل ممثلين سياسيين لها.

أمام هذا الموقف يجد آدمز نفسه مضطر لأن يعلن لممثل روسيا أن تلك السياسة لا تروق الولايات المتحدة بل أن حياد الولايات المتحدة فى مسائل أمريكا الجنوبية متوقف على حياد أوروبا، فهو يعنى أن الولايات المتحدة ستعمل على تأييد الشعوب الثائرة فى العالم الغربى الأمريكى، تأييدا فعليا إذا حاولت دول أوربا التدخل.

ولكن ذلك الاحتجاج لم يمنع الدول الاستبدادية الأوروبية من دعوة مؤتمر فيرونا للنظر فى شئون أسبانيا ومسائل إمبراطوريتها الأمريكية. وأراد القيصر الروسى أن يشرك

الولايات المتحدة فى ذلك المؤتمر. ولكن زعيم الرجعية فى ذلك الوقت المستشار النمساوى مترنيخ Metternich يرفض دعوة دولة غير أوربية إلى مؤتمر أوربى. ففى نظر ذلك السياسى العتيد "الولايات المتحدة غير مرتبطة بنظام المحالفات الأوربية منذ سنة ١٨١٤، ثم لأن غاية المؤتمر الأوروبى هى حماية السلام والمحافظة على الحالة السياسية الراهنة فى أوربا ثم لأن أمريكا غريبة عن المبادئ والنظم السائدة فى القارة الأوربية". ولقد ذكر مترنج القيصر الروسى بأن مصالح الولايات المتحدة مختلفة عن مصالح أوربا فمصالح أوربا هى المحافظة على السلام والاستقرار ومصالح العائلة الأوربية وحماية مصالح هده الدولة (أسبانيا) التى خلقت ولايات أمريكا الجنوبية وحكمتها لمدة ثلاثة قرون بينما مصالح الولايات المتحدة فى أمريكا الجنوبية مصالح اقتصادية مادية وسياستها سياسة توسع وتجارة.

ووقفت فرنسا موقفا غريبا إزاء المسألة الأمريكية وعبر عن وجهة نظر الملكيين الرجعيين فيها شاتوبريان Chateaubriand فلقد ترك ذلك السياسى لخياله أن يميل به مذهبا طريفا. فكان يحلم بإنشاء ممالك فى أمريكا الجنوبية وثيقة الصلة بفرنسا ويتوج لحكم هذه الممالك ملوك البربون وبذا يمكن التوفيق بين سياسة فرنسا القومية وبين المبدأ السائد فى أوربا وهو تقوية دعائم الملكية وكذلك التوفيق بين مبادئ أوربا

ومطالب دول أمريكا الجنوبيــة فــى الاســتقلال ولمــا كــان شاتوبريان يعتقد أن الولايات المتحدة لا تقبل الاستماع إلى مثـل ذلك المشروع لم يرحب الوزير الفرنسى باشــتراك الولايــات المتحدة فى المؤتمر الأوربى.

على أن الولايات المتحدة مــن ناحيتــها لــم ترحــب بالاشتراك فى مؤتمر يناقش مسائل كونت فيها رأيا نهائيا. فلقــد اعترفت باستقلال دول أمريكا الجنوبية التى أعلنت اســتقلالها، وكان اعتراف الولايات المتحدة باستقلال هذه الــدول فــى ٨ مارس سنة ١٨٢٣، ولذا فى أثناء الوقت الــذى أرســلت فيــه الدعوات لحضور المؤتمر فى ديسمبر ســنة ١٨٢٣ كــان رد الولايات المتحدة يعبر الأطلنطى، وكانت رسالة الرئيس مــنرو فى طريقها إلى أوربا وكانت رسالة الرئيس منرو إلى مجلــس الكونجرس الأمريكى فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٢٣.

تفسير مبدأ منرو:

تشرح نظرية مــنرو موقــف الولايــات المتحــدة إزاء المسائل الأوربية فتقول "أن سياستنا نحو أوربا لا زالــت كمــا هى وهذه السياسة تقضى بعدم التدخل فــى الشــئون الداخليــة للدول الأوربية هذه السياسة تقضى بــالاعتراف بالحكومــات القائمة فى أوربا كحكومات شرعية.

"وسنعمل من جانبنا على توطيد دعائم الصداقـــة معـــها بحزم وشجاعة ولكننا لا نستطيع قبول أى ضيم أو اعتداء"

ثم تمضى الرسالة تبين موقـــف الولايـــات المتحـــدة إذا حاولت دول أوروبا التدخل فى شئون أمريكا الجنوبية فتقول:

"ولكن الموقف يختلف بالنسبة للقارتين الأمريكتين.. فمن المستحيل أن تعمل الدول الأوروبية المتحالفـــة علـــى تطبيـــق نظمها السياسة فى أى جـــزء مـــن هـــاتين القـــارتين دون أن يتعارض ذلك مع رفاهيتنا ومصالحنا ولذا لا تستطيع الولايـــات المتحدة أن تقبل مثل ذلك التدخل.

"وأن تدخل الدول الأوربية فى شئون أمريكا فيه مســـاس صريح بحقوق الولايات المتحدة ومصالحها"

"وأن القارتين الأمريكيتين أصبحت لهما الآن نظم حـــرة ولذا فمن العبث ومن الباطل أن ينظر إليـــهما فـــى المســـتقبل كأماكن صالحة للاستعمار الأوربـــى، وأن أمريكـــا تحفزهـــا الصراحة وروابط الصداقة مع الدول الأوربية تعلن أنها تعتـــبر أية محاولة من ناحية هذه الدول لفرض نظامها السياسى علـــى أى جزء من القارتين الامريكيتين عملا خطرا علـــى ســـلامة الولايات المتحدة وسلامها".

"أن الولايات المتحدة لم تتدخل فى شئون مستعمرات الدول الأوربية الموجودة حاليا، ولكن الولايات المتحدة وجدت بعد إمعان النظر أن تعترف بالحكومات التى أعلنت استقلالها فى أمريكا الجنوبية، وأن الولايات المتحدة ستنظر إلى أية خطوة تقوم بها دولة أوربية للاعتداء على هذه الحكومات أو لفرض نظامها السياسى عليها كعمل عدائى موجه للولايات المتحدة.

لم يكن الرئيس منرو هو أول من نادى بتلك المبادئ ولقد أوضحنا قبل ذلك كيف أن جفرسون كان ينادى بضرورة تفوق نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية فى العالم الجديد.ولما لا؟ وهى أكبر وأعظم دولة فى العالم. وأوضح بما لا يدع مجالا للشك بأن من مصلحة القارتين الأمريكتين عدم ازدياد النفوذ الأوربى فيهما. وحض الدول الأمريكية على العمل من أجل دفع هذا النفوذ ما أمكن.

وقد عبر عن هذا المبدأ ممثل الولايات المتحدة فى لندن ريتشارد رش R. Rush لوزير خارجية إنجلترا المستر كاننج عندما اشتدت أزمة أمريكا الجنوبية، وقبل أن ترد إليه تعليمات حكومته بهذا الخصوص قائلا بان حكومته تعتقد بأنه " إذا حاولت إحدى الدول الأوربية الكبرى أن تحتل أى جزء من أجزاء أمريكا الجنوبية ستكون هذه المحاولة ظالمة وسينجم عنها عواقب وخيمة.

وإذا نظرنا إلى رد الفعل الذى أحدثه هذا المبدأ لدى دول أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية. نجد أن تلك الدول قد اعتبرت هذا المبدأ مؤيدا لاستقلالها وحريتها ولكنها فى الوقت نفسه رفضت أى تدخل من قبل الولايات المتحدة فى شئونها الداخلية. أو أن تقوم بعمل يتعارض مع استقلالها أو يحدد مستقبلها.

لم يكن معنى نظرية منرو فى أول الأمر أن الولايات المتحدة قلدت نفسها واجب الدفاع الفعلى عن حقوق دول أمريكا اللاتينية وحرياتها واستقلالها بل فى الواقع ظلت دول أمريكا الجنوبية تعتمد إلى جانب تأييد الولايات المتحدة على قوة الأسطول الإنجليزى.

ولقد حدد آدمز صاحب الفضل فى وضع هذا المبدأ، والرئيس الذى خلف منرو، حدد آدمز هذه النظرية كما يفهمها هو فقال " أن على كل دولة من الدول الثائرة أن تلجأ إلى وسائلها الخاصة للدفاع عن استقلالها" ولا يرمى آدمز بذلك إلى أن الولايات المتحدة ستتخلى عن تأييد هذه الدول ومساعدتها إذا ما وقع عليها اعتداء أوروبى.

على أن الرأى العام فى الولايات المتحدة لم يكن قد استعد بعد لقبول ما تنطوى عليه السياسة التى ترسمها خطة

منرو، بل أن مجلس الكونجرس الأمريكى لم يقم بأيــة خطــوة مباشرة فى عهد آدمز لتطبيق رسالة منرو تطبيقا عمليــا بــل الأكثر من ذلك لم تقف الولايات المتحدة موقفــا جديــا حيــال حركة الجامعة الأمريكية فى مبدأ نشأتها.

ففى عهد الرئيس آدمز فى ســنة ١٨٢٥ دعــت بعــض جمهوريات أمريكا الجنوبية والوسطى الولايات المتحــدة إلــى مؤتمر أمريكى يعقد فى بنمــا لمناقشــة المســائل التــى تــهم الأمريكيين جميعا وكانت الفكرة من وراء ذلك المؤتمــر ترمــى إلى إنشاء اتحاد من الأمم الأمريكية الديمقراطيــة فــى العــالم الغربى تواجه الاتحاد المقدس الاستبدادى فــى العــالم الشــرقى وتحد من مطامعه. فلم تلق هذه الفكــرة تعضيــدا كبــيرا فــى الولايات المتحدة. فلم يكن برنامج المؤتمر محددا ثم كــان مــن مشروعات المؤتمر النظر فى مسألة إلغاء تجارة الرقيق وتحرير الرقيق. ولذا لم يكن الجنوب فى الولايــات المتحــدة لــيرضى بمناقشة موضوع قد يؤثر تأثيرا كبيرا فى نظامه الاجتماعى. ثــم من ناحية أخرى لم يكن ذلك العصر يقبل فكرة جلــوس ممثلــى هايتى السود بجانب ممثلى أمريكا فى مؤتمر واحد.

وكان لمعارضة انجلترا أثر كبير فى فشل المؤتمر فلقــد صمم كاننج على معارضــة الولايــات المتحــدة إذا حــاولت

السيطرة على دول أمريكا الجنوبية أو الوسطى ، وعلى أى حال لم يظهر كوينسى آدمز نشاطا كبيرا فى الناحية الخارجية أثناء رياسته لجمهوريات الولايات المتحدة كما أظهر أثناء تولية الوزارة، ولقد خشيت الولايات المتحدة أن تتورط فى سياسة قد تؤدى إلى الحرب لأنها كانت تعلم أن غرض جمهوريات جنوب أمريكا هو إنشاء اتحاد غايته الأولى مقاومة أسبانيا وغيرها من الدول الأوروبية التى تحاول التدخل فى شئون أمريكا الجنوبية، ثم ان غرض هذه الجمهوريات بعد ذلك هو مناقشة مسألة طرد الأسبان من جزيرتى كوبا وبورتوريكو.

وأخيرا عين أدمز مندوبين وافق عليهما مجلس الكونجرس الأمريكى بصعوبة، فلقد كانت فكرة هنرى كلاى H Klay. وزير الخارجية الأمريكية أنشاء جمهوريات فى أمريكا الجنوبية تعترف للولايات المتحدة الأمريكية بالزعامة السياسية، وعلى أى حال مات أحد هؤلاء المندوبين قبل أن يشترك فى المؤتمر ولم يذهب الثانى لأداء مهمته. ولذا كتب للمؤتمر الفشل فانعقد وانفض دون أن تشترك فيه الولايات المتحدة.

ثم تقرر عقد مؤتمر آخر فى المكسيك وذهب إليه ممثلا الولايات المتحدة فى الوقت المعلوم فلم يجدا المؤتمر وانتهى الكلام مؤقتا فى مسألة الجامعة الأمريكية.

تطور مدلول المبدأ:

ومما تجدر ملاحظته أن مبدأ منرو قد وضع نظاما لتحقيق أمن وسلام الولايات المتحدة أولا والسلام الأمريكى ثانيا. ومع أن هذا المبدأ لم يوضع موضع الاختبار بصفة جدية فى أوائل القرن الماضى ومع ان دول أوربا لم تعترف به رسميا إلا فى مستهل هذا القرن فأنها قد احترمته في مواضع كثيرة. ويعتبر مبدأ منرو المبدأ الأول فى السياسة الأمريكية الذى وضع أساسا ثابتا لسياسة دفاعية بعيدة المدى وسيظل باقيا ما بقيت الولايات المتحدة. ولقد أوضح هذا المبدأ بشئ كثير من التحديد موقف الولايات المتحدة إزاء دول أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية كما حدد فى الوقت نفسه موقف العالم الجديد من العالم القديم. وسنجد أن هذا المبدأ سيطبق بنجاح فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وكلما زادت قوة الولايات المتحدة كما ذهبت فى تفسيره مذاهب شتى تتفق مع قدرتها الحربية وثقلها السياسى فى المجال الدولى.

هذا المبدأ – كما ذكرنا – مكون من جزئين أساسيين، أولهما : عدم تدخل الولايات المتحدة فى شئون أوروبا واحترامها للنظم القائمة مهما اختلفت هذه النظم الأمريكية، والثانى عدم السماح لدول أوروبا فى أن تتدخل فى شئون العالم الجديد أو أن تفرض نظمها السياسية أو الاجتماعية عليها.

وقد تمسكت الولايات المتحدة بهذين الجزئين طالما كانت محدودة القوى وتثقل كاهلها المشاكل الداخلية التى تواجهها. وبمعنى أدق فإن الولايات المتحدة الأمريكية فى مستهل القرن التاسع عشر لم تكن تملك القدرة على التدخل فى شئون دول أوربا بينما كانت هذه الدول تستطيع التدخل فى الشئون الأمريكية دون أن تستطيع المتحدة أن تتصدى لها من غير مساعدة إنجلترا.

ولكن حينما بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تحس بتزايد قوتها وبما أصبح لها من مركز دولى ممتاز أخذت تطبق هذا المبدأ بما يتفق مع مكانتها المرموقة كدولة كبرى على أساس جزئه الثانى فحسب أى عدم قبول التدخل الأوربى فى شئون القارتين الأمريكيتين. وكانت فى ذلك الوقت تعنى حقيقة ما تقول. فعندما ثارت مشكلة المجر فى سنة ١٨٤٨، وقام الأهالى يشقون عصا الطاعة على الحكم النمسوى وقفت الولايات المتحدة منها موقف العطف وتمثل ذلك فى استقبالها الرائع لزعيم الثورة المجرى كوشوط وكانت على استعداد للاعتراف بالثوار لو نجحوا فى مهمتهم. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تهدف من وراء ذلك مناصرة الحريات وفى الوقت نفسه إظهار قوتها وعظمتها للعالم الأوروبى.

ولقد اتسع مدلول ذلك المبدأ بشكل واضح ليشمل كل أنواع التدخل الأوروبى غير المسلح وليخضع له كل تصرفات الدول الأمريكية المتعلقة بالهبة أو البيع أو التنازل لأى جزء من أجزاء القارتين الأمريكتين، فمثلا لا تستطيع أية دولة من دول أمريكا أن تهب او تبيع أو تتنازل عن أى شبر من أراضيها لدولة أوربية أو آسيوية دون اعتراض الولايات المتحدة الأمريكية حتى لو أدى ذلك إلى استخدام القوة أو التلويح بها. فمعنى هذا تجمد الوضع السياسى فى أمريكا الوسطى والجنوبية وأصبح أمام الدول الأوربية التى لها مستمرات فى أمريكا أحد أمرين لا ثالث لهما فإما أن تمنح تلك المستعمرات حريتها واستقلالها وأما أن تحتفظ بها كما هى دون أن تملك الحق فى منحها أو التنازل عنها للغير -فيما عدا الولايات المتحدة بطبيعة الحال - دون تدخل الولايات المتحدة الأمريكية.

وسنعرض فى الفصول القادمة بعض المشكلات التى وضع فيها هذا المبدأ موضع التنفيذ بنجاح ملحوظ ألا وهى الحرب الأهلية الأمريكية وما صاحبها من تدخل أوربى ومسألة كوبا وفنزويلا . وقد عولجت تلك المسائل ببعض التفصيل فى هذا الكتاب.

الفصل السادس

الحرب الأهلية الأمريكية ومبدأ منرو

قبل أن ندخل فى تفاصيل الحرب الأهليـــة الأمريكيـــة، يجدر بنا أن نسلم ببعض المشكلات التـــى واجـــهت الحكومـــة الأمريكية والتى سبقت قيام تلك الحرب، لا سيما تلك المشكلات المتعلقة بحدود الولايات المتحدة الأمريكية مع جيرانها، وصولا إلى حدود آمنة.

هذا بالإضافة إلى النزاع الذى نشـــب بيـــن الحكومـــة الأمريكية وبريطانيا حول مصالح الدولتين فـــى دول أمريكـــا الوسطى، ومحاولة كل منهما أن تكون مصالحها هى المتفوقـــة على مصالح الأخرى، ولكن هذا النزاع انتـــهى بقبـــول كـــل الطرفين المساواة فى المصالح فى هذه البقعة من العالم.

كما ثارت أيضا بين الدولتين مشكلة أخرى نشأت من تعـــارض سياسة الدوليتين حول التجارة الخارجية، فبينما كـــانت سياســـة الحكومة الأمريكية تقوم على مبدأ حمايـــة التجـــارة، ولتثبيـــت دعائم صناعتها الناشئة، كانت الحكومة الانجليزية تعتنق سياسة حرية التجارة.

وإذا كانت الحكومة الأمريكية قد نجحت فى معالجة مشاكلها مع بريطانيا فإنه لم تنجح فى حل مشاكلها مع المكسيك التى أصرت على معارضة ما أسمته أطماع الحكومة الأمريكية فى ممتلكات المكسيك لا سيما عندما حاولت الولايات المتحدة الأمريكية تعديل حدودها الجنوبية الغربية على حساب جارتها المكسيك.

لم تحاول الحكومة الأمريكية أن تستولى على ما تريد من أراضى المكسيك إليها عنوة، وإنما أرادت أن يتم ذلك بطريق التعويض أو الشراء ورفضت المكسيك التنازل عن أى شبر من أراضيها، فلم يكن أذن أمام الولايات المتحدة الأمريكية سوى الحرب لحل تلك المشكلة.

والذى دفع الولايات المتحدة إلى انتهاج هذه الخطة ما عرفته من ضعف المكسيك كدولة وعدم استقرار الأمور السياسية فيها ثم ما كانت عليه حدود الولايات المتحدة من ناحية الجنوب الغربى – واهتمت الولايات المتحدة بذلك الأمر، وخاصة بعد ازدياد الهجرة واطراد التوسع الأمريكى نحو الغرب تبعاً لذلك فرأت الولايات المتحدة ضرورة إنتهاز فرصة ضعف المكسيك وخاصة فى مسألة اعتبرتها حيوية لها.

ولقد حاولت الولايات المتحدة أن تتخذ مع المكسيك طريق السلم ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ولذا قامت مفاوضات طويلة بين الدولتين استغرقت مدة ليست بالقصيرة حتى قامت ثورة تكساس ضد الحكم المكسيكى. ويظن البعض أن للولايات المتحدة يدا فى اهاجة هذه الثورة لا سيما وأنه كان هناك شعور قوى فى تكساس يحن إلى الانضمام للولايات المتحدة.

وأبان الرئيس جاكسون Jackson عن رغبته فى الاعتراف بتكساس منفصلة عن المكسيك، بل و أرسل فعلاً مندوباً من لدنه "قائماً بالأعمال" ليمثل الولايات المتحدة فى هذه الدولة الصغيرة الثائرة مما أدى إلى زيادة تعقد العلاقات الأمريكية المكسيكية.

وفى أول الأمر لم تجب الولايات المتحدة رغبة الجمهورية التكساسية فى الانضمام إليها وحاولت الجمهورية التكساسية إثارة غيرة الولايات المتحدة بإنشاء علاقات سياسية مع انجلترا وفرنسا وأسبانيا حتى ترغم الولايات المتحدة على تطبيق مبدأ منرو وقبول الانضمام ولكن الولايات المتحدة كانت فى حيرة من أمرها تقدم رجلاً وتؤخر أخرى خشية تجرج علاقاتها مع المكسيك مع دول أوروبا.

وجاء حين من الوقت اقتصرت فيه الولايات المتحدة على اتباع سياسة الحياد. ولكن محاولة انجلترا وفرنسا كسب صداقة تكساس وتدخلهما لعقد هدنة بينهما وبين المكسيك أثارت الرأى العام فى الولايات المتحدة إلى ضرورة إنتهاج خطة حاسمة مهما أساءت هذه الخطة إلى شعور جارتها اللاتينية وبذا انضمت تكساس إلى اتحاد الولايات المتحدة في أواخر سنة ١٨٤٥.

ولقد كان ضم الولايات المتحدة لتكساس مثيراً لغضب حكومة المكسيك فلقد أعلن وزيرها المفوض فى واشنطن المننى " أن المكسيك ستثبت حقوقها فى تكساس فى كل وقت وبكل وسيلة فى استطاعتها وأخذت المكسيك تستعد لخوض غمار حرب مع الولايات المتحدة.

وأما الولايات المتحدة فلقد عملت من جانبيها على استصلاح جارتها وتهدئة الخواطر فيها. وهى بعد ذلك تريد أن تبرر سياستها فى ضم المكسيك أمام الرأى العام الأمريكى اللاتينى. وهى تعمل قبل كل شئ على أن تنظم علاقات سياسية جديدة مع المكسيك.

لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية تبغى القضاء على استقلال جارتها وإنما أرادت وضع حدود قوية جديدة. ولهذا

فهى تبعث سليدل Slidell لاقناع المكسيك بضرورة الاعتراف بانضمام تكساس إلى الولايات المتحدة وبأن الحدود الجديدة للولايات المتحدة تمتد من خليج المكسيك إلى المحيط الهادى وتقوم الولايات المتحدة بدفع تعويض إلى المكسيك إذا قبلت التنازل عن كاليفورنيا.

ولكن هذه البعثة باءت بالفشل لأن ساسة المكسيك - رغم ميلهم للسلام وإدراكهم قوة الولايات المتحدة وقدرتها الحربية على إرغام المكسيك - إلا انهم كانوا يخشون الرأى العام المكسيكى الذى ما كان يستطيع قبول مثل هذه المطالب دون أن يقوم بثورة قد تقتلع الحكومة من جذورها.

ثم ان المكسيك تظن فوق ذلك أن علاقات الولايات المتحدة بانجلترا معقدة بالنسبة لاوريجون Oregon (وهى ولاية على الحدود الشمالية الغربية بين كندا والولايات المتحدة) وما كانت تظن أن هذه المسألة ستحل بين إنجلترا والولايات المتحدة دون صعوبة كبيرة فبالغت المكسيك إذا فى فهمها لسوء العلاقات الإنجليزية الأمريكية إلى درجة اعتقدت معها بأن الولايات المتحدة لن تستطيع الإقدام على إجبار المكسيك بالقوة لتحقيق مطالبها.

وأما الولايات المتحدة فكانت على يقين أن الحكومات التى تتعاقب على السلطة فى المكسيك حكومات ضعيفة سريعة الانقلاب ولا تجد التأييد الشعبى الكافى وأن الأمور السياسية فى المكسيك لا تستقر على حال وعلى أساس هذا الاعتقاد بنيت سياستها العامة نحو المكسيك.

ثم بعد ذلك كانت سياسة الرئيس بولك Polk سياسة توسع - سياسة أمبريالية قوية - ولذا فهو مصمم على الدخول فى غمار الحرب إذا لم يكن بد من ذلك ، فالحرب فى نظره هى الطريقة الوحيدة الكفيلة بإقناع المكسيك بوجاهة المطالب الأمريكية.

وفعلاً نشبت الحرب بين الدولتين وحازت الولايات المتحدة نصراً مبينا كما كانت تتوقع وكلفت تريست Trist بواجب المفاوضات مع المكسيك وكانت معاهدة سنة ١٨٤٨ التى ضمنت حقوق الولايات المتحدة وحققت رغباتها. ولما كانت هذه الحرب قد كشفت عن ضعف المكسيك الحقيقى فلقد جاهر فريق فى الولايات المتحدة برأيه فى ضرورة ضم المكسيك كلها للولايات المتحدة، ولكن لم يكن من السهل تحقيق خيال ذلك الفريق.

ففى عهد بولك إذا استطاعت الولايات المتحدة أن تسوى مسألة أوريجون مع إنجلترا فى سنة ١٨٤٦، كما استطاعت أن تستقطع من المكسيك كليفورنيا فى سنة ١٨٤٨ كما تمكنت أن تبين للعالم أن نظرية منرو مبدأ مهم من مبادئ السياسة الأمريكية، باق على مر الزمن. ففى يقطان Yucatan قامت ثورة من جانب الهنود الحمر للقضاء على حضارة الإنسان الأبيض وكانت الثورة قوية إلى درجة دعت السلطات المحلية إلى الالتجاء إلى الولايات المتحدة وإنجلترا وأسبانيا تطلب تدخلها ومساعدتها.

ولم تكن نظرية منرو قد أعدت لمثل ذلك الموقف المعقد، ولذا كان لزاما على بولك أن يعيد تفسير هذه النظرية من جديد فقال مخاطباً الكونجرس: أن سياسة الولايات المتحدة تحرم نقل ملكية أى أرض أمريكية إلى بريطانيا العظمى أو أسبانيا أو أية دولة أخرى وأن على الولايات المتحدة أن تمنع يقطان من أن تصبح مستعمرة أوربية، ولكن تغير الموقف فهدأت الأحوال فى يقطان قبل تدخل الدول.

الحرب الأهلية ومبدأ منرو :

ثم جاءت الحرب الأهلية الأمريكية فى سنة ١٨٦١. وكانت سياسة الولايات المتحدة فى أثناء هذه الفترة الجديدة

متأثرة بالحرب الأهلية بمواقعها الحربية وبتقلباتها. لـــم يكــن للولايات المتحدة سياسة واحدة متحدة، فلقد كانت هى مقســـمة إلى اتحاد الولايات المتحدة الشمالية واتحاد الولايــات المتحــدة الجنوبية وكان الشماليين يتمسكون بالاتحاد وبذلــوا قصــارى جهدهم للمحافظة عليه وإرغام الجنوبيين على احترامه. بينمــا كان هؤلاء يعملون على الانفصال وتكوين اتحاد خـــاص بــهم يرعى مصالحهم.

لقد هددت مشكلة الرق وحدة الولايات المتحدة الأمريكية هذه الوحدة التى حرصت على الحفاظ عليها وتدعيمـــها منــذ حصولها على الاستقلال. ولهذا كانت المشكلة الأولـــى التــى واجهت الرئيس لنكلن Lincoln ليست العمل على إلغاء الـــرق بقدر بذل الجهود فى المحافظة على الوحدةوتطلب هذا الأمـــر من الولايات المتحدة أن تقف لمحاولات الجنوب فى الانفصـــال بالمرصاد وأن تعزله عن العالم الخارجى عزلاً تامـاً حتــى لا يعتمد على أى تأييد خارجى، وقد قابل الجنوب هــذا الموقــف بالمثل إذ كانت سياسته هى الأخرى ترمى إلى عزلة الشـــمال وضم دولة إلى جانب قضية الولايات الجنوبية.

عمل الشمال على ضرب نطاق حصار بحـــرى حــول الولايات الجنوبية وعرقلة تجارتها وحاول الجنوب فـــك ذلــك

الحصار بالتعدى على تجارة الشمال، وأثارت دول أوروبا التى كانت فى حاجة إلى القطن الذى تنتجه الولايات الجنوبية ضد ولايات الشمال.

حاول كلا الفريقين المتحاربين أن يكسب إلى جانبه تأييد الدول الأوروبية لا سيما إنجلترا التى كان يتوقف على موقفها موقف الدول الأوروبية الأخرى وخصوصاً فرنسا، فلو اعترفت إنجلترا بالجنوب من الناحية السياسية سيكون لذلك تأثيراً كبيراً على موقف الدول الأخرى.

وفى الشمال تولى وزارة الخارجية سيوارد W.H.Seward الذى كان ينافس الرئيس لنكلن فى انتخابات رياسة الجمهورية، ولذلك الرجل ماضى سياسى حافل ويعد من أعظم الرجال الذين تولوا ذلك المنصب الخطير. على أنه نشأت صعوبات فى أول الأمر بينه وبين لنكلن، فلقد كان سيوارد يرى فى نفسه كفاية تمتاز على كفاية رئيسه. ولكن لنكلن نجح فى استرضاء سيوارد، وترك مجالاً كبيراً وحرية واسعة فى إدارة الشئون الخارجية.

الخطر على الوحدة الأمريكية:

ونظراً لأن موضوع الوحدة كان الشغل الشاغل لساسة الولايات المتحدة، فقد فكر سيوارد وزير الخارجية الشمالى فى أن يشغل الرأى العام فى الولايات المتحدة بحرب خارجية على زعم أن الخطر الخارجي من أهم العوامل التى تدعو إلى تماسك الجبهة الداخلية والمحافظة على الوحدة. ووجد أن الحرب مع إنجلترا تؤدى إلى هذا الغرض. ولما كانت هذه الفكرة تنطوى على خطر جسيم يتهدد الولايات المتحدة فى وحدتها وفى مستقبلها السياسى كدولة عظمى فقد رفضه الرئيس لنكلن بشدة وحزم.

أما إنجلترا فلم يكن يهمها فى ذلك الوقت وحدة الولايات المتحدة بل على العكس كانت بحكم مصلحتها الاقتصادية تعطف على مطالب الجنوبيين ولهذا لم تتردد فى الاعتراف بهم كمحاربين. وظن البعض أن هذه الخطوة ربما أدت إلى الخطوة الثانية وهى الاعتراف باستقلال الولايات الجنوبية. ولو أقدمت إنجلترا على هذه الخطوة لخسرت قضية الوحدة الأمريكية بلا ريب فإنجلترا فى ذلك الوقت كبيرة الصلة بفرنسا وتستطيع التأثير عليها لا سيما وأن أمبراطور الفرنسيين نابليون الثالث له أطماع فى أمريكا لا يمكن نجاحها أو تحقيقها إلا إذا ضعفت

الولايات المتحدة وانقسمت على نفسها، وعجزت عن مقاومة أعمال فرنسا فى العالم الغربى.

فليس غريبا إذا أن يبذل الشمال منتهى جهده فى إقناع الحكومة الإنجليزية بعد الاعتراف بالجنوب. ولذا اهتم سيوارد اهتماما بالغا باختيار الشخص الذى يمثل مصالح الشمال فى لندن. لأن على ذلك الاختيار كان يتوقف مصير الاتحاد الأمريكى ومستقبل الوحدة الأمريكية. ولذا انتخب سيوارد أحد زعماء السياسة الأمريكيين ممن توارث العظمة والمقدرة السياسية وهو : تشارلز فرنسيس آدمز Charles Francis Admis. والولايات المتحدة مدينة لعبقرية هذا الرجل ولاختيار سيوارد له فلقد اختاره سيوارد لهذه المهمة ولم يكن لنكلن ولا مجلس الشيوخ الأمريكى شديدى التحمس لهذا الاختيار.

وفى الوقت نفسه الذى وصل فيه تشارلز إلى إنجلترا اعترفت إنجلترا بالولايات المتحدة كجانب محارب ولهذا واجه تشارلز آدمز موقفا من أعقد المواقف ، فمما لا شك فيه أن ذلك الاعتراف كان ضربة سياسية شديدة موجهة إلى الاتحاد الأمريكى. فلقد كان فريق كبير فى إنجلترا يؤمل فى قيام شعب جديد فى أمريكا الشمالية ينظر إلى إنجلترا كصديقته الكبرى.

لقد كان على الشمال أن يبذل كل ما يستطيع لاسترضاء إنجلترا وفرنسا فأعلن موافقته على إعلان باريس ١٧٥٦ الذى يحرم القرصنة.

وقامت مشاكل كبيرة بين إنجلترا والشمال بشأن موقف إنجلترا الودى نحو الجنوب ولكن الكثير منها كان يجد له حلاً أمام مهارة سيوارد السياسية ولباقة ممثله فى لندن.

ولقد ظهرت لباقة سيوارد السياسية وحزمة حين طلبت فرنسا تخفيف الحصار البحرى على الجنوب حتى تستطيع فرنسا استيراد المواد الخام اللازمة لمصانعها، وظن وزير الخارجية الأمريكية أنه ربما كان مرمى فرنسا الحقيقى التدخل فى صالح الجنوب ولذا فقد رفض ذلك الطلب.ودل ذلك الموقف الصريح على أن الشمال مصمم على تنفيذ سياسته كائنة النتيجة ما تكون.

ولقد عرف سيوارد ضرورة القيام بدعاية واسعة النطاق فى أوروبا لاسيما فى إنجلترا وفرنسا. وكان الغرض الأول من هذه الدعاية العمل على محو الشعور السيئ العالق بأذهان الناس نتيجة للأحقاد القديمة أو نتيجة لدعاية الجنوب، وأرسل لهذه الغاية رجلين من كبار رجال الدين كما أختار نخبة من رجال الصحافة.

على أن تصرف سيوارد فى مسألة السفينة الإنجليزية ترنت Trent كاد يشعل نار الحرب بين الشمال وإنجلترا لولا تراجع الشمال فى الوقت المناسب. فلقد سافر على هذه السفينة اثنان من سياسى الجنوب لتمثيل مصالح الولايات الجنوبية فى أوربا فهاجمت السفينة الإنجليزية سفينة حربية أمريكية اعتقلت الشيخين ماسون M.asson وسليدل Slidell وقابل الرأى العام الأمريكى فى الشمال ذلك العمل باستحسان عظيم، وهنا وزير الحربية الأمريكية الضابط البحرى الذى قبض عليهما، وشكر الكونجرس ذلك الرجل.

ولكن فى الضفة الأخرى للأطلنطى هاج الرأى العام الإنجليزى وثارت عاصفة من السخط والاحتجاج على اعتداء الشمال. ولذا أرسل لورد رسل Russell إلى ممثله فى واشنطن لورد ليونز Lyons أن يطلب من سلطات الشمال تسليم سليدل وماسون فى الحال، ولم يكن أمام الشمال إلا أن يسلم بمطالب انجلترا وكان ليونز قد صاغ ذلك المطلب فى قالب معتدل مما سهل على سيوارْد التراجع ولقد كان على رئيس الجمهورية سيوراد تهدئة الرأى العام فى مسألة اعتبرها إذلالاً تاماً له.

وإذا كانت هذه هى جهود الشمال السياسية، فماذا كانت سياسة الجنوب، فهى تكون جزءاً من السياسة الخارجية الأمريكية ؟

لقد بذل ممثلاً الجنوب سليدل فى باريس، وماسون فى لندن جهدهما لكى تعترف أوربا رسمياً بالجنوب وكان سليدل يظن أنه يستطيع أن يستغل صداقة لوى نابليون للجنوب، فنابليون الثالث رأى أن حركة الانقسام فى الولايات المتحدة لو نجحت ستؤدى فى آخر الأمر إلى القضاء على السياسة التى وضعتها رسالة منرو وهو يرى فى حركة الانفصال والاستقلال التى يبغيها الجنوب وسيلة لنجاح سياسته فى المكسيك التى تهمه بصفة خاصة.

ولكن سياسة نابليون الثالث متصلة بسياسة إنجلترا الخارجية، ولذا فانه حتى لو أراد التدخل فى صالح الجنوب ما كان يستطيع القيام بذلك وحده، وإن كان سليدل قد أعلن فى إبريل سنة ١٨٦٢ أنه لم ييأس بعد من تدخل نابليون فى صالح الجنوب. على أن آمال سليدل لم تتحقق بالرغم من أن مسلك الامبراطور الفرنسى ومسلك وزرائه كان يشعر دائماً بالعطف على مطالب الجنوب.

وأما فى لندن فلقد جاهد ماسون لكى يقنع رسل الوزير الإنجليزى بضرورة الاعتراف رسميا بالجنوب ولكن الصعوبات أمامه كانت كثيرة وخطيرة فمن هذه الصعوبات أن جانبا كبيرا من الرأى العام الإنجليزى كان لا يعطف على مطالب الجنوب، لأن هذه المطالب كانت على خط مستقيم متعارضة مع مبادئه، فممثلو الجنوب فى نظره ممثلو الأرستقراطية ونظام الاسترقاق، وكان العمال فى إنجلترا وفرنسا يرون فى تحرير الرقيق نصرة للحرية، ويرون أن النزاع القائم فى أمريكا ما هو إلا نزاع بين الأرستقراطية والديمقراطية.

على أن الجنوب حاول أن يستفيد من الظروف السياسية والاقتصادية الموجودة فى إنجلترا وفرنسا فكل من الدولتين قد أتبع سياسة حرية التجارة بينما كان الشمال الأمريكى متبعا لسياسة حماية التجارة.

وفى سبتمبر سنة ١٨٦٢ كانت إنجلترا على وشك أن يعترف بالجنوب، إذ كان بعض كبار الساسة الإنجليز يميلون إلى الجنوب ومنهم جلادستون Gladstone نفسه. وربما كان هناك فريق فى إنجلترا يفكر فى إقناع الدولتين الروسية

والفرنسية بالتدخل فى صالح الجنوب. وإذا لم تتفق الدول الثلاث على ذلك لا مناص لإنجلترا من الاعتراف رسمياً بالجنوب.

تخللت هذه الفترة أكبر محنة عرفها الاتحاد الأمريكى ولكن لحسن الحظ لم يكن الجنوب قد كون حكومة حقيقية حتى تعترف الدول باستقلاله ، ثم أن الدول الكبرى فى أوروبا كانت متربصة تنظر ماذا تكون نتيجة الحرب الأهلية، كانت أوروبا تنتظر انتصار الجنوب، ولكن سير الحرب لم يكن تماماً فى صالحه.

وكما كان الصراع الحربى بالغا أشده فى ميادين أمريكا كان الصراع السياسى عنيفاً فى ميادين أوروبا بين ممثلى الشمال وممثلى الجنوب. كان هم ممثلى الشمال إقناع أوروبا باتباع سياسة الحياد التام وكان هم الجنوب اعتراف أوروبا رسميا به وتخفيف الحصار البحرى وكانت أوروبا تعطف على هذه المسألة من أجل القطن الذى ينتجه الجنوب.

ولما كانت أوروبا لا تريد الدخول فى حرب مع الشمال من أجل القطن الذى ينتجه الجنوب، فكان عليها ألا تنكر حق الشمال فى الحصار البحرى لا سيما وأنها فى الوقت نفسه محتاجة إلى الغلال التى ينتجها الشمال، وعلى ذلك لم ينجح سليدل في باريس ولا ماسون فى لندن كما فشلا أيضاً فى إقناع إنجلترا وفرنسا بالاعتراف بالجنوب.

ولقد رأى الشمال أن إنجلترا قد خرقت سياسة الحياد بسماحها للسفينة الحربية ألباما Alabama التى كانت تبنى فى الأحواض الإنجليزية بمغادرة إنجلترا، فلقد استخدم الجنوب هذه السفينة للاعتداء مراراً على تجارة الشمال. واضطر آدمز الممثل الأمريكى الشمالى فى لندن إلى تقديم احتجاج شديد اللهجة لإنجلترا.

تحول الموقف الدولى لصالح الشمال:

على أن انتصارات الشمال الحربية كان لها تأثيرا هائلا فى الموقف السياسى، إذ جعلت الدول الأوروبية تتريث إلى حين فى البت فى موضوع التدخل لصالح الجنوب أو الاعتراف بانفصاله. كما أن الموقف الدولى قد خدم الولايات المتحدة إلى حد كبير. فظهور بعض المشكلات الأوروبية فى ذلك الوقت جذب أنظار ساسة أوروبا إليها. فتوارت إلى حد ما القضية الأمريكية أو على أقل تقدير لم يصبح لها الصدارة كما كانت من قبل. فثارت المشكلة الإيطالية بشكل خطير كما ظهرت المشكلة البابوية لتستحوذ على تفكير ساسة أوروبا، ثم اندلعت الثورة البولونية فوجهت أنظار دول أوربا إليها، وخصوصاً إنجلترا وفرنسا. كما ان فرنسا فى عهد نابليون الثالث كانت تهتم بتوطيد دعائم الحكم الملكى الذى أقامته فى المكسيك أكثر من اهتمامها بقضية استقلال الجنوب، بل إنها كانت ترحب

باستمرار الحرب والانقسام بين الشمال والجنوب، لما في ذلك من تدعيم لجهودها في المكسيك وتنفيذ لمشروعاتها في فترة انشغال الولايات المتحدة بمشكلة الاتحاد. زد على ذلك موقف روسيا المؤيد لقضية الشمال. كل تلك المشاكل قد خدمت – دون ريب – القضية الأمريكية خدمات جليلة.

كان موقف روسيا الخارجي بعد حرب القرم ومعاهدة باريس سنة ١٨٥٦ مساعدا للقضية الأمريكية فلم تعد تهتم كثيرا بإرضاء إنجلترا وفرنسا وخصوصا وأن مرارة الهزيمة أمام هاتين الدولتين مازالت ماثلة في الأذهان، ثم إن إنجلترا وفرنسا لم تحاولا مجاملة روسيا في مسألة الثورة البولونية التي قامت ضد حكمها، بل على العكس من ذلك فقد أظهرتا عطفهما وتأييدهما للثوار البولونيين، وهي تخشى أن تتدخل الدولتان لإقامة دولة بولونية من جديد. ولقد هددت الدولتان فعلا بالتدخل في مسألة بولونيا بدرجة أدت إلى ذعر روسيا والتجائها إلى الدولة البروسية. ولما كانت روسيا تخشى على أسطولها من إنجلترا فقد بعثت به إلى الولايات المتحدة للقيام بمظاهرة بحرية لمؤازرة الشمال واعترف الشماليين بذلك الجميل، وقامت علاقات ود وصداقة بين الدولتين دامت إلى أن سقطت القيصرية.

لقد قام الأسطول الروسى بحماية سان فرنسيسكو من اعتداء سفن الجنوب مثل الالاباما Alabama ولم يكن للشمال حينذاك سفن حربية فى هذه المنطقة . وفى الوقت الذى كانت فيه روسيا تثبت فعليا ودها للشمال وعطفها على مطالبه كان نابليون الثالث صديق الجنوب غارق فى مسألة المكسيك والعمل على تثبيت عرش مكسمليان النمساوى المتداعى متحديا بذلك مبدأ منرو، مما دعا الشمال إلى إعلان عدم قبوله لهذا التحدى.

ولكن الجنوب سلك سياسة أخرى فما كان له أن يرحب بمكسمليان كجار له، ولكن مسألة مكسمليان لم تطل، فسرعان ما تحطم عرشه وانهزم الجنوب من الناحية الحربية بصفة نهائية أمام الشمال.

ولو أن السياسة الخارجية للحرب قد انتهت بانتهائها إلا أن هذه الحرب أثارت مسائل مهمة من حيث القانون الدولى كما خلقت مشاكل لا بد من تسويتها مع إنجلترا وفرنسا.

• أما إنجلترا فلقد اعتبرت الولايات المتحدة أن هذه الدولة نقضت سياسة الحياد التى أعلنتها حين سمحت للسفينة الحربية الآباما بترك الثغور الإنجليزية. وكان على الولايات المتحدة تكرار الاحتجاج على مسلك إنجلترا إلى أن سويت المسألة بالتحكيم، ووافقت إنجلترا على دفع تعويض للولايات المتحدة.

أما مع فرنسا كان الموقف مختلفا جدا. فلقد غامرت فرنسا بجنودها فى المكسيك وأقامت عرشاً لأمير نمساوى هو مكسمليان دون أن تأبه لنظرية منرو أو تعترف بحقوق الأمريكيين فى تقرير نظام حكومتهم وكان موقفها فى الحرب الأمريكية يوضح إلى حد كبير ما كان لها من أطماع فى الدنيا الجديدة وما كان لها من رغبة فى تمزيق الوحدة الأمريكية. ومن هنا كان موقف الولايات المتحدة قوياً إزاء تدخل الفرنسيين، وخاصة انهزام الجنوب وانتهاء الحرب الأهلية.

ولقد عالجت الولايات المتحدة فى أول الأمر مسألة المكسيك بشىء غير قليل من اللين، فكانت تكتفى بالاحتجاج ضد الاعتداء الفرنسى على أرض أمريكية ولكنها عادت بعد أن انتهت الحرب الأهلية لتوضح بما لا يدع مجالاً للشك ضرورة جلاء الفرنسيين عن المكسيك وأما الحرب. ولم يكن أمام نابليون إذا كان يؤثر السلم - أن ينسحب بجنوده وإلا زحفت عليه القوات الأمريكية المنتصرة ويصبح تجنب الحرب أمراً صعباً.

وبين جون بايجلو J.Bigelow ممثل سيوارد فى باريس تلك السياسة لنابليون الثالث، ولقد حاولت الحكومة الفرنسية أن تقنع الولايات المتحدة بالاعتراف بحكومة مكسمليان إذا وافق الفرنسيون على سحب جنودهم من المكسيك، ولكن الولايات

المتحدة رفضت ذلك العرض رفضاً باتاً ولذا فى ديسمبر سنة ١٨٦٥ بطبلي سيوارد انسحاب الفرنسيين التام من المكسيك فسيوارد قد درس الموقف السياسى فى فرنسا كما درس مركز فرنسا السياسى فى أوروبا.

والواقع أن مركز نابليون الثالث فى فرنسا كان يزداد ضعفاً على ضعف وكانت صحته آخذة فى الاعتلال بشكل خطير وزادت مشاكله السياسية، فالموقف الأوروبى كان يزداد خطراً يوما بعد يوم والحرب بين دولتى وسط أوروبا بروسيا والنمسا كانت على وشك أن تقع وفى حالة انتصار الدولة الأولى سيقوى الخطر الألمانى على نهر الراين - ثم قامت الحرب بين الدولتين.

وكان انهزام النمسا الحربى فى سادوفا وانهزامها سياسيا خطيراً لفرنسا. ولما كان نابليون الثالث يشعر تماماً بخطورة الموقف الأوروبى فهو يحول نظره سريعاً من المكسيك إلى وسط أوروبا وإلى الأحداث السياسية المهمة على حدود فرنسا الشرقية.

ولذا فهو يعلن فى ٥ إبريل سنة ١٨٦٦ أنه سيسحب جنوده من المكسيك فى التسعة عشر شهراً المقبلة. ولكن الموقف الأوربى كان يزداد خطورة كل يوم ولذا تم الانسحاب

الفرنسي من المكسيك قبل الموعد المضروب، ففى مارس سنة ١٨٦٧ سحب بازين Bazaine (قائد الحملة الفرنسية) آخر جنوده من أمريكا ولم يمضى شهران حتى انهار عرش مكسمليان وجنت زوجته الإمبراطورة وعادت المكسيك للمكسيكيين.

لم تكن الولايات المتحدة تكن ضغينة لمكسمليان، ولكن سياستها وسلامتها كانا متعارضين مع وجود دولته. فوجود حكومة نمساوية تعتمد على تأييد فرنسا فى أرض أمريكية مجاورة للولايات المتحدة لا تتفق أبدا والخطة التى رسمها منرو . لقد حاول سيوارد التدخل للمحافظة على حياة مكسملبان ولكن جواريز Juare صاحب النفوذ فى المكسيك أصر على توقيع العقوبة على ذلك الرجل حتى لا يستهتر أحد فى المستقبل بحقوق المكسيك وفعلا لم يقبل تدخل الولايات المتحدة وأعدم مكسمليان.

موقف مصر من مسألة المكسيك :

ومما يجد الإشارة إليه أن مصر قد أقحمت نفسها فى هذا الصراع الدولى لصالح فرنسا دون أن يكون لها أدنى مصلحة فيه. فنظرا لرداءة الأحوال الجوية والصحية بتلك المناطق التى كانت مسرحا لعمليات فرنسا الحربية بالمكسيك، تعرض الجنود الفرنسيون للموت والهلاك بسبب تفشى الحمى

الصفراء بين صفوفهم ووجدت الحكومة الفرنسية أن العناصر البيضاء لا تصلح للخدمة العسكرية بتلك المناطق الحارة وأن من الأفضل استبدال جنود من الأفريقيين فمن اعتادوا على مثل تلك الأجواء بهذه العناصر البيضاء.

كانت هناك صداقة وطيدة فى ذلك الوقت تربط فرنسا بمصر فى عهد الوالى سعيد وأوائل عهد إسماعيل - فمصر فى نظر فرنسا ميدانا لذكرياتها ومصالحها فعلى أرضها نزل نابليون وقام بأعماله الشهيرة وبين ربوعها أنشأت فرنسا أكبر مشروع عرفه العالم فى ذلك الوقت وهو قناة السويس ذلك المشروع الذى ربط الشرق بالغرب، كما كان لفرنسا جزء كبير من أسهم قناة السويس وكان لها أيضا أدارتها والإشراف عليها. ثم لها بعد ذلك عدد غير قليل من الرعايا المقيمين فى مصر والذين لهم فيها مصالح عامة.

هذا بالإضافة إلى ميل سعيد إلى فرنسا وإلى كل ما هو فرنسى، فوافق على إبرام امتياز شركة قناة السويس رغم معارضة إنجلترا الشديدة لهذا المشروع فى أول الأمر. وسار إسماعيل على سياسة سلفه فى الاعتماد على معونة فرنسا فى تنظيم الجيش المصرى وإنشاء المصانع الحربية الجديدة وفى إرسال البعثات العلمية والعسكرية إليها.

كما كانت سياسة لوى فيليب ملك فرنسا منذ الأربعينات من القرن التاسع عشر تهدف دون شك إلى إحياء الدول الصغيرة فى البحر المتوسط وتوثيق صلات فرنسا بها لكل هذه الأسباب كان للحكومة الفرنسية تأثيرها على مصر وعلى ولاتها، ولهذا استخدم نابليون الثالث إمبراطور فرنسا نفوذه لدى والى مصر سعيد – دون أن يرجع فى هذا الأمر الخطير إلى الباب العالى – لإمداده بأورطه (١٠٠٠ جندى) من الجنود السودانيين للعمل تحت إشراف القوات الفرنسية بالمكسيك.

وقد استجاب سعيد لطلب نابليون، ونظرا لمعارضة إنجلترا لسياسة فرنسا التوسعية فى العالم الجديد فقد ساءها موقف والى مصر من مسألة المكسيك وأخذ وزير خارجيتها اللورد بلمرستن يندد به فى مجلس العموم البريطانى.

ماذا كان موقف الولايات المتحدة الأمريكية من هذه القوة المصرية ؟ تكتم المسئولون فى مصر أمر إرسال هؤلاء الجنود تكتما شديدا إلى حد أعداد الترتيبات اللازمة لابحارهم ليلا من الإسكندرية ومن مكان غير مستخدم لرسو السفن. وعندما علم قنصل أمريكا بمصر الجنرال تاير W.Thayer بتحركاتهم حاول أن يقف على حقيقة الأمر من خورشيد باشا محافظ الإسكندرية الذى أبدى تجاهلا تاما بهذا الموضوع،

وصرح أحد مساعديه بأن تلك القوة متجهة إلى مراكش لإخماد ثورة قام بها الأهالى هناك، وذلك لتضليل القنصل الأمريكى عن الهدف الحقيقى خشية أن يقيم فى طريقها العقبات.

وما أن علم القنصل الأمريكى بمصر بنبأ سفر هؤلاء الجنود إلى المكسيك حتى سعى إلى مقابلة سعيد للوقوف على وجهة نظر مصر فى هذا الموضوع . ولكنه لم يستطيع لمرض الوالى فى ذلك الوقت. وبناء عليه فقد أرسل إلى حكومته بمذكرة يصف فيها ما قام به سعيد بأنه خرق صريح لمعاهدة لندن التى وقعتها الدول الأوربية الكبرى فى ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠، والتى حددت فيها مركز مصر السياسى تحديدا دقيقا.

فإذا كان هذا العمل من جانب سعيد قد وجد موافقة من الباب العالى ، فمعنى هذا أن تركيا أعلنت الحرب على جمهورية المكسيك، وإذا لم يكن الأمر كذلك فيعتبر سعيد خارجا عن طاعة مولاه ويجب محاسبته والوقوف فى وجهه.

وفى ١٣ يناير سنة ١٨٦٣ تمكن القنصل الأمريكى من مقابلة ذو الفقار باشا (ناظر) وزير الخارجية المصرى، وطلب منه توضيحا لموقف والى مصر وعما إذا كان هذا التصرف من قبله قد حظى بموافقة الباب العالى أم لا ؟ فأجاب ذو الفقار بالنفى. وأضاف قائلا بأن إمبراطور فرنسا قد ألتمس من والى

مصر إرسال ١٥٠٠ من الجنود السودانيين لمعاونـــة الجنـــود الفرنسيين بالمكسيك فرأى بأن ليست لدية السلطة فى ان يرسـل أكثر من خمسمائة جندى وهو عدد ضئيل لا أثر له. فـاعترض القنصل الأمريكى على هذا القول وأوضح له بأن العبرة ليسـت بقلة العدد أو كثرته ولكنها مسألة مبدأ وأن فى الخـروج علـى هذا المبدأ خرق صحيح لمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ولبنود فرمان سنة ١٨٤١ الذى قبلت أسرة محمد على توارث الحكـم علـى أساسه فأوضح ذوالفقار بأن الوالى لم تكن لدية أية فكرة عـن خطورة هذا العمل وأن كل تفكيره كان منصبا على تأدية خدمـة أخوية للإمبراطور.

وأوضح القنصل الأمريكى بأن خرق معاهدة لندن يـهم الدول الموقعة عليها أكثر مما يهم الولايات المتحدة الأمريكيـة، ولكن حكومة الولايات المتحدة تسير فى سياسـتها الخارجيـة وفقا لمبدأ منرو الذى ينص على أن أى تدخل من أيـة دولـة أوربية فى شئون القارة الأمريكية يعد عمـلا عدائيـا موجـها ضدها. بهذه النظرة وحدها نظرت الولايات المتحدة إلى الحملة الفرنسية على المكسيك.

وإزاء تلك الإيضاحات التى أدلى بها القنصل الأمريكـى لم يسع ذو الفقار إلا تقديم الاعتذار عن هذا الخطأ الذى إرتكبته

الحكومة المصرية عن غير قصد، وأكد له أن الحكومة المصرية لم تفكر فى يوم من الأيام فى الإساءة إلى علاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية. وأنها لحريصة أشد الحرص على أن تحتفظ بهذه العلاقة قوية على الدوام. وقد اختتم القنصل الأمريكى حديثة مع وزير الخارجية المصرية بطلب إصدار بيان رسمى تتعهد فيه الحكومة المصرية بعدم إرسال مساعدات حربية أخرى مستقبلا إلى المكسيك.

لم يقنع قنصل أمريكا الجنرال الجديد شارلز هيل Charles Hale بما بذله سلفه من قبل فى هذا الشأن فواصل سعيه للحصول على تأكيد رسمى من الحكومة المصرية بعدم إرسال أية إمدادات عسكرية أخرى، بل لقد ذهب فى هذا الموضوع إلى حد التلويح لوالى مصر الجديد إسماعيل مهددا باستخدام القوة قائلا: إذا كان فى استطاعة والى مصر أن يستغنى عن بضع مئات من الجنود الملائمين للخدمة فى المكسيك فإن لدى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تحت السلاح أكثر من ألف جندى من نفس النوع يصلحون – بصفة خاصة – للعمل فى مصر ، وأن أمريكا على استعداد بأن تعامل الوالى بالمثل وان تقوم بنفس الدور الذى قام به الوالى فى المكسيك بناء على رجاء دولة أخرى صديقة.

وبتعهد مصر رسميا بعدم إرسال جنود جدد تنتهى الأزمة التى نشبت - غير حادة - بين حكومتى مصر والولايات المتحدة بشأن المكسيك.

وتظهر عظمة سيوارد فى عهد الإنشاء الذى تبع عصر الحرب الأهلية ففى هذا العهد تم شراء شبه جزيرة ألسكا من روسيا فلقد وجدت الحكومة الروسية عدم أهمية ألسكا لها وعرضت على الولايات المتحدة شراءها. ولكن محاولاتها الأولى لم تكن ناجحة. ثم عرض سيوارد الفكرة من جديد على روسيا ووجدت هذه الدولة أن حاجتها للمال شديدة فوافقت على الصفقة وتمت عملية الشراء نهائيا فى صيف سنة ١٨٦٨.

الفصل السابع

الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأقصى

أعقبت الحرب الأمريكية فترة اطمئنان واستقرار ، فلم تعد الولايات المتحدة تخشى على وحدتها واستقلالها، وقد أتاح لها ذلك الدخول فى عصر إنشاء وتوسع لم تشهده من قبل، لقد زال الخطر الخارجي نهائيا بطرد الفرنسيين من المكسيك، وأما الخطر الداخلى، خطر انقسام وتجزؤ الوحدة فقد تلاشى نهائيا بانتصار الشمال فى ميدان الحرب. واطمأنت الولايات المتحدة إذا على قوتها وإلى مستقبلها، فلم تعد تعبأ كثيرا بسياسة الحياد القديمة التى كانت تتفق مع ظروفها السياسية فى الماضى هذه السياسة التى كانت تنادى بتوجيه كل الجهود للبناء الداخلى والتوسع نحو الغرب والوصول بالولايات المتحدة إلى حدودها السياسية الطبيعية وإلى عدم التورط فى مشاكل خارجية خطوة قد تضطرها إلى أن تصطدم بإحدى الدول الكبرى اصطداما لا تحمد عواقبه. ولكن الولايات المتحدة احتفظت بمبدأ منرو كأساس أول لسياستها الخارجية ولم تمتنع بعد أن نظمت شئون بيتها من ان تلقى نظرة إلى خارج حدودها وتعمل على أن تبنى لنفسها مركزا دوليا ممتازا لا فى أمريكا وحدها، ولكن فى العالم كله.

وسنبدأ بوصف علاقات الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة بالشرق الأقصى وأن كانت هذه العلاقات قد بدأت فـــى أوائـــل النصف الثانى للقرن التاسع عشر قبيل الحرب الأهلية.

وكان من المهم لدى الولايات المتحدة الأمريكية وهـــى دولة تطل على المحيط الهادى من ناحية الشرق أن تهتم بكل ما يجرى على الناحية الغربية من هذا المحيط، فأى قوة تقع فـــى شرقه، لابد أن تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على القــوة التى فى غربه، والعكس صحيح.

فالولايات المتحدة الأمريكية لم تشأ أن تبقى جاهلة بمـــا يحدث على الجانب الغربى من المحيط. ولهذا عولـــت علـــى الدخول فى علاقات خارجية مع دول شرق آســـيا، ولا ســـيما اليابان. ولما كانت اليابان تعتنق سياسة العزلـــة والبعـــد عـــن الدخول فى علاقات مع الدول الأجنبية خصوصاً بعد تجربتـــها فى هذا الشأن فى القرنين ١٦ ، ١٧ فقد لجأت إلـــى مختلـــف الطرق لإقناع حكومة اليابان على الدخول فى علاقات معـــها، أما بطريق السلم أو الحرب.

أولى تلك المحاولات كانت على يـــد القـــائد البحـــرى الأمريكى بدل فى عام ١٨٤٦، إذ حاول فى تلك السنة أن يقنـــع

المسئولين اليابانيين بإنشاء علاقات تجارية مع اليابان، ولكن مهمته لم تنجح، فاضطر للعودة من حيث أتى.

لم تقبل الولايات المتحدة الأمريكية هذه الهزيمة، وعاودت الكرة مرة أخرى بقوة بحرية أكبر يرأسها القائد البحرى الأمريكى برى وذلك فى عام ١٨٥٤. وزود بتعليمات من حكومته ببذل أقصى مساعيه لإقناع رجال الحكومة اليابانية بفائدة إيجاد علاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية وإذا لم تنجح بالطرق الودية فى إقناعهم فيلوح لهم باستخدام القوة لإرغامهم على ذلك.

على أن مهمة برى كانت أجل من ذلك، وسيكون لنجاحها نتائج بعيدة الأثر فكانت تعليماته تقتضى بالمطالبة بحق الرسو فى الموانى اليابانية وبأن يعمل على استصلاح النفوس وكسب ثقة الأهلين، وألا يلجأ إلى استخدام القوة إلا عند الضرورة القصوى وألا يظهر مظهر الاعتداء أو الصلف أو الغرور ولكن عليه فى الوقت نفسه أن يحسن تمثيل قوة الولايات المتحدة وعظمتها وميلها للعدالة وحبها للإنسانية وتقديرها للصداقة.

بدء العلاقات الأمريكية مع اليابان:

وصل برى إلى الشواطئ اليابانية فى صيف سنة ١٨٥٣ وفى هذه المرة أيضا نصحته الحكومة اليابانية بالرجوع من حيث آتى . ولكنه أبى أن يسمع إلى ذلك النصح ونجح فى إقناع هذه الحكومة بإنشاء علاقات سلمية بين الدولتين واستطاع أن يصل إلى كثير من أهدافه، مضافا إليها حق التمثيل القنصلى فيكون للولايات المتحدة ممثل فى اليابان.

وبذلك استطاعت الولايات المتحدة أن تخرج اليابان من عزلتها، وأن تسهم بنصيب كبير فى أن تتبوأ اليابان مركزا ممتازا فى منطقة الشرق الأقصى بعد ذلك بسنوات.

ولقد ثابرت الولايات المتحدة على الاهتمام بصلاتها مع اليابان فى عهد الرئيس بوكانان Buchanan وفعلا أرسلت هاريس Harris سنة ١٨٥٦ كمبعوثا لتوثيق العلاقات الأمريكية اليابانية وقنصلا لتمثيل مصالح أمريكا فى اليابان. ولقد نجح ذلك الرجل فى إزالة الشكوك الباقية لدى اليابانيين، وتمكن آخر الأمر من عقد معاهدة مع اليابان فى صيف سنة ١٨٥٨.

وبمقتضى هذه المعاهدة فتحت بعض الثغور اليابانية للأمريكيين ووافقت اليابان على تبادل الممثلين السياسيين

والقناصل. ومنح بعض الرعايا الأمريكين بمعنى الامتيـــازات كما صرح لهم بحرية العبادة وبناء الكنائس.

وأما اليابان فقد اكتسبت حقوقا جديدة فلقد تقرر حقها فى شراء السفن التجارية والحربية والعتاد الحربى مـــن الولايـــات المتحدة، وكذا الاستفادة من الأخصائيين الأمريكيين. فكانت هذه المعاهدة خطوة ثانية مهمة فى سبيل توثيق العلاقـــات اليابانيـــة الأمريكية وفى تقدم اليابان الحضارى والسياسى والحربى.

ومما ساعد على نجاح هذه المعاهدة قلق اليابان المـتزايد من سوء تطور الحـــوادث فـــى الصيـــن، فـــهجوم الإنجلـــيز والفرنسيين فى الصين وفشل هذه البلاد فى الدفاع عن نفســـها واحترام حقوقها كان له أثر عميق فى عقول الساسة اليابـــانيين الذين أخذوا يوقنون بقوة الغرب ويرون عبث الوقـــوف أمامـــه وتحدى حضارته ونفوذه.

ولكن سرعان ما عادت اليابان مرة ثانية إلى ما جعلـــها تتوجس خيفة من تدخل الغرب ففى سنة ١٨٦١ أقتنع ســـيوارد وزير الخارجية الأمريكية فى عهد الرئيس لنكلن بأن اليابان قـد صممت على عدم احترام المعاهدة التـــى تربطـــها بالولايـــات المتحدة، بل وقامت بالفعل بطرد الأجانب من بلادها وحدث مـــا كان تخشاه، فلقد هاجمت اليابان سفينة أمريكية فى سنة ١٨٦٥،

فوجد سيوارد نفسه مضطرا إلى أن يشرك الولايات المتحدة فى المظاهرة البحرية التى قام بها الفرنسيون والإنجليز لإجبار اليابانيين على احترام تعهداتهم إزاء الدول الغربية.

بدء العلاقات مع الصين:

كما وجدت الولايات المتحدة صعوبات جمة فى إقناع اليابان بإنشاء علاقات معها قابلت الصعوبات نفسها مع الصين.

والعوامل التى دعت أمريكا إلى الاهتمام بأمور هذه البلاد فى أول الأمر هى عوامل فى الغالب اقتصادية، على أن الولايات المتحدة لم تحاول القيام بعمل حربى منفرد لإرغام الحكومة الصينية على قبول مطالبها، فلقد آثرت كارهة سياسة التعاون مع الدول الأوروبية الكبرى فى بعض الأحيان والذى دعاها لذلك هو عدم استقرار الأحوال السياسية فى الصين، وضعف نفوذ الحكومة الإمبراطورية المستمر.

حرب الأفيون الأولى (١٨٣٩ - ١٨٤٢):

نشبت بين إنجلترا والصين حرب أطلق عليها أسم حرب الأفيون الأولى The Opiom War (١٨٣٩ - ١٨٤٢) بسبب إصرار إنجلترا على إرغام الصين على قبول تجارة الأفيون التى كانت تتولاها شركة الهند الشرقية الإنجليزية، وكانت

إنجلترا ترمى من وراء هذا العمل السعى وراء الكسب غير المشروع، واستنزاف العملات الفضية التى تدفعها الصين ثمنا لهذا المخدر، هذا بالإضافة إلى ما يترتب على هذه التجارة الشائنه من أضرار اقتصادية مثل الإخلال بالميزان التجارى بين إنجلترا والصين وجعله فى صالح انجلترا، وقد تهون الأضرار الاقتصادية أمام فداحة الأضرار المعنوية والتى تتمثل فى العمل على انحلال الشعب الصينى والقضاء على معنوياته لإخماد روح المقاومة فيه، لتسلس قيادته، وليصبح لقمة سائغة فى يد المستعمرين.

ونجحت القوة الإنجليزية الغاشمة فى إنزال الهزيمة بالصين وفى فرض معاهدة نانكنج Treaty of Nanking فى سنة ١٨٤٢، حصلت إنجلترا بمقتضاها على جزيرة هنج كنج وتحديد المكوس على البضائع الإنجليزية وفتح خمسة موانى صينية أمام التجارة الأجنبية ومحاكمة الرعايا البريطانيين أمام محاكم إنجليزية، هذا بالإضافة إلى فرض غرامة حربية كبيرة على الصين لسد نفقات الحرب.

كانت الصين فى هذه الحرب تمثل قوة الشرق المتداعية، وإنجلترا كانت تمثل قوة الغرب المتطلعة إلى التسلط والاستعمار ونتج عن هذا الصدام بين القوتين تدعيم مصالح

الغرب فى الصين، وتطلع الدول الأجنبية صاحبة المصالح فيها إلى التدخل فى شئون الصين من حين لآخر بحجة حماية مصالحها.

ولما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعتنق سياسة الباب المفتوح فى الصين، فقد وجدت فى معاهدة نانكنج افتئاتا على حقوقها وانتهاكا لتلك السياسة، ومن ثمة فقد طالبت الصين بأن تعاملها بالمثل، وأرسلت لهذا الغرض مبعوثها كالب كوشنج Caleb Cushing إلى الحكومة الصينية يطلب الدخول فى مفاوضات لعقد معاهدة بين الطرفين على غرار المعاهدة الإنجليزية الصينية. وأخذ المبعوث الأمريكى يهدد الحكومة الصينية بأن أى رفض لهذا الطلب يعتبر بمثابة عمل عدائى ضد الولايات المتحدة ستقابله بالحرب. وتحت التهديد باستخدام القوة اضطرت الصين إلى توقيع معاهدة وانجشيا Treaty of Wangshia فى سنة ١٨٤٤ مع الولايات المتحدة الأمريكية سلمت بمقتضاها لأمريكا بما سبق أن منحته من تسهيلات وامتيازات للحكومة الإنجليزية طبقا لما ورد بمعاهدة نانكنج. بالإضافة إلى امتيازات أخرى جديدة تتعلق بمنح الأمريكيين حق الملاحة فى مياه الصين الداخلية وتخفيض الرسوم الجمركية.

وعندما قامت ثورة التايبنج The Taiping Revolution (١٨٥٠ - ١٨٦٥) كنتيجة مباشرة للتدخل الأجنبى فى شئون الصين وجدت فيها الدول الأوربية وعلى رأسها الولايات المتحدة تهديدا خطيرا لمصالحها ونفوذها.

فلجأت الحكومة الأمريكية إلى عدم الاعتراف بهذه الثورة، وبقيت متمسكة بسياستها فى الاعتراف بالإمبراطورية القديمة، فهى فى نظرها حكومة لها من الماضى ومن التقاليد ما يدعو إلى احترامها أكثر من أية حكومة أخرى، كان غرض الولايات المتحدة الأول إقناع الصين بفتح موانيها للتجارة الأمريكية فكان هدفها مشابها لهدف كل من إنجلترا وفرنسا، هدف كل هذه الدول دخول التجارة الأجنبية إلى الصين، وذلك بفتح الموانى الصينية وتخفيض الرسوم الجمركية وإنشاء علاقات سياسية ووضع نظام للقضاء على القرصنة فى البحار الصينية، فالولايات المتحدة ترمى إلى تأييد سياسة الباب المفتوح أمام تجارة الجميع.

وفى عهد الرئيس بوكانا أرسلت حكومة الولايات المتحدة ريد Reed لكى يتعاون مع ممثلى إنجلترا وفرنسا وأوصته بالا يلتجئ إلى سياسة العنف ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فما كانت الولايات المتحدة - كما تقول تعليماته - ترمى

إلى أكثر من الاتجار المشروع مع الصين، وحماية رعاياها الأمريكيين.

حرب الأفيون الثانية (١٨٥٧ - ١٨٥٨):

كان التحرش بالصين واستغلال ضعفها وانحلالها من سمات سياسية الحكومتين الإنجليزية والفرنسية، وفى نفس الوقت ما كانت الدولتان تطمئنان إلى حكومة التايبنج التى تحكم فى الصين، وتريا التعجيل بالقضاء عليها وكسب المزيد من الامتيازات، وجعل تجارة الأفيون تجارة مشروعه.

انتهزت الحكومتان الإنجليزية والفرنسية فرصة استيلاء الصين على إحدى السفن الإنجليزية وأعلنتا الحرب عليها، وأنزلتا قواتهما فى مدينة تينتس Tientsin لتهديد العاصمة بكين. وكانت خطة الدولتين أن تتقدما بمطالب جديدة إلى حكومة الصين، وأن تغاليا فى تلك المطالب لتضطر إلى رفضها. ومن ثمة تعلن الدولتان عليها حربا شعواء لإرغامها على قبول ما يريده الغرب.

وهذا ما حدث بالفعل إذ تقدمت الحكومة الإنجليزية تؤازرها حكومتا الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا بمطالب مجحفة بحقوق الصين وتعتبر افتراء على سلطتها وسيادتها، فرفضتها حكومة الصين.

لجأت الدول الثلاث إلى استخدام القوة واحتلال كـانتون وتينتس فاضطرت حكومة الصين إلى عقد معاهدة تينتس فـي سنة ١٨٥٨ وتنص على ما يلى :

أولا: فتح ثغور جديدة أمام التجارة الأجنبية.
ثانيا: استيلاء الحكومة الإنجليزية على قطعة من الأرض فـي مواجهة هنج كنج لتسهيل عملياتها التجارية مع الصين.
ثالثا: جعل تجارة الأفيون تجارة مشروعة.
رابعا: تعهدت حكومة الصين بتقديم الضمانات اللازمة لسـلامة التجارة والمبشرين أثناء مباشرة نشاطهم داخل المدن الصينيـة ومنحهم امتيازات خاصة.
خامسا: كذلك قبلت الحكومة الصينية مقابلة الممثلين الغربييـن بما يليق بمكانتهم من تقدير.
سادسا: فرض غرامة حربية كبيرة على الحكومة الصينية.

كانت تلك المعاهدة بطبيعة الحال الضربة الثانية التـي تلقتها الإمبراطورية الصينية والتى أسهمت الولايات المتحـدة فيها بنصيب كبير. وترتـب عليـها فقـدان الصيـن لهيبتـها وسيطرتها، وطمع الدول الأوربية والآسيوية فيها وإلى اقتطـاع كل منها أجزاء معينة وإلى تقسيم الصين فى النهاية إلى منـاطق نفوذ متعددة.

أساء هذا الوضع إلى الحكومة اليابانية التى كانت تنظر إلى الصين كميدان حيوبى لتوسعها واستغلالها، ووجدت فى تقسيم الصين إلى مناطق نفوذ ما يحول بينها وبين تحقيق هذا الهدف فلجأت إلى الاستعانة بالولايات المتحدة الأمريكية للقيام بعمل مشترك وهو المطالبة بالمساواة التامة بين جميع الدول فى الحقوق والامتيازات فيما يتعلق بالتجارة مع الصين وهو ما يطلق عليه اسم سياسة الباب المفتوح. وتعزيزا لهذا المطلب قامت الولايات المتحدة بالاستيلاء على جزر الفلبين فى سنة ١٨٩٨.

اهتمت الولايات المتحدة فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر باتباع سياسة الباب "المفتوح فى الصين اهتماما خاصا دعا اليها تقسيم الدول الأوربية الكبرى للصين إلى مناطق نفوذ سياسية. فكان هذا يعنى إلى حد ما حرمان الولايات المتحدة من حرية الاتجار مع الصين ، ولهذا جاءت مذكرة الوزير الأمريكى جون هاى John Hay فى سنة ١٨٩٩ موضحه لسياسة الولايات المتحدة بهذا الخصوص، ومعنى سياسة الباب المفتوح فى نظر الولايات المتحدة إتاحة فرص متساوية لجميع الدول اكبرى فى الصين، أى أن تحصل هذه الدول على امتيازات متساوية وألا تستأثر دولة بامتيازات أو تفوق ما تمنحه حكومة الصين للآخرين.

وبصفة عامة كانت سياسة الولايات المتحدة نحو الصين سياسة تتسم بالعطف إلى حد ما، سياسة تعمل على المحافظة على كيان الإمبراطورية الصينية وسلامة أراضيها، مع المحافظة فى الوقت نفسه على المصالح الأجنبية فيها. هذه السياسة تظهر بوضوح فى القرن العشرين، فى وقت كان ذلك الكيان مبددا من كل جانب.

ولم يكن الدافع الاقتصادى هو الذى أملى على الولايات المتحدة انتهاج تلك السياسة فلم تكن مصالحها الرأسمالية فى الصين تقف على قدم المساواة مع مصالح غيرها من الدول مثل إنجلترا وفرنسا وروسيا واليابان وألمانيا بل كانت تأتى بعد كل هؤلاء فى الترتيب، ولكن هناك مصالح حضارية إنسانية تعليمية مهمة فى هذه البلاد. واهتمام الولايات المتحدة بالصين جعل للجزائر التى تقع فى منتصف الطريق بينها وبين الصين أهمية استراتيجية خاصة لا سيما بعد انتشار استخدام البخار فى السفن وتقدم النقل البحرى.

على أى حال ظلت الولايات المتحدة – رغم ما قامت به – إلى قرب أواخر القرن التاسع عشر مجرد مشاهد لما يحدث فى الصين من انقلابات داخلية أو مصادمات بين الدول الكبرى

أو مغاضبات من سفرائها وممثليها. ولم تقم بدور إيجابى نشيط فى السياسة الصينية إلا فى القرن العشرين.

على أنه فى خلال القرن التاسع عشر لم تتقدم الصين كثيرا نظرا لظروفها الجغرافية الخاصة واتساعها واضمحلال إمبراطوريتها وأطماع الدول الأوربية الكبرى التى لانهاية لها. وأما جارتها اليابان فتقدمه تقدما محسوسا وأصبحت لها قوة يعتد بها، فلقد وجدت أنها لتعيش وتنمو يجب أن تستفيد من الحضارة الغربية ومن النظم الإنجليزية والأمريكية بصفة خاصة.

سياسة العطف على اليابان:

ولقد كانت الولايات المتحدة تراقب تقدم اليابان فى المحيط الهادى بشىء غير قليل من الاهتمام، ولم تشعر بالغيرة أو الحسد إزاء هذا التقدم المطرد بل بالعكس كانت تظهر فى مبدأ الأمر عطفا كبيرا على التقدم الكبير الذى حازته جارتها الكبرى الآسيوية. ففى الحرب الصينية اليابانية فى سنة ١٨٩٤ وجدنا الولايات المتحدة – وإن كانت سياستها العامة ترمى إلى المحافظة على كيان الدولة الصينية – وجدناها تقنع الحكومة الصينية بضرورة الاعتراف بالهزيمة وبالتسليم بمطالب اليابان وبوضع حد سريع للحرب حتى لا تظهر الفرص سانحة لتدخل الدول الأخرى، وكما أن الولايات المتحدة لم تقم بأية محاولة

لمنع التقرب بين اليابان وإنجلترا بل انضمت إلى الحلف الياباني الإنجليزى كعضو ثالث مشاهد.

الحرب الروسية اليابانية:

وعندما نشبت الحرب الروسية اليابانية حاول الرئيس تيودور روزفلت Theodore Roosevlt ألا تمتد نيرانها إلى الصين ؟ وأن تقتصر الحرب بين الدولتين فى أضيق الحدود وأن تقف منها موقف الحياد المشوب بالعطف على اليابان.

ولقد ذهب روزفلت فى صداقته لليابان كل مذهب إلى حد أنه وجه إنذارا إلى كل من ألمانيا وفرنسا بالوقوف على الحياد وعدم التدخل لصالح روسيا وإلا ستجد الولايات المتحدة نفسها مضطرة لتأييد الدولة اليابانية تأييدا تاما. وكان لذلك أثر حاسم فى تثبيط عزم الدولتين عن أن تأخذ بناصر الدولة الروسية. وكانتا تعطفان على مطالب روسيا بالرغم من اختلافاتها الكثيرة وترغبان رغبة صادقة فى تعضيدها.

فى الحرب الروسية اليابانية نالت اليابان النصر تلو النصر على الروس ولكنها خشيت أن يحرمها التدخل الأوربى ثمرة انتصارها، كما حدث فى سنة ١٨٩٤ حين تدخلت أوربا فى صالح الصين أبان الحرب الصينية اليابانية. ولذا اتجهت اليابان صوب الولايات المتحدة تطلب منها التوسط فى حل

الأزمة الروسية اليابانية، ولكن الحكومة الروسية رفضت في أول الأمر قبول فكرة التوسط بالرغم أن الرئيس روزفلت نصحها أن تطلب الصلح قبل أن تقوم اليابان باحتلال أراض أخرى مهمة من ممتلكاتها فيزداد الخطر عليها، ولكن رئيس الولايات المتحدة لم ييأس فعرض مرة أخرى خدماته على الدولة الروسية حين سقطت بورت آرثر في يد اليابان وتلتها مكدن، ولكن القيصرية الروسية أبت إلا الاستمرار في الحرب وإرسال أسطولها الأوروبي إلى البحار الآسيوية فمزقت شمله قوة توجو القائد البحري الياباني.

ولقد هنأ الرئيس روزفلت ممثل اليابان السياسي في الولايات المتحدة بقوله " إن لانتصار إنجلترا في الطرف الأغر على قوات نابليون البحرية وعلى الارمادا (قوة أسبانيا البحرية) لا يعدل الانتصار العظيم الذي فاز به أمير البحر توجو".

ولكن بالرغم من الانتصارات العظيمة التي أحرزتها اليابان كانت لا تزال جادة في طلبها إنهاء الحرب، وطلبت فعلا من روزفلت التوسط فاتصل رئيس الجمهورية بالقيصر الروسي نفسه، وأيد القيصر الألماني في صيف سنة ١٩٠٥ مجهود روزفلت للسلام.

وبهذا استطاع الرئيس الأمريكى فى ٨ يونيو من هـــذه السنة إرسال مذكرة لكل من المتحاربين يطلب فيــها ضـــرورة النظر فى تقرير نهاية لهذا الصراع العنيف، وعـــاد القيصـــر الألمانى إلى تأييد روزفلت فـــى بـــث روح الاعتـــدال عنـــد الخصمين، ولا سيما فى إقناع القيصـــر الروســـى بضـــرورة التسليم بمطالب اليابان وألا استفحل الخطب، وانهار نظام الحكم إذا تتابعت هزائمه.

دعا روزفلت ممثلى الدولتين الكبيرتين إلى ســـفينة مـــاى فلور May Flower وشرب نخب رفاهية وسلام ملكى الدولتيـــن العظيمتين وشـــعوبهما. وبـــدأت المناقشـــات فـــى بورتســـموث الأمريكية. وكان نفوذ رئيس الجمهورية الأمريكية عظيمـــا فـــى إزالة العقبات المتراكمة فى سبيل عقد الصلح وفى التخفيف مـــن غلواء اليابانيين ، وتم عقد الصلح نهائيا فى خريف سنة ١٩٠٥.

وهكذا اكتسبت الولايات المتحدة مجدا كبيرا فقد اعترفت الدول بمركزها العالمى الكبير وظهر روزفلـــت مـــن أعظـــم شخصيات العالم فى ذلك الوقت.

وبالرغم من أن الولايات المتحدة ساعدت اليابان فـــى ان تجنى ثمار انتصاراتها ألا أن العلاقات الأمريكية اليابانيـــة لـــم تستقر تماما. ففى خريف سنة ١٩٠٦ ثار الشعور الأمريكى فى

كليفورنيا ضد اليابان، فلقد كان الأمريكيون يخشون بل ويقتون الهجرة اليابانية وازديادها إلى غربى أمريكا وخاصة بعد ظهور اليابان كقومية عظيمة ودولة كبرى فثارت مشكلة حادة هى: هل لليابانيين نفس حقوق الأمريكيين فى التعليم فى المدارس الأمريكية ؟ ثم ثارت بجانب هذه المشكلة مشكلة اقتصادية خطيرة، هى مشكلة العامل اليابانى ورخصه، ولقد حاولت اليابان من جانبها إصلاح الأمر بتحديد عدد اليابانيين الذين يهاجرون إلى الولايات المتحدة وأظهر روزفلت من ناحيته تسامحا واعتدالا ولكنه أراد إصلاح مركز الولايات المتحدة بإرسال الأسطول الأمريكى فى رحلة حول العالم مارا باليابان، ولقد أظهر الأسطول الأمريكى كفاية أدهشت العالم وأقنعت اليابان بقوة الولايات المتحدة وتركت أثرا باقيا لدى الرأى العام الأوروبى، ولقد صرح روزفلت نفسه بأن أعظم خدمة أداها للسلام هى رحلة الأسطول الحربى الأمريكى حول العالم.

لقد احتفلت اليابان بالأسطول الأمريكى احتفالا مشهودا وقابلت كل سفينة من سفنه بسفينة مماثلة لها فى القوة.

التنافس اليابانى الأمريكى:

على ان هذا القدر من الوفاق بين دولتى المحيط الهادى لم يستمر طويلا، فبمجىء القرن العشرين بدأت دلائل المنافسة تظهر بينهما، قامت أمور تدعو كلا من الدولتين إلى الارتياب فى حركات الأخرى. واضطرت الولايات المتحدة إلى تعديل نظرية منرو، فجعلت لها صبغة آسيوية جعلتها تنطبق على التدخل الآسيوى، وظهر هذا التفسير بصفة خاصة فى حادث مجدلينا باى Magdalena Bay وهذا الحادث يتلخص فى أنه قريبا من خليج مجدلينا فى المكسيك أرادت شركة يابانية شراء أرض كبيرة قطعة واحدة تصلح لبناء قاعدة بحرية، وجاءت هذه الفرصة نتيجة لبعض الصعوبات المالية التى وقعت فيها الشركة الأمريكية التى تملك هذه الأرض، لم تعمل الحكومة الأمريكية من جانبها على تشجيع البيع أو تحرم الشراء ولكن الرأى العام الأمريكى اهتم بالمسألة اهتماما زائدا إلى درجة أن وضعت المسألة أمام مجلس الشيوخ الأمريكى بهذا الشكل : هل يستطيع مجلس الشيوخ أن يقبل استيلاء دولة أجنبية على أرض فى المكسيك تصلح لأن تكون محطة بحرية ؟ أن فى هذا اعتداء على نظرية منرو. اتبعت الحكومة اليابانية فى هذا الأمر سياسة

الاعتدال فلم تحاول الدفاع عن مصالح الشركة اليابانيـــــة أو تأييدها، وبهذا انتهى المشروع الياباني.

وفى مسألة خليج مجدلينا هذه طبقت الولايات المتحـدة نظرية منرو لأول مرة ضد اليابان ولأول مرة ضد مشـــروع تجاري، ولأول مرة ضد شـــــركة مـــن الشـــركات، وكـــان المعروف أن هذا المبدأ لا ينطبق إلا على التدخـــل الدولـــي السياسي.

الفصل الثامن
السياسة الأمريكية فى البحر الكاريبى

لا شك أن البحر الكاريبى وجد اهتماما خاصا فى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية. فموقع هذا البحر الذى يفصل بين الأمريكيتين يعتبر من وجهة نظرها أداة وصل لتوغل نفوذها فى أمريكا الوسطى وفى أمريكا الجنوبية.

هذا بالإضافة إلى أن هذا البحر يقع إلى الجنوب من حدودها الجنوبية، والسيطرة عليه حماية لتلك الحدود. وأما كانت جزيرة كيوبا أكبر جذر هذا البحر والتى تقع تحت السيادة الأسبانية، قد قامت بثورة ضد الحكم الأسبانى طالبة الاستقلال.

أثارت ثورة الجزيرة اهتمام الدول الأوربية الكبرى، ولا سيما الدولتين الكبيرتين: بريطانيا وفرنسا. ورأت أن تتدخل فى شئون الجزيرة عليها تتمكن بذلك من الحصول على مركز خاص فيها. وإذا ما تم ذلك ، فإنه يعتبر تدخلا فى الشئون الأمريكية ينطبق عليه مبدأ منرو.

ومن ثم كانت الولايات المتحدة الأمريكية حريصة على منع الدول الأوروبية من التدخل فى شئون الجزيرة. فإذا لم تستطيع إقناع أسبانيا بالتخلى عن الجزيرة ومنحها الاستقلال،

ﻼ أقل من أن تستجيب إلى مطالب أهل الجزيرة في منحهم بعض الصلاحيات في حكم ذاتي، ريثما تتمكن في المستقبل من بسط نفوذها عليها في الوقت المناسب. ولكن لن تسلم بوقوع الجزيرة بأي حال من الأحوال في يد أي من بريطانيا وفرنسا، حتى لا تصبح الجزيرة مصدر تهديد لحدودها الجنوبية.

ولما استقرت الأمور في الولايات المتحدة واطمأنت إلى مركزها الخارجي أخذت تحث إلى الاستيلاء على هذه الجزيرة الغنية فكان من أكبر أحلام الرئيس بولك أن يرى العلم الأمريكي يرفرف على هذه الجزيرة، وكانت إنجلترا وفرنسا متفقين تقريبا على منع نفوذ الولايات المتحدة من أن يتسرب إلى هذه البلاد. ولكن الولايات المتحدة حاولت بالرغم من مساعي هاتين الدولتين أن تبتاع كيوبا من أسبانيا، ولكن أسبانيا كانت تفضل دائما "أن ترى جزيرة كيوبا في قاع المحيط على أن تراها في يد دولة أخرى.

وتلت هذه المحاولة محاولات عدة قام بها بعض المغامرين الأمريكيين للاستيلاء عنوة وبالقوة على كيوبا لصالح الولايات المتحدة. ولكن هذه المحاولات الفردية باءت في نهايتها بالفشل فما استطاعت الولايات المتحدة لهؤلاء

المغامرين قصرا، ولم تستطيع أن تعترف رسميا بمثل هذه المحاولات الفردية دون أن تدخل فى حرب مع أسبانيا.

ولم تكن الولايات المتحدة قد رأت بعد الدخول فى حرب مع هذه الدولة من اجل جزيرة كيوبا، لا سيما فى وقت تعرف فيه أن أوروبا قد تتدخل فتشد أزر أسبانيا، ولكن حين اقترحت انجلترا وفرنسا لدى حكومة الولايات المتحدة أن تضمن الدول الثلاث تبعية هذه الجزيرة لأسبانيا لم تتأخر الولايات المتحدة فى رفض ذلك الاقتراح على أساس أنه متعارض مع نظرية منرو فما كان يمكن للولايات المتحدة أن تقبل الاشتراك فى ضمان أوروبى لحكم أوروبى فى مناطق أمريكية صرفه.

ولكن الحكم الأسبانى فى هذه الجزيرة لم يكن محبوبا من الأهالى، ولم يكن بالقوى المستقر فكانت الثورات لا تنقطع على حكومة مدريد، فأهالى كيوبا وجدوا من حقهم المطالبة بالاستقلال كما استقلت الولايات الأسبانية الأخرى فى أمريكا الجنوبية لا سيما وأنهم يعرفون الولايات المتحدة تعطف على مطالبهم وتمقت الحكم الأسبانى، وأنها مستمدة لمساعدتهم لو حاولوا جديا التخلص من ذلك الحكم.

وأما أسبانيا فقد حاولت القضاء بعنف وقسوة على هذه الثورات فأنشأت معسكرات الاعتقال على نطاق كبير، فثار الرأى

العام فى الولايات المتحدة مطالبا بالتدخل ووضع حد للحكم الأسبانى ويمنح الأهالى فى جزيرة كيوبا حكما ذاتيا على الأقل.

التدخل الأمريكى فى كوبا:

لم تستطع حكومة الولايات المتحدة الصبر وعرضت توسطها بين الأهالى الثائرين والحكومة الأسبانية، كان ذلك فى عهد الرئيس كليفلند، وفى عهد خلفه ماكنلى عملت الحكومة الأمريكية مطمئنة على تمهيد الطريق للحرب مع أسبانيا.

فالولايات المتحدة وجدت كما تقول آخر رسالة لكليفلند إلى الكونجرس " أن عليها واجبات يجب أداؤها لسكان كيوبا وأن هذه الواجبات أهم بكثير من مراعاتها لحقوق أسبانيا فى هذه الجزيرة ".

فى سنة ١٨٩٣ أحتج وزير الخارجية الأميركية شيرمان Sherman على الفظائع التى اعتقدت حكومة الولايات المتحدة أن أسبانيا ارتكبتها فى هذه الجزيرة وخاصة فى معسكرات الاعتقال. وقامت الحرب بين الدولتين لأسباب منها تصرف ممثل الحكومة الأسبانية فى واشنطن ديبوى دى لومى Dupuy do Lome ثم لتدمير السفينة مين Maino فى ميناء هافانا. على أى حال كانت هذه هى الأعذار التى بررت بها الولايات

المتحدة الحرب مع جارتها أسبانيا. وظل السبب الرئيسى هـــو اهتمام الولايات المتحدة بمصير هذه الجزيرة.

ثم ان الولايات المتحدة - طبقا لمبدأ منرو - لا تســتطيع أن تسمح لدولة أوروبية ان تفرض نظاما سياسيا خاصا غــــير ديمقراطى على جزء من أجزاء أمريكــــا لا يتفــق ورغبـــات الأهلين فى هذا الجزء.

حقيقة أن الولايات المتحدة فى رسالة منرو قد اعـــترفت بوجود مستعمرات للدول الأوربية فى أمريكا ولكـــن الولايـــات المتحدة نظرا لتطور مركزها الدولى ونمو قوتها كــــانت تنفــذ روح هذه النظرية فهى لا تقبل أن ترى شعبا أمريكيا يعانى من استبداد حكم أوربى.

فلا مناص أذن من حرب بين الولايات المتحدة وأسبانيا، وبالرغم من أن أسبانيا قبلت أن تمنح الجزيرة حكما ذاتيا، وكان مركز الحكومة الأسبانية صعبا جدا، فهى لن تستطيع أن تحتفظ بمقاليد الحكم فى أسبانيا لو سمحت بأكثر من ذلك، وأمام ذلـــك أرسلت الولايات المتحدة إنذارا بالحرب.

وحاولت البابوية التدخل لصالح السلام بيــــن الدولتيـــن ووقف الحرب، ولكن الرأى العام الأمريكى كان من الصعــــب

إقناعه بفكرة العدول عن الحرب مع أسبانيا، وكان الكونجرس الأمريكى نفسه مصمما على حرب لابد أن تقع يوما من الأيام ولذا لم يجد الرئيس ماكنلى مفرا من أن يرسل رسالة إلى الكونجرس يقرر فيها إعلان الحرب فى ٦ إبريل.

وفى الوقت نفسه طلبت دول أوربا الكبرى من الرئيس ماكنلى التريث وتعضيد سياسة السلام، وهذه الدول هى ألمانيا والنمسا والمجر وفرنسا وإيطاليا وروسيا وإنجلترا،ـ مما دعا الرأى العام فى الولايات المتحدة إلى الاعتقاد بان أوروبا باستثناء إنجلترا قد اتخذت موقفا فيه العطف الظاهر على أسبانيا، وفيه الحقد واضح على الولايات المتحدة.

وكان هذا رأى جون هاى John Hay سفير الولايات المتحدة فى لندن فلقد خابر حكومته فى واشنطن بأنه لا يوجد صديق لها فى أوربا غير إنجلترا. ولقد تحققت الولايات المتحدة من صدق ذلك فى الحرب فى جزر الفلبين ضد أسبانيا حين وقفت الدولة الألمانية موقفا يشتم منه روح العداء لأمريكا، على أن أوروبا إذا كانت تعطف على أسبانيا فما كانت مستعدة للدخول بجانبها فى حرب ضد الولايات المتحدة فى وقت لم تخف فيه إنجلترا عزمها الأكيد على تأييد هذه الدولة، ولم ينس

الرأى العام الأمريكى لإنجلترا هذا الموقف الودى فى ذلك الوقت العصيب.

وعلى أى حال لم تدخل الولايات المتحدة الحرب ضد أسبانيا لكى تستولى هى على جزيرة كوبا أو تنتقص من حقوق أهلها، ولذا فقد كانت تود الاعتراف بجمهورية كوبا، ولكن إزاء الظروف السياسية فى أمريكا و فى أوروبا اعترفت الولايات المتحدة بحق أهل كوبا فى الحرية والاستقلال، وأوضحت أن "و اجبها يتطلب منها التدخل لإرغام أسبانيا على إجلاء قواتها البرية والبحرية" من هذه الجزيرة، ولكنها أكدت مرة أخرى بأنها لن تمس استقلال هذه الجزيرة وأنها لم تحاول السيطرة عليها إلا لنشر السلام فيها والعمل على بث الأمن والطمأنينة ، وأنها حين تنتهى من أداء هذه المهمة تترك الحكومة والسلطان لأهل هذه الجزيرة.

وابتسمت أوروبا حين وصلت إليها أنباء ذلك الإعلان ونظرت نظرة الساخر المتهكم ولكن الأيام أثبتت حسن نية الولايات المتحدة. وفى أثناء هذه الحرب اختار الرئيس ماكنلى لوزارة الخارجية جون هاى John Hay وهذا الرجل بطبيعة الحال متأثر إلى حد كبير بتجاربه الخاصة فى إنجلترا فلا عجب إذا عمل على توثيق العلاقات الإنجليزية الأمريكية.

وكانت الحرب مع أسبانيا سريعة وحاسمة فبدأت فى الربيع وانتهت فى الصيف، وكانت نتيجتها انتصارا هاما لسياسة الولايات المتحدة وقوة جنودها وبحريتها، فسلمت أسبانيا بمطالب الولايات المتحدة واعترفت بأن جزيرة كوبا يجب أن تكون حرة، وبطريقة غير مباشرة اعترفت بتفوق نفوذ الولايات المتحدة فى هذه الجزيرة، فازدادت فيها المصالح الأمريكية ازديادا كبيرا. ولقد حاولت أسبانيا أن تحتفظ بجزيرة بورتوريكو فهى بقيه من أيام عظمتها السابقة، ولكن الولايات المتحدة أصرت علتى أن تكون بورتوريكو من أسلاب الحرب التى تستولى عليها.

الاستيلاء على جزر الفلبين:

ولقد حاولت أسبانيا أن تستبعد موضوع الفلبين من المفاوضات وكانت هناك فكرة فى الولايات المتحدة تقول بالا تأخذ الولايات المتحدة من هذه الجزر ما لا يصلح لإنشاء محطة بحرية، ولكن الحرب الأسبانية الأمريكية ونجاح الأمريكيين فيها أدى إلى تقوية الرغبة فى الفتح والتوسع.

وكان الرأى العام الأمريكى وخاصة فى غربى الولايات المتحدة متشوقا للاستيلاء على جزر الفلبين لموقعها الجغرافى المهم وقيمتها الاستراتيجية، ثم فوق ذلك لم يكن

الحكم الأسبانى فى هذه الجزر فى نظر الرأى العام الأمريكى مستنيرا ولا قويا ولا عادلا.

ولذا وجدت حكومة الولايات المتحدة من نفسها الرغبة والقوة لتطالب بجزر الفلبين من أسبانيا، ولما رأت الحكومة الأسبانية أن تقنع الدولة المنتصرة بأن تأخذ جزءا من هذه الجزر وتترك الجزء الأخر رأت الولايات المتحدة أن تصر على أخذ الجميع.

وكانت مفاوضات الصلح بين الدولتين فى باريس حيث كان الجو الأوروبى مشبعا بالعطف على أسبانيا فى محنتها. ولكن أوروبا لم تكن قد تهيأت بعد لحمل السلاح للدفاع عن دولة منهزمة. ولذا فى باريس نفسها خسرت أسبانيا أمبراطوريتها، ورفضت الولايات المتحدة رفضا باتا أن تقبل التحكيم أو توسط دولة بينها وبين أسبانيا.

وكان استيلاء الولايات المتحدة على جزر الفلبين جزءا مهما من معاهدة الصلح ولكن الولايات المتحدة وجدت ألا تذهب فى عداوة أسبانيا كل مذهب ورأت أن تسترضيها بعض الشىء فدفعت ثمنا لا بأس به لشراء جزر الفلبين، وألحقتها بالجمهورية الأمريكية، وبذلك أصبحت الولايات المتحدة دولة

عالمية بمعنى الكلمة ولم تعد أمريكية فحسب كما كان يريدهـــا واشنطون وجفرسون مؤسسا الجمهورية الأمريكية.

ويرى فريق من ساسة الولايات المتحدة ومؤرخيـــها أن احتلال جزر الفلبين يعد من أكــبر الأخطــاء التــى ارتكبتــها السياسة الخارجية الأمريكية لأنه زج بها فى مشـــاكل جنــوب شرق آسيا وأدى إلى تورطها فى مسائل هذه المنطقة المعقـــدة، ويرى الفريق الأخر غير ذلك إذ يعتـــبر اســتيلاء الولايـــات المتحدة على جزر الفلبين خطوة هامة وضرورية لتدعيم نفوذها فى الشرق الأقصى ومسألة حيوية بالنسبة لـــها كنقطـــة دفـــاع أمامية لها تجاه العالم الموسمى ونقطة ارتكاز فـــى منتصـــف الطريق إلى أسواق الشرق الأقصى المربحة.

فى الفلبين نفسها كان على الولايات المتحدة أن تقضـــى على الثورة الداخلية وأن تدخل فيها حكومة متمدينة واهتمـــت اهتماما خاصا بالحالة الصحية والتعليمية، ومنحـــت الســكان كثيرا من الحقوق التى يتمتع بها الأمريكيون أنفسهم، ولم تكــن غاية الولايات حرمان هذه الجزر من أمـــل الاســتقلال فـــى المستقبل، فوعدت بأن تهب هذه الجزر استقلالها فى الوقـــت الذى تقتنع فيه بأن السكان المحليين وصلوا إلى درجـــة مـــن الرقى تؤهلهم لحكم أنفسهم.

ما من شك فى ان الحرب مع أسبانيا تعد فاتحة لحصـــر التوسع الأمريكى " فساموا وهاواى ويورتوريكو والفلبين فتحت أذهان الأمريكيين للتغيرات الخطيرة التى حدثت " ودعت إلـــى انقسام الرأى العام الأمريكى إزاء تلك الحركة إلى فريقين.

يعتمد فريق من الأمريكيين على الحقائق العملية التـــى لا مفر منها ، ويقول بأن هناك رسالة وحضارة تحملها الولايـــات المتحدة وهناك واجبات مهمة يجـــب تأديتـــها للإنســـانية، وأن الولايات المتحدة لن تستطيع أن تكون دولة أمريكية فحســب إذا أرادت أن تعيش دولة كبرى محترمة معززة الجانب.

وهناك بعد ذلك أشياء لا يستطيع أحد إنكارها أو التقليـل من شأنها، فتقدمها الصناعى الهائل وازديـــاد رؤوس الأمـــوال فيها ونموها الاقتصادى لابد من أن يدعو ذلك إلى البحث عـــن أسواق جديدة وأرض بكر تستثمر فيها هـــذه الأمـــوال. وهـــذه الأراضى التى استولت عليها الولايات المتحدة هى أسهل منـــالا من غيرها وأربح استثمارا وأضمن لمصالح الأمريكيين وهنـــاك مسألة أخرى لا يجب إغفالها ، وهى أنه لا يمكـــن للولايـــات المتحدة ان تغادر أماكن قد احتلتها وبسطت عليها سلطانها.

ووجد فريق آخر قاوم حركة التوسع بحماس شديد وقـــاوم بشدة فكرة الامبريالزم فالسيطرة والامبريـــاليزم فـــى رأى هـــذا الفريق يتعارض مع المبادئ الرئيسية للولايات المتحدة وفى الحكم والحرية والسياسة فكل حكومة فى نظر الأمريكيون يســـتحب ان تكون شعبية ديمقراطية تعمل لصالح الشعب قبل كل شـــئ وهـــذا يتعارض مع فرض حكم أجنبى على شعب مغلوب على أمره.

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن جمهوريات أمريكـــا اللاتينية لا تنظر بعين الارتياح إلى زيادة نفوذ الولايات المتحدة فى أرض أمريكية. بل أن هذا الأمر يزيد مـــن قلقـــها علـــى مستقبلها السياسى والاقتصـــادى إزاء مشـــروعات الولايـــات المتحدة التوسعية لا سيما وقد أصبح لعـــدد مـــن أفـــراد تلـــك الولايات مصالح حيوية فى جمهوريات جنوب أمريكا. والأفراد يتطلعون بطبيعة الحال إلى حكومتـــهم لحمايـــة مصالحـــهم إذا عبثت بهذه المصالح الحكومات المحلية، وكان علـــى حكومـــة الولايات المتحدة أن ترقب تطور الأحوال الداخلية فى كثير من الجمهوريات اللاتينية لأن الحياة السياسية فيها غـــير مســـتقرة بعض الشيء. وكان على حكومة واشنطن التدخل فعـــلا فـــى بعض الأحيان لمنع الفوضى الداخلية وحماية مصالح مواطنيـــها من أن تعبث بها يد العابثين وحدث فى كثير من جمـــهوريات أمريكا الجنوبية والوسطى أن ازدادت المصـــالح الاقتصاديـــة

للولايات المتحدة وخاصة فى المشاريع الكبرى مثل المناجم والسكك الحديدية والموانئ ومنابع زيت البترول، وقدمت القروض الكثيرة للحكومات بدرجة أذلت أعناق هذه البلاد.

ثم بعد ذلك أصرت الولايات المتحدة على اتخاذ سياسة توسعية، هل يمكن ان تقنع دول أوروبا بأنها منزهة من الأطماع الاستعمارية وبأنها تعمل ما فى وسعها لمساعدة الشعوب على نيل حريتها واستقلالها؟ لقد فهمت دول أوروبا أن المصالح الفردية لها أثر كبير فى توجيه السياسة الخارجية الأمريكية، وزيادة على ذلك فسياسة الامبريالزم أو التوسع السياسى أو الاقتصادى تستدعى بجانب ذلك زيادة النفقات على الخزينة ويستدعى هذا زيادة الضرائب.

هذه حجج الفريق الذى يعارض سياسة الامبريالزم، ولقد غضب زنوج أمريكا حين علموا بتدخل حكومة الولايات المتحدة فى جمهوريتى هايتى والديمنجو، لأن معظم سكان هاتين الجمهوريتين من السود، ثم ماذا تستفيد الولايات المتحدة من الاستعمار ؟ فيتساءل شرز أحد المعارضين السياسة الامبريالزم، " وماذا يمكن أن تجنبه الولايات المتحدة من الاستعمار أو الامبريالزم، وماذا بقى من حكومة الشعب للشعب بواسطة الشعب، وماذا بقى من رسالة الولايات المتحدة لخدمة

المبادئ الإنسانية والنظم الديمقراطية، وماذا بقى من ديمقراطية الولايات المتحدة؟ إنما هى القصة القديمة هى المغالاة فى إرضاء غريزة التملك، ثم الانغماس فى الترف، ثم الانحدار إلى التهتك والفجور والرذيلة، ولكن فى حالة الولايات المتحدة سيكون النجاح ظاهرا وقويا والصعود سريعا، والفشل شديد والانحدار قاتلا ".

ومع ذلك فإن الولايات المتحدة آنذاك لم تغالى فى سياسة التوسع والفتح إذا ما قورنت بغيرها من الإمبراطوريات الأخرى المعاصرة.

الفصل التاسع

مبدأ منرو بين النظرية والتطبيق

أصدرت الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٢٣ مبدأ منرو وكانت تعلم بأن هذا المبدأ سيعرضها لصراع ونزاع مع الدول الأوروبية الكبرى التى لها مستعمرات فى القارة الأمريكية.

ومن المسائل الهامة التى وضعت الحكومة الأمريكية أمام امتحان عسير هى المسألة الفنزويلية، هذه المسألة التى أثارت نزاعاً مع الحكومة الإنجليزية كاد أن يؤدى إلى حرب بين الدولتين، لولا التجاء كل منهما إلى الحكمة والتريث فى آخر وقت.

نشأ هذا النزاع بين فنزويلا وبين الحكومة الإنجليزية حول حدود فنزويلا مع الممتلكات البريطانية فى أمريكا الجنوبية، وقد لجأت الحكومة الإنجليزية إلى التحكيم لحسم هذا النزاع، ولكن فنزويلا رفضت التحكيم وأصرت على موقفها من موضوع الحدود.

وعندما اشتد النزاع بين الدولتين وجدت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ضرورة التدخل بين الطرفين، لوضع حد لهذا الصراع، حتى لا يؤدى إلى حرب بين

الدولتين تجد الولايات المتحدة الأمريكية نفسها مضطرة للتدخل فى ظروف صعبة لتطبيق مبدأ منرو، ولكن الحكومة الإنجليزية لم ترحب بهذا التدخل بأى صورة من الصور، أدى إلى رفض الحكومة الإنجليزية مبدأ التحكيم التى عرضته هى بالأمس، لا لشىء إلا لأن هذا التحكيم أتى فى هذه المرة من جانب الحكومة الأمريكية.

وأدى إلى تعقيد الموقف بين الدولتين اكتشاف الذهب فى المنطقة المتنازع عليها، وذلك فى عام ١٨٩٤، مما ترتب عليه وجوب تدخل الحكومة الأمريكية لفض النزاع بما يحقق مصلحة الطرفين دون السماح للمصالح البريطانية بالتفوق على مصلحة فنزويلا.

وبالرغم من أن الولايات المتحدة لم تستطيع أن تقول أن فنزويلا على حق، إلا أنها رأت ألا تتهرب من المسئولية فى هذه المسألة بالذات فهى لا تستطيع أن تقبل تعديلاً جديداً فى الحدود السياسية فى أمريكا الجنوبية لم تشترك هى فيه دون أن تجد فى ذلك خطراً كبيراً على مصالحها وزعزعة لمركزها فى ذلك الجزء من العالم.

وكان على ألنى Olney وزير الخارجيــــة الأمريكيــــة أن يواجه موقفاً من أشد المواقف خطورة، فلقد أرسل إلى إنجلـــــترا فى صيف سنة ١٨٩٥ يستفسر عما إذا كانت الحكومة البريطانية مستعدة لقبول فكرة التحكيم فى المسألة الفنزويلية، فأجاب لـــورد سولبرى رئيس الوزراء ووزير الخارجية البريطانية فى نوفمـــبر بالرفض، وبأنه لا صلة مطلقاً بين مسألة فنزويلا ومبدأ مــــنرو، وأنه بذلك لا يوجد حق يخول الولايات المتحدة بأن تتدخل فــــى مسألة لا تمس مصالحها هى وأن الحكومة الإنجليزية لا يمكـــــن أن تفكر فى التحكيم بعد ان طلبته الولايات المتحدة. وقامت بذلك مشكلة معقدة هى : هل يحق للولايات المتحدة أن تطبــــق مبــدأ منرو فى مسألة تختص بتحديد حدود مستعمرة تحكمها إنجلــــترا قبل ظهور ذلك المبدأ وقبل القول به ؟

ولقد جاءت رسالة الرئيـــس كليفلنــد مفســرة لموقــف الولايات المتحدة ومبينه أن نظرية منرو ممكن تطبيقـــها علـــى هذه المسألة بالذات، فبعد أن أعلن الرئيس أسفه لرفض إنجلـترا قبول التحكيم فى هذه المسألة ذكر أن الولايات المتحدة عزمـــت عزماً لا رجوع فيه على أن تقبل الموقف مهما كلفـــها الأمــر، وأن تقوم بواجبها تبعاً لذلك.

ورأى كليفلند أنه من الضرورى أن تبحث الولايات المتحدة بنفسها مسألة الحدود بعد أن رفض التحكيم، وطلب من الكونجرس الأمريكى تكوين لجنة لذلك الغرض وأصر على أن تكون الولايات المتحدة مسئولة عن أعمال هذه اللجنة، وكان فى هذا الطلب إنذار ضمنى لإنجلترا بالحرب إذا رفضت أن تستمع إلى ما تعرضه الولايات المتحدة فقد أعلن كليفلند أنه من واجب الولايات المتحدة أن تدفع بكل وسيلة تملكها أى اعتداء على حقوقها ومصالحها وأنه إذا وضعت إنجلترا يدها على أراض تجد الولايات المتحدة بعد الفحص أنها من حق فنزويلا " فأن الولايات المتحدة ستقوم بتطبيق نظرية منرو وأداء واجبها دون تردد" . ولقد أضاف كلفلند إلى هذا قوله " وإنى أعلم بهذا القرار مقدار مسئولية الولايات المتحدة ونتائج مثل ذلك العمل".

كانت رسالة الرئيس كليفلند التى وجهها الكونجرس الأمريكى تنذر بالحرب، وقد وضعت الولايات المتحدة إنجلترا أمام أمر واقع، وأصبح تراجع الولايات المتحدة صعباً جداً.

ولقد وجد فريق من الرأى العام الأمريكى هذه الرسالة شديدة اللهجة ونصح الرئيس بالاعتدال والتريث.

وكان هناك فريق آخر لا يرى أن مبدأ منرو ينطبق تماماً على مسألة فنزويلا، وبذا فهو يرى وجهة النظر الإنجليزية.

ولكن بجانب هذين الفريقين وجد فريق يؤيد الرئيس كليفلند، وينصح بالالتجاء إلى سياسة القوة إذا لزم الأمر وعلى رأس هذا الفريق هاريسون Harrison الرئيس السابق للجمهورية الأمريكية.

وأما الدوائر المالية فكانت تحبذ سياسة السلام ولا تعنيها فى كثير أو قليل مسألة فنزويلا. وكذا كان ممثل الولايات المتحدة السياسى فى إنجلترا فلبس Phelps الذى لم يخف اختلافه مع كليفلند فى وجهة النظر بل ذهب إلى حد أنه أعلن فى خطبة له سخطه على سياسة رئيسه كلها. ونعتت بعض الصحف الأمريكية سياسة كليفلند كدعاية مكشوفة لكى يعاد انتخابه لرياسة الجمهورية مرة ثالثة، ولكن هذه الانتقادات و الاختلافات فى الرأى لم تضعف من مركز الرئيس كليفلند كثيراً، ولم تجعله يفتر أو يتردد فى تنفيذ سياسته.

ولقد تحرجت الحال كثيراً، ولكن جاء الموقف الأوربى لنقد الموقف الأمريكى، أنقذ الوقف فى ذلك الوقت توتر العلاقات الإنجليزية الألمانية بالنسبة لجنوب أفريقية.

فموقف ألمانيا الودى وعطفها الظاهر على آمال البورز فى جنوب أفريقية وتهنئة فلهلم الثانى القيصر الألمانى لكروجر Kruger زعيم البورز، ثم انتقاد فرنسا لسياسة إنجلترا

الاستعمارية وتهكم روسيا القيصرية على ادعاءات بريطانيا العظمى وما مارسته من خطط لإخضاع جنوب أفريقية جميعه لحكمها. كل هذا أبان لإنجلترا أن ليس لها أصدقاء حقيقيون كما كشف عن دقة الموقف وخطره فى أوروبا وجنوب أفريقية.

هذا استدعى أن توجه بريطانيا العظمى معظم انتباهها عن المسائل الأمريكية التى أصبحت الآن ثانوية القيمة إذ لا تستطيع أن تحارب فى جبهتين فى وقت واحد، ولا تستطيع أن تخاصم دولة كبرى فى شرقى المحيط الأطلنطى، وتعادى عداء صريح دولة أخرى فى غربية، فى الوقت الذى هى فيه منهكة بمشاكل خطيرة وخطرة فى جنوب أفريقية قد تستنفد كل نشاطها.

وخاصة وأن ألمانيا لم تكن الدولة الوحيدة الكبرى التى تعطف على آمال البورز فى الاستقلال، فلقد كانت فرنسا وروسيا مرتاحتين تماماً إلى المتاعب الخطيرة التى تلقاها بريطانيا فى حياتها السياسية الخارجية.

ليس غريباً إذا أن يتريث لورد سولسبرى رئيس الحكومة الإنجليزية فى وضع خططه الجديدة وأن يتجنب سياسة التحدى، وأن يعتدل فى مطالبه، وأن يعترف فى خطبة له فى البرلمان الإنجليزى فى سنة ١٨٩٦ بمصالح الولايات المتحدة المهمة فى البحر الكاريبى، ولكنه لم يشأ أن يعترف

بانطباق مبدأ منرو على مسألة فنزويلا وفى الوقت نفسه قـــرر أنه بالمفاوضة والتحكيم يمكن إقرار هذه المسألة إقراراً يرضـــى الطرفين المتخاصمين.

ومن الوقت الذى قبل فيه سولسبرى فكرة التحكيم لم تعد مسألة فنزويلا تهدد العلاقات السلمية بين الولايـــات المتحـــدة وبريطانيا العظمى.

وبذا كان الموقف الذى أتخذه الرئيس كليفلند ناجحاً تماماً، وإن كان الموقف الأوربى الأفريقى قد أدى خدمة جليلة للولايات المتحدة، فلقد نالت هذه الدولة الجديدة نصراً كبيراً فى السياســـة العالمية فقوى مركزها واحترمت كلمتها، ولقد حدد ألنـــى Olney وزير الخارجية الأمريكية مبدأ منرو من جديد، وذلك خلال هـــذه الأزمة سنة ١٨٩٥ فقال " أن للولايات المتحـــدة الســـلطان فـــى أمريكا وان كلمتها قانون فى المسائل التى تتدخل فيها ".

التدخل الألمانى فى فنزويلا:

على أن مسألة فنزويلا لم تنته عند هذا الحد ففى عـــهد الرئيس تيودور رووزفلت ثارت مسألتها من جديد بشكل لا يقل خطورة عن ذى قبل، وأهميتها هذه المرة متصلـــة بالعلاقـــات الأمريكية الألمانية، وكما رفعت مسألة فـــنزويلا مـــن مركـــز

الرئيس كليفلند رقعت من مركز الرئيس الجديد روزفلت ومركز وزير خارجيته جون هاى.

ولم يكن جون هاى من المؤيدين لألمانيا أو المعجبين بقيصرها فلهلم الثانى وكان لموقف هذا الرجل و ميوله أثر كبير فى العلاقات الألمانية الأمريكية، فمن الوقت الذى قررت فيه الولايات المتحدة وصل المحيطين الهادى والأطلنطى بقناة، حاولت الدولة الألمانية الحديثة أن تستولى على بقعة من الأرض قريبة من هذه القناة، مشرفة عليها. ولذا قامت بعض السفن الحربية الألمانية باحثة عن مكان يصلح كقاعدة حربية على شواطئ فنزويلا. وكان القيصر الألمانى مهتما اهتماما كبيراً بهذا الموضوع فقد فاوض حكومة المكسيك بشأن تنازلها عن ميناء فى كليفورنيا الجنوبية ، وبأت محاولاته بالفشل.

ولكن فى سنة ١٩٠٢ سنحت الفرصة لتحقيق رغباته وذلك حين غالت فنزويلا فى اقتراض ديون من بعض الدول الأوربية الكبرى لا تستطيع سدادها، ورأت الدولة الألمانية أن تضم إنجلترا إلى جانبها فى القيام بمظاهرة بحرية وحصار فنزويلا وأرغامها على احترام تعهداتها.

نظرت الولايات المتحدة الأمريكية إلى المحاولة الألمانية نظرة عدم ارتياح، ولم يكن يروقها كذلك أن تقترض دولة

أمريكية صغيرة قرضاً لا تستطيع احتمالها، فحاول جون هـــاى بكل ما استطاع من قوة تخفيف الحصار والمحافظة على حقوق المحايدين، وطالب بضرورة قبول الدولتين المتنازعتين لمبــــدأ التحكم ولكن الأمور تحرجت بالنسبة لفنزويلا إلـــى درجـــة أن اضطرت ألمانيا وإنجلترا بعد سنة إلى قطع علاقاتـــهما نـــهائياً بفنزويلا، فأصبحت الحرب فى المياه الأمريكية وشيكه الوقوع.

التوتر بين الولايات المتحدة وألمانيا:

ولما كان الموقف قد أصبح بدرجة من الخطر تســـتلزم عملاً قوياً جديداً فقد عقدت الولايات المتحدة العزم على الســـير فى طريقها المرسومة الذى حدده لها مبدأ منرو والإصرار على تنفيذ التحكيم بقوة السلاح لو تطلب الأمر ذلك.

فلما رفضت ألمانيا فى أول الأمر مبــــدأ التحكيـــم فـــى النزاع القائم أمر روزفلت أمير البحر الأمريكى ديـوى Dewey بأن يستعد بأسطوله وأن يقوم بمناورات بحرية حربية قريباً من جزيرة بورتريكو.

وفى الوقت نفسه أخبر رئيـــس الجمهوريـــة الأمريكيـــة السفير الألمانى فى واشنطن بأنه لا مناص لألمانيا من ان تقبــل مبدأ التحكيم، فالولايات المتحدة لن تسمح باستيلاء الألمان علـــى أى جزء من أجزاء فنزويلا.

وعندما أكد ممثل ألمانيا بأن الألمان لا ينون أبداً احتلالا دائماً لهذه البلاد أجاب روزفلت بأنه " لا يريد كياوشاو وألمانية قريباً من مضيق بنما " بل ذهب إلى أبعد من ذلك فطلب من الممثل الألماني بأن يخبر حكومته بأنه إذا لم ينسحب الأسطول الألماني من المياة الفنزويلية في خلال بضعة أيام، فإن الأسطول الأمريكي سيحمي السواحل الفنزويلية وأبان له أيضا أن ألمانيا لن تستطيع تحدى قوة الولايات المتحدة دون أن تقوم حرب بين الدولتين.

ولما وجدت ألمانيا أن الولايات المتحدة مصممة على تنفيذ إنذارها بالقوة إذا لزم الأمر ، فلم تتردد في قبول التحكيم وقبل القيصر الألماني روزفلت كحكم، ولكن روزفلت رفض قبول هذه الوظيفة وعرضت على محكمة لاهاى ففصلت فيها.

كانت مشكلة فنزويلا من المسائل السياسية السرية التي ظلت في طي الكتمان، ولم يعرق عنها شئ في ذلك الحين، وأن كانت المشكلة قد انتهت كمسألة تهدد العلاقات بين ألمانيا والولايات المتحدة وتنذر بالحرب إلا أنها قد ثارت بصورة أخرى في سنة ١٩٠٣ عندما تقدمت ألمانيا باقتراح إنشاء لجنة دولية للإشراف على مالية فنزويلا

وقد قابل الرئيس روزفلت هذا الاقتراح بحزم وتصميم وأعلن عن رأى الولايات المتحدة فى عدم رغبتها فى ان تجعل من فنزويلا مصرا جديدة، وطبقا لمبدأ منرو الذى أصبح دعامة سياسة أمريكا الخارجية لا يمكن للولايات المتحدة أن تقبل بأى حال من الأحوال سيطرة أية دولة أوربية على أية بقعة فى أمريكا.

كان تيودور روزفلت يفهم جيدا ما يجب أن تكون عليه السياسة الأمريكية الخارجية، ولذا فقد عمل على تقوية مركز الولايات المتحدة بشق قناة بنما وزيادة قوتها البحرية، وإفهام العالم بأن الولايات المتحدة لن تتنازل عن حقوقها ولن تحيد عن سياستها التقليدية.

ساقط من أصل المصدر

الفصل العاشر

الولايات المتحدة والجامعة الأمريكية

يرجع التفكير فى إنشاء جامعة الدول الأمريكية إلى نهاية الربع الأول من القرن التاسع عشر، وذلك فى أعقاب صدور مبدأ منرو، والحقيقة أن الجامعة الأمريكية من وجهة نظر الحكومة الأمريكية هى التطبيق العلمى لمبدأ منرو أى مبدأ أمريكا للأمريكيين.

فإذا كان مبدأ منرو قد قام لحماية الولايات المتحدة الأمريكية فى المقام الأول، وحماية الأمريكتيين فى المقام الثانى، فإن هذه الحماية تتطلب – بطبيعة الحال- إيجاد رابطة بين دول أمريكا تحت زعامة الولايات المتحدة الأمريكية لحماية العالم الجديد من تدخل العالم القديم.

نشأت فكرة الجامعة فى عام ١٨٢٥، ولكن المشكلات السياسية الخارجية التى واجهت الحكومة الأمريكية فى أعقاب صدور مبدأ منرو، قد حالت بينها وبين إخراج مشروع الجامعة إلى حيز التنفيذ فى ذلك الوقت.

وعندما بدأت الحكومة الأمريكية فى تنفيذ هذا المشروع نشبت الحرب الأهلية الأمريكية التى حجبت ماعداها من المشكلات، واستنفدت جهود الحكومة الأمريكية، بحيث لم يصبح لديها متسع من الوقت للتفكير فى مشروع الجامعة. وحتى بعد انتهار الحرب شغل الأمريكيون بإعادة بناء ما خربته المعارك الطاحنة على الأرض الأمريكية.

وفى حقيقة الأمر فإن عودة التفكير فى إنشاء الجامعة الأمريكية ترجع إلى جارفيلد رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ووزير خارجيته بلين، فكلا الرجلين كان يؤمن إيماناً صادقاً بأهمية وجود الجامعة، وبخطورة الدور الذى ستقوم به الحكومة الأمريكية.

وتولى بلين للشئون الخارجية كان معناه تطوراً جديداً فى مبدأ منرو ن فلين أحد الساسة الأمريكيين العظام الذين يمتازون بسمعه الخيال وبعد الأفق، وكان يؤمن إيماناً عميقاً بمستقبل بلاده وقوتها، وكان يرى أن مركز الولايات المتحدة الممتاز فى العالم الأمريكى ومالها من قوة عسكرية وثروة طائلة، ومالها من تفوق فى ميادين السياسة والاقتصاد والحضارة تفرض عليها واجبا حيال أمريكا كلها، وكان بلين

الرجل الذى يصلح لتنفيذ مثل ذلك المشروع الخطير لاسيما وان الرئيس جارفيلد قد تشبع بآرائه وأولاه ثقته.

وفى ذلك الوقت بدأت الظروف فى أمريكا اللاتينية تتهيأ لقبول فكرة الجامعة الأمريكية لا سيما عندما بدأت سلسلة من الخلافات تنشأ بيد دول القارة الجنوبية وتتطلب حلا. حينئذ بدأ مشروع بلين يبدو عمليا وقابلا للتنفيذ، فالحرب بين بوليفيا وبيرو وشيلى من أجل بعض المناطق التى اشتهرت بثروتها المعدنية أعطت الولايات المتحدة فرصة للتدخل بينها ثم أن عطف إنجلترا على مطالب شيلى كان من العوامل التى دعت وزير الخارجية الأمريكية للتفكير جديا فى مشروعه والعمل المتواصل على تنفيذه فما كان بلين يحبذ أى مشروع يجعل لإنجلترا نفوذا ظاهرا فى أمريكا الجنوبية أو يعطيها مركزا اقتصاديا ممتازا، فقد كانت جهوده كلها مواجهة إلى محاربة النفوذ الإنجليزى فى هذه القارة.

وكان نشاط بلين يتركز حول إحياء فكرة المؤتمرات الأمريكية التى بدأت بمؤتمر بنما سنة ١٨٢٥، وكان يهدف من وراء ذلك إلى خلق وحدة حضارية واقتصادية من دول الأمريكتين. ولذا لعب ممثلو الولايات المتحدة السياسيون دورا كبيرا فى النزاع الذى قام بين دول أمريكا الجنوبية وإن كان بلين نفسه يعطف على مطالب بيرو على أن آمال بلين لم يقدر

لها النجاح هذه المرة، فلقد مات جارفيلد، ولم يكن لخلفة نفس الحماس لفكرة الجامعة الأمريكية، ولذا فبعد أن أرسلت الدعوات فى سنة ١٨٨١ إلى دول أمريكا الجنوبية والوسطى، وكان المؤتمر قاب قوسين أو أدنى من الانعقاد لم يتم مشروع بلين، واضطر بلين نفسه إلى مغادرة وزارة الخارجية فى أوائل ديسمبر سنة ١٨٨١ حزينا آسفا على عدم تحقيق مشروعه.

جاء محله فرلنجهويزن Frelinghuysen الذى لم يكن له اتساع خيال بلين ولا كفايته ولا اهتمامه بالمشروع فسحبت الدعوات التى أرسلت لعقد المؤتمر الأمريكى، الأمر الذى دعا إلى الانتقاص من نفوذ الولايات المتحدة فى أمريكا الجنوبية.

مؤتمر واشنطن سنة ١٨٨٩:

ولكن المشروع لم يندثر، وإنما هدأ مؤقتا ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى عاد بلين إلى وزارة الخارجية مرة ثانية، فحاز المشروع نجاحا مذكورا واستطاع بلين أن يدعو باسم الرئيس كليفلند كل دول أمريكا إلى مؤتمر ينعقد فى واشنطن سنة ١٨٨٩ للمناقشة فى المسائل التى تهم كل الدول الأمريكية وقدر لبلين أن يستقبل بنفسه الممثلين الأمريكيين ونجح ذلك المؤتمر فى مهمته نجاحا يبشر بأمل كبير فى المستقبل.

ولذا ظلت جلسات المؤتمر منعقدة إلى ابريل سنة ١٨٩٠، ولو أن الدول الأمريكية كانت قد قررت ألا تتنازل عن شئ من حقها فى حرية التصرف، وألا تتقيد بشىء يحد من استقلالها أو ينتقص منه، فى ذلك المؤتمر ظهرت روح جديدة، فلقد تناقش الجميع فى شئون أمريكا على قدم المساواة مما كان له أثره الكبير، فقد استطاع بلين أن يعلن فى نهاية المؤتمر بأنه إذا كان لذلك المؤتمر أن يحتفل بعمل، فنحن نوجه نظر العالم إلى أن القارتين العظمتين قد وطنتا العزم على المحافظة على السلام وتنميته الرفاهية فيهما، نحن نعتبر أن هذه الوثيقة العظمى التى تعمل على استبعاد الحرب وإحلال التحكيم محلها بين الدول الأمريكية كأول وأعظم ثمرة للمؤتمر الدولى الأمريكى.

على أن آمال بلين وآمال محبى السلام لم تحقق تماما فسرعان ما قامت الحرب بين الدول اللاتينية فى أمريكا الجنوبية والوسطى، فلقد قامت الثورة فى سلفادور ولم تعترف جواتيمالا بالحكومة الجديدة واعتدت على بعض حقوق الولايات المتحدة نفسها، ولم تلجأ هذه الدول جميعا إلى التحكيم كما كان منتظرا، ولذا لم يتم ما كان يرجوه المؤتمر، فالقوانين والمشاريع الدولية لا تنفذ إلا إذا كانت هناك قوة تسندها. ولقد عرضت الولايات المتحدة على المتخاصمين أن يقبلا توسطها ولكنهما رفضا ذلك الطلب.

مؤتمر المكسيك سنة ١٩٠٤ :

إذا كانت الحرب فى أمريكا الجنوبية قد قامت مباشرة عقب انفضاض المؤتمر ، فهى قد انتهت كأى حرب ولكن مبدأ التحكيم الذى قرره المؤتمر قد ظل باقيا، فلقد اعترفت كل الدول الأمريكية بضرورة عقد مؤتمرات دولية أمريكية من حين لآخر، ولذا تقرر عقد مؤتمر آخر فى مدينة المكسيك فى أكتوبر سنة ١٩٠٤ حيث قرر أن تجبر الدول الأمريكية على الالتجاء إلى التحكيم إذا قامت بينهما منازعات مالية، وأسس مكتب دولى لجمهوريات أمريكا رئيسه وزير خارجية الولايات المتحدة ، فأصبح نظاما قائما باقيا.

وعقد مؤتمر ثالث فى ريو دى جانيرو فى سنة ١٩٠٦ ورابع فى بوينس أيريس فى سنة ١٩١٠، وفيه تقرر إنشاء اتحاد للجامعة الأمريكية، أما المؤتمر الخامس فلقد عقد بعد الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩٢٣، وفيه قررت الدول المجتمعة أنه إذا أصبحت الحرب ضرورة فيجب التريث وتأجيلها حتى تبحث أسبابها لجنة دولية أمريكية.

على أن نشاط الدول الأمريكية لم يقتصر على المؤتمرات السياسية فحسب، وإنما شمل أنواعا أخرى من المؤتمرات لا تقل خطورة عن الأولى ، وقد عقدت لأغراض علمية أو اقتصادية،

أو لتوثيق عرى الصداقة بين دول أمريكا اللاتينية ، ومهما يكن من شئ فلا نستطيع أن نقلل من قيمة تلك المؤتمرات فى فض المنازعات بين الدول الأعضاء فى أحيان كثيرة.

وقد عاصرت فكرة الجامعة الأمريكية فكرة الجامعة الصقلية وفكرة الجامعة الاسلامية، وان اختلفت كل منها عن الأخرى من حيث الهدف والغاية والظروف التى أدت إلى نشأتها. ولكن ما يميز الجامعة الأمريكية على غيرها أنها لم تقم على أساس جنسى أو على أساس دينى أو مذهبى وإنما الناحية الجغرافية الإقليمية واضحة فيها تمام الوضوح. فقيامها أذن كان على أساس جغرافى فى المقام الأول. كما أنها تمتاز أيضا عن الجامعات الأخرى فى دقه تنظيمها. وقد تطورت فكرة الجامعة الأمريكية تبعا لتطور مبدأ منرو، وما بذله بلين من جهود.

كان الدافع الأساسى لنشأة فكرة الجامعة الأمريكية هو رغبة الولايات المتحدة فى أن تظل الأمريكتين بمنأى عن الخطر الأجنبى الذى يتهدد دولها، ولما كانت تلك الدول عاجزة عن حماية نفسها بنفسها ضد أى عدوان خارجى، فقد رحبت بالفكرة. وبعد شق قناة بنما أصبحت الولايات المتحدة تهتم بأمن وسلامة دويلات أمريكا الوسطى بصفة خاصة، لما فى ذلك من حماية مصالحها فى القناة، ولهذا فقد عولت الولايات المتحدة

على منع أى تدخل خارجى فى شئون تلك الدويلات، ولـــو أدى ذلك استخدام القوة بل وتدخلت الولايات المتحـــدة نفســـها فـــى بعض الأحيان للمحافظة على الاستقرار السياسى والمالى فـــى هذه الدويلات حتى تضمن المحافظة على مصالحها ونفوذها.

على أن فكرة الجامعة الأمريكيـــة والمؤتمـــرات التـــى نجمت عنها، وان كانت قد جعلت للولايات المتحدة نفوذا كبـــيرا فى أمريكا لا يعد له نفوذ أى دولة أخرى، إلا ان فريقا من دول أمريكا اللاتينية الكبيرة كان ينظر إلى نشاط الولايات المتحـــدة بعين الحذر والارتياب، ويخشى أن يكون ذلـــك بدايـــة تدخـــل سياسى أو اقتصادى فى شئونه أو عبث باستقلاله. أخـــذت دول أمريكا كما يقول سمنرولز Sumner Wells تشك فـــى نيـــات الولايات المتحدة لما وجدتها تقوم بحروب توسع فـــى أمريكـــا ذاتها وخاصة ضد المكسيك.

وهناك مسألة يجب أن تلاحظ وهـــى أن اشـــتراك دول القارتين الأمريكتين فى الجامعة الأمريكية لا يعنى ارتباط هـــذه الدول أو التزامها بتطبيق سياسة موحدة من ناحية نظام الحكـــم. كما انه لا يعنى أيضا اتخاذ سياسة خارجية موحدة فى علاقـــات تلك الدول بدول العالم الأخرى. ولكـــن ممـــا لاشـــك فيـــه أن الولايات المتحدة الأمريكية بحكم تفوقها السياسى والاقتصـــادى

الحربى كان لها نوع من التوجيه للسياسة الخارجية لبعض تلك الدول، بحيث وجدت أن تدخلها فى بعض الأوقات ضرورى للحيلولة دون تدخل دول أخرى غير أمريكية. هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن تلك الدول برغم حريتها فى علاقاتها الخارجية مع دول العالم – يجب أن تراعى حقيقة هامة وهى ألا تنشئ مع الدول الأسيوية والأوربية علاقات من شانها تهديد أمن وسلام الولايات المتحدة أو الدول الأمريكية الأخرى، فحريتها فى مباشرة علاقاتها الخارجية ليست مطلقة وإنما مقيدة باعتبارات تتعلق بأمن الأمريكيتين من وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية.

وليس معنى هذا أن الولايات المتحدة كانت تجبر تلك الدول على اتخاذ سياسة لا ترضاها، مثال ذلك ما حدث بعد الحرب العالمية الأولى من انضمام بعض دول أمريكا الجنوبية إلى عصبة الأمم رغم تخلف الولايات المتحدة عن الاشتراك فيها، ولقد شعر الرئيس ولسن أبان الحرب الكبرى الأولى بما يخامر هذه الدول من شكوك، وحاول أن يزيل ذلك الشعور.

وفى سنة ١٩٣٦ حين اجتمع مؤتمر الجامعة الأمريكية فى مدينة بوينس أيرس لبحث موضوع المحافظة على السلام فى العالم الأمريكى، ساد الشعور بالتساوى بين الأعضاء،

فتنافس مندوبو الدول الأمريكية كأصدقاء متساويين متعاونين متساندين فى البحث عن وسائل التعاون إذا ما هدد السلام الأمريكى من الداخل أو من الخارج وأخذت هذه الدول المجتمعة على نفسها عهدا بألا تتدخل دولة فى شئون الدولة الأخرى - داخلية كانت هذه الشئون أم - خارجية واتفقت كذلك على احترام ما عقدته من معاهدات، وعلى التعاون الثقافى بتبادل الأساتذة والطلبة وإزالة العوائق الاقتصادية التى تضر بمصلحة السلام.

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية أسهمت بعض الدول الأمريكية بنصيب فيها إلى جانب الولايات المتحدة إيمانا منها بوحدة الهدف وبالقضية الأمريكية، وقد تخلف البعض الآخر عن الاشتراك تمسكا بحريته فى العمل. وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن الجامعة الأمريكية لم تصل بعد إلى درجة الوحدة والإيمان العميق بالمصير الواحد فى ذلك الحين.

مصادر الدراسة

أولا: مصادر باللغة العربية:

- أحمد فضل بن على محسن العبدلى : هدية الزمن فى أخبار ملوك لحج وعدن، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥١هـ.
- حسن صبحى (دكتور) : التنافس الاستعمارى الأوروبى فى المغرب ١٨٤٤ – ١٩٠٤ ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٥.
- حسن صبحى (دكتور) : معالم التاريخ الأمريكى ١٤٩٢ – ١٩١٧، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٨.
- حمزة على إبراهيم لقمان: تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية.
- السيد مصطفى سالم (دكتور) : الفتح العثمانى الأول لليمن ١٥٣٨ – ١٦٣٥، معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة، ١٩٦٩.
- صلاح الدين البكرى اليافعى: فى جنوب الجزيرة العربية مطبعة الحلبى بالقاهرة ، ١٩٤٩.
- صلاح العقاد (دكتور) : التيارات السياسية فى الخليج العربى ، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، ١٩٦٥.

- عبدالحميد البطريق (دكتور) : من تاريخ اليمــن الحديــث، ١٥١٧ – ١٨٤٠، معـــهد البحـــوث والدراســات العربيـــة بالقاهرة ١٩٦٩.
- فاروق عثمان أباظه (دكتور): عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩ – ١٩١٨ ، الهيئة المصرية العامـــة للكتاب بالقاهرة، ١٩٧٦.
- فاروق عثمان أباظه (دكتور) : الحكم العثمانى فى اليمــن، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ١٩٧٥.
- محمد صبرى (دكتور) مصر فى أفريقيه الشـــرقيه، هــرر وزيلع وبربرة، ١٩٣٩.
- محمد محمود السروجى (دكتور): سياسة الولايات المتحـــدة الخارجية منذ الاستقلال إلى منتصـــف القــرن العشــرين، الإسكندرية، ١٩٦٥.
- محمد مصطفى صفوت (دكتور) : الجمهوريـــه الحديثـــة ، منشأة المعارف، بالإسكندرية، الطبعة الأولى ١٩٥٨.

ثانيا: مصادر باللغات الأجنبية:

أ- الوثائق:

١ - وثائق لم يسبق نشرها:

أولا: سجلات وزارة الخارجية البريطانيـــة المحفوظـــة بدار المحفوظات العامة بلندن:

Great Britain,Public Record Office :

- F.O.I / I.., Valencia To Canning, 9/13/08
- F.O. I/I .., Salt To F.O. 3 / 4 II. Report on his expedition.
- F.O., 78 / 3 / 8, From Palmerston To Campbell, March I.,1837.
- F.O. 37 / 3 / 85, Haines ro Secret Committee, 9 / 14/ 40.
- F.O., 78 / 502, Barnett To F.O , 3/20/42.

ثانيا: سجلات وزارة الهند البريطانية بلندن:

India Office Library and Records:

- I..O., Egypt V.7, Bruce (Mocha) To Salt , 10 / 6 / 20.
- I..O., Egypt V.7,Elphinstone To Salt, 6/8/20
- I..O., Egypt V.7, Bruce To Salt, 1/20/21.
- I.O., Bombay Secret Proceedings, Haines To Bombay Government, April 13, 1854.
- I.O., Secret Department, Bombay, To Secret Committee vol. 6, Febreuary 25, 1839.
- I.O., B.S.C., 1842; Government of India To Bombay 2/28/42 enclosing Aberdeen To Fitzgerald. 5/31/42
- I.O., Haines To Bombay, May 29, Letters From Aden, vol. 32.

- I.O., B.8. Memorandum on The Turkish Claim To Soveraignty Over The Eastern Shores of The Red Sea.
- I.O., Factory Records, Persia, vol. 58.

(٢) وثائق منشورة :

- Aitchison, C.U.: A Collection of Treaties, Engagent, and Sands relating To India and Neighboring Countries, 12 vol, Calcutta 1882.
- A Red Book on Gibralture, Issued by The Spanish Government, Madrid, 1965.
- Hurewitz, J.C.: Diplomacy in The Near and Middle East, Two vols. New York; 1956.

ب – المؤلفات:

Texts:

- Commager , H.S.: The History of The United States, 1951.
- ----------------------: Loving Ideas in America, N.Y.1951.
- Collidge, A.C.: The United States As a World Power, N.Y. 1918.
- Coupland, R,: East Africa and Invadres, Oxford Clarendon Press., 1938.
- Crichton, A.,: History of Arabia, Ancient and Modern Edinburgh 1834.
- Douin, G.: Histoire du Regne du Khedive Ismail, Toe III Le Caire 1941.
- Elson, Henry Williams: History of United States of America, N.Y. 1927.
- Fisher, H.: A History of Euroupe, London; 1961.
- Fortescue, J.W.: A History of The British Army, vol. V. (1807 .. 1809).
- George, H.B.: A Historical Geography of The British Empire, Seventh Edition, London, 1942.

- Chorbal, S.: The Beginings of The Egyptian Question and The Rise of Mohammed Aly.
- Graham , Gerald S.: Great Britan in The Indian Ocean, Astudy of Maritime Enter Peise 1810 – 1850, Oxford, at The Clanendon Press 1967.
- Guitteau, William: The History of The United States.
- Hoskins, H.L.: British Routs To India, London, Longmans Grean, 1928.
- Hunter, F.M.: An Account of The British Settlement
- At Aden , London. Trubner and Co., 1877.
- Ingrams, H.: The Yemen, Imams, Rulers and Revolutions, London Camelt Press.
- Jaeob, H.: Kings of Arabia, London, Mills and Boon, 1923.
- Kirk, G.E.,: A Short History of The Middle East, New York, 1960.
- Little, T.. South Arena of Conflict, London Pall Mall, 1968.
- Marston, T.E.; Britain 's Imperial Role in The Red Sea Area , 1800 – 1878. The Shoe String Press, inc., Hamden, Conneeticut, u.s.a.
- Play Far , P.1.; A History of Arabia Felix, or Yemen, Bombay, Government Central Press, 1859.
- Pratt, J.W.;A history of United Ststes Foreign Policy, Second Edition; Prentice Hall.

جـ – الدوريات :

Periodicals :

- American Historical Association, A.H.A. Pamphlets, No. 222.
- The Middle East, A Political and Economic Survey, 1958.